

الرأي العام

في القرن الثالث الميلادي ١٩٦ - ١٩٧ - ٨٣ - ٩٠

د. هادل محبى الدين الكنعانى



Biblioteca Alexandrina

وزارة الثقافة والاعلام



بغداد ١٩٨٧



طباعة ونشر

دار المسؤولون الثقافية العامة - آفاق عربية،

حلق الطبع محفوظة

لعنون جميع المراسلات

لبرهان مجلس إدارة المسؤولون الثقافية العامة

العنوان:

العراق - بغداد - اماليبة

ص.ب. ٤٠٣٢ - تلکس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

الأي العام

في القرن الثالث الهجري

١٩٨ - ٢٩٥ هـ ٨١٣ م

د . عادل سعي الدين اللوسي

. الطبعة الاولى ١٩٨٧

لا يعدو بحث (الرأي العام في القرن الثالث الهجري) إلا أن يكون محاولة متواضعة للكشف عن نواحٍ مهمّة من تاريخنا ، تتعلق بالجامعة والامة ، او مانسميه بالرأي العام بالاصطلاح العصري ، اغفلتها دراسات المحدثين ، وحفلت كتب التراث التاريخية والادبية والفقهية بشواهد ووقائع عليها ، فيما من حدث او عمل الا وله ردود فعل او مواقف معينة تحدّدها المصالح العامة والخاصة .

ويُنْبَغِي ان نؤكّد منذ البداية ، ان المجتمع العربي - الاسلامي ، لم ينفك خلال قرون عديدة عن مناقشة وبحث اخطر المسائل التي تدخل ضمن دائرة المعرفة الإنسانية ، وهذه الاحداث والمسائل سواء أكانت سياسية او دينية او اجتماعية ، تمدنا بنماذج عديدة تساعدنا على فهم اتجاهات ومواقف الرأي العام الاسلامي .
يشمل البحث قرنا من الزمن ، هو القرن الثالث الهجري ابتداء بخلافة المأمون وانتهاء بخلافة المكتفي بالله (١٩٨ - ٢٩٥ هـ / ٨١٣ - ٩٠٧ م) وهي حقبة من اخطر حقب التاريخ الاسلامي ، زاخرة بالاحداث والتناقضات والسلبيات . كما انه يكاد يقتصر على بغداد باعتبارها حاضرة الدولة العباسية وشريحة غنية بالاحداث وجامعة لكل شاردة وواردة .

يقع البحث في خمسة فصول ، خصصت الفصل الاول منه لدراسة مفهوم الرأي العام ، عرضت فيه مختلف الآراء والتعرifات لأشهر المفكرين الاجانب والعرب ، ولم يخل في هذا المجال من صياغة تعريف عولت عليه ولم انسب لنفسي صفة الانفراد به .

وقد ظهر لي من خلال هذا الاستعراض ان كل الآراء سواء ما كان منها ماديا او مثاليا ، تتفق على ان الرأي العام ظاهرة تلازم كل المجتمعات المكتظة بالسكان ،

وان هذه الظاهرة تعتمد الفرد اساسا لقيامها ، فمن التحاد رأي الفرد مع الآخرين المحبيين به ينشأ الرأي العام ، ويصبح قوة مؤثرة في مجرى الاحداث وله قابلية التغير الاجتماعي حينها يتخد موقفا معينا .. وتوكد ما للرأي العام من خطر كبير في حياة الانسان العامة ، السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والفكرية ، ومن تأثير واضح على سلوك الفرد والجماعة ، وهذا ما يفسر اهتمام الدراسات الحديثة به .

ويبحثت في نشأة الرأي العام التي كمنت بداياتها في المجتمع العربي قبل الاسلام وتطورت خلال العصور الاسلامية المختلفة ، وبظهور الدعوة الاسلامية ، توسيع رقعة الدولة ، وحدث الامتزاج والاقتباس الحضاريين واصبح المجتمع الاسلامي اكثر عصرية ، واحتدم الصراع الطبقي وتعمق الانقسام الديني والقومي ، والسياسي وكل هذه الامور عملت على بلوغ الرأي العام الاسلامي وجعلت منه قوة مؤثرة في الاحداث وبخاصة احداث القرن الثالث المجري / القرن التاسع الميلادي .

ويتمثل الرأي العام في الاسلام بتعابير شائعة آنذاك ، كالاجماع ، والرأي والقياس والامة ، والجماعة والاستحسان ، والاستصلاح ، وشرع ما قبلنا ، وهذا ماتناولته بشيء من التفصيل خلال هذا الفصل في دراسة فقهية . وقد وجدت ان المسلمين انقسموا في نظرتهم الى مصادر التشريع من غير القرآن والسنة الى : فريق يرفض كل تأويل او اجتهاد بحججة ان الاسلام دين متكامل لا ينحصر كماله في زمن معين وهم يستندون في ذلك الى قوله تعالى «اليوم اكملت لكم دينكم واقمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديننا» وفريق فزع الى الاجتهاد واعتبره حجة تخدم التشريع ولا تخرج عنه ، تعلم على ديمومة الدين وتجنبه تهمة العجز والقصور ، وفريق ثالث يعلون على القرآن والسنة ، ويتهميون الاجتهاد الا عند الضرورة القصوى وهناك من يأخذ به وفق مواصفات معينة .

اما الفصل الثاني ، فقد اقتصر عل دراسة طبيعة المجتمع العباسي في القرن الثالث الهجري وذلك من خلال استعراض سمات هذا المجتمع والمجتمعات الالخرى التي سبقته ، كنشوء الفرق الدينية والاحزاب السياسية ومتابعتها من فلسفات ، ومبادئ ، بعضها انتهي بنهجا متطرفا ومعارضا ، والبعض الآخر كان تبريريا وتوفيقيا مساندا للسلطة ، ومنها ما كان انهزاما عاجزا وجد في التصوف متنفسا له ، بالإضافة الى ما شهدته المجتمع الاسلامي عموما ومجتمع القرن الثالث على وجه الخصوص ، من انقسامات سياسية ودينية وقومية ، وضعف السلطة المركزية وضياع هيبة الخليفة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، وبروز التفاوت الطبقي وقيام نظام الاقطاع والجند المرتزقة الاجانب وما تبع ذلك من ركود في الزراعة .

يتكون المجتمع النباسي في القرن الثالث الهجري من طبقتين رئيسيتين ، تتفاوت في الثروة والنفوذ واسلوب العيش ، فالي جانب الخليفة واتباعه وكبار موظفيه الذين تركزت بأيديهم كل الامتيازات ، يقف الفقراء والمعدمون الذين يؤلفون الغالبية الساحقة من الناس ، وبين هاتين الطبقيتين فئات عاشت على افضال طبقة الخاصة فاحتارت الوظائف وتكسبت بالشعر والادب ، فمنهم من فاز بالحظوظة وعد من الاغنياء ومنهم من انحدر في مستوى المعيش الى حد الجوع وتمثل هذه الفئات في الكتاب والشعراء والقصاصين والفنانين .

ومن الجدير باللاحظة ان حدة التمايز الطبقي وتردي الاحوال الاقتصادية والسياسية قد ولدت رأيا عاما متذمرا وساخطا وجدت فيه حركات المعارضة تربة خصبة لبث افكارها ونشر مبادئها وحشد المؤيدین والانصار لها .

ويشكل الفصل الثالث العمود الفقري الذي استند عليه البحث ، وذلك لسعته وخطورته المواضيع التي تناولها ، درست فيه عوامل تدمر الرأي العام الاسلامي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية والدينية ، كارتفاع

الاسعار ، وندرة الاقوات وتأخر ارزاق الجند ومشاغباتهم التي اضعفت سلطة الخليفة العباسي واودت به في بعض الاحيان الى العزل او القتل ، كما جرى للمعتر بالله على يد الامراء الاتراك الذين تسلطوا على امور الدولة ومناصبها الحساسة وخاصة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري حتى تدمر منهم اهل بغداد وسامراء بالإضافة الى تدميرهم من سوء الوضائع العامة والانحلال الاداري واضطراب الامن وفداحة بعض الضرائب وسوء جيابتها وما يرافق ذلك من طرق قسرية واساليب غير عادلة .

ومن عوامل تدمير الرأي العام الاسلامي ماشهده القرن الثالث الهجري من فتن كالفتنة بين الامين والمأمون والتي استحالت الى صراع قومي بين العرب والفرس والفتنة الاخرى ذات الطابع الشعوي وحركات العوام العفووية من الشبطار والعياريين وحركات المعارضة متمثلة بالعلويين وبقايا الخوارج ، بالإضافة الى المنشازعات الفكرية والدينية التي مزقت وحدة المسلمين وقسمتهم الى شيع واحزاب ومذاهب نجد تفصيلا لها في ثانيا البحث .

اما الفصل الرابع فقد تناول موقف الرأي العام الاسلامي من المؤسسات الرسمية كاخلافة والقضاء ، هذا الموقف الذي اتسم بالنقد اللاذع الساخر .. تأتي الخلافة في مقدمة المسائل التي شغلت الرأي العام بعد وفاة رسول الله (ص) لما لمنصب الخليفة من اهمية دينية وسياسية منحه ايها الاسلام الحنيف .

وارى ان الخلافة الراشدة لم تخرج عن مبدأ الشورى الاسلامي والرضا الجماهيري للممثلين بالبيعتين الخاصة والعامة الا ان الخلاف بشأنها قد احتدم في العهد الاموي لما استحدث الامويون نظام التوريث الذي اضعف الدولة وقسم الامة بين مؤيد ومعارض ، ومعارض متطرف يعم الخلافة لكل الناس ان كانت طبيعتهم التي يتمون اليها كما يقول بذلك الخوارج . وخلال القرن الثالث الهجري تدنت

الخلافة حتى اصبحت منصبا ثانويا لا يحتفظ منه صاحبه الا بالمركز الظاهري الدعائي ، والى جانب ذلك فقد القضاة ، اداة العدالة القوية ، قدسيته واصبحت احكامه عرضة للاهواء والرغبات وسخر منه الرأي العام الاسلامي ، ومصادر التاريخ الاسلامي مليئة بالحكايات والتوادر والاشعار والاخبار عن القضاة وقد ذكرت طرفا منها في هذا الفصل .

تميز الرأي العام الاسلامي طوال القرن الثالث الهجري ، بطابع التذمر والسطح والثورة في بعض الاحيان وهو ملمسه من خلال البحث ، وقد استلزم ذلك وجود مراكز واماكن يأوي اليها المتذمرون ، يعبرون فيها عن آرائهم وما يشغل اذهانهم ، كالأسواق والسجون والمساجد ومراکز اخرى متفرقة ، كالمناسيبات وب مجالس المناظرة والطبع والعتبات المقدسة والحمامات وما الى ذلك من اماكن كان الرأي العام الاسلامي يتجمع فيها ، تناولها الفصل الخامس والأخير من هذا البحث .

الفصل الأول

مفهوم الرأي العام في الإسلام

- ١ - معنى الرأي العام وأنواعه.
- ٢ - نشأة الرأي العام في الإسلام وتطوره.
- ٣ - مفهوم الرأي العام في الإسلام.
(دراسة فقهية)

- أ - الاجماع.
- ب - الرأي والقياس.
- ج - الاستحسان.
- د - الاستحلال أو المحالج المرسلة.
- هـ - الجماعة والإامة والاختبرة.
- و - شرع ما قبلنا.

١ - معنى الرأي العام وانواعه :

الرأي العام (public opinion) ، اصطلاح شائع على السنة الكتاب والمفكرين ورجال السياسة ، وهو يتردد على السنة العامة في احاديثهم من خذل الاحكام التي تصدرها الجماهير على عمل ما سلبا او ايجابا ، سخطا او رضى .

ترجع ظاهرة الرأي العام ، الى عهود تاريخية سحيقة ، تعاصر وجود الجماعة الانسانية او الظاهرة البشرية في صورة مجتمع(١) ، فقد عرفه الفكر السياسي والاجتماعي بمفاهيم مختلفة : كارادة الامة ، ومشيئة الشعب ، والروح العامة ، وصوت الشعب ، وروح الشعب(٢) ، وعبر عنه المسلمون الاولئ بمصطلحات عده هي : الاجتهد ، والاجماع ، والشوري ، وجمهور الامة ، والقياس ، والاستحسان ، والمصالح المرسلة وغير ذلك من التسميات الفقهية الشائعة آنذاك (٣) .

والرأي العام بمفهومه الحديث ، يرجع الى القرن الثامن عشر الميلادي (٤) ، وعلى وجه الدقة الى عهد الثورة الفرنسية ، ونمو الحركات الشعبية والادبيات المرتبطة بها (٥) ، وقد تضاعفت قوته بتأثير التجمعات الجماهيرية الكبيرة في المدن بعد الثورة الصناعية ، وقيام النظم الديمقراطية كالتوسيع في حق الانتخاب ، وتحرر المرأة وتحرير

(١) د. احمد محمد ابوزيد : سيكلولوجيا الرأي العام ورسالته الديمقراطية ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ١٨ .

(٢) سعد الدين خضر : الرأي العام وقوى التحرير ، الموصل ، ص ١٥ .

(٣) محمد عبد الرؤوف بهنسي : الرأي العام في الاسلام ، مصر ١٩٦٦ ، ص ١٥ .

(٤) فؤاد ذياب : الرأي العام وطرق قياسه ، القاهرة ١٩٤٢ ، ص ١٤ .

(٥) الفريد سوفي : الرأي العام ، ترجمة كسروان شلياق ، مطبعة عربادات ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ٥ .

العبيد ، وانتشار التعليم ، وتطور الطباعة ، وتقدم وسائل الاتصال ، وانخراط الآت التصوير والاذاعة والسينما والتلفزيون ، وغير ذلك من اوجه التقدم العلمي والتكنولوجي (١) .

والرأي العام ، اصطلاح لا يخلو من الغموض ويختتم أكثر من معنى واحد ، وقد اختلف المفكرون في تعريفه ، وسأعرض هنا الى بعض هذه التعريفات :

فالباحث الامريكي ^١ (ليونارد دوب) يرى : انه اتجاهات الناس ازاء قضية ماحينها يكونون في نفس الفصيلة الاجتماعية او الجماعة المحلية ويتأق عن طريق عملية النقاش الديمقراطي (٢) . في حين يرى (هارود تشيلدز) بأنه : مجرد مجموعة من الآراء الفردية ، وهو عنده حاصل جمع هذه الآراء (٣) .

ويعرف الصحفي الالماني (اميل دوفيفان) الرأي العام بأنه : الخط الوارد لسير الجماعة بأكملها . وهو عند الفيلسوف (فيلاند) : رأى طبقة لها الغالبية والقوة بين طبقات الشعب الاخرى ، وعند القانوني (بتشلي) : رأى الطبقة المتوسطة (٤) . في حين يعتبره السياسي (بسمارك) : التيار اليومي الذي يغلب صوته صوت الآخرين في الصحافة وجلسات البرلمان ، اما المؤرخ (رانكما) فيقول انه : « اقرب تعبير عن الحركات او التيارات الداخلية غير الظاهرة في الحياة العامة » (٥) .

(١) عمار التهامي : الرأي العام وال الحرب النفسية ، دار المعارف بمصر ط ١٩٦٧ ، ص ٩ .

(٢) Leonard W. Doob , Public Opinion and Propaganda , P. 95 .

(٣) Emory S. Bogardus , The Making of King of Public Opinion , P. 5 .

(٤) عمار التهامي : الرأي العام وال الحرب النفسية ، ص ٢٠ .

(٥) نفس المصدر السابق ، ص ٢١ .

والرأي العام عند (توماس كلار) يعني : مجموعة الأحكام التي تصدرها الجماهير على عمل ما ، وهو عنده يطابق رأى الأغلبية^(١) ، أما (جيمس رسول أول) فيعرفه : بالفكرة السائدة بين جمهور من الناس تربطهم مصلحة مشتركة ازاء مسألة من المسائل العامة التي يثور حولها الجدل^(٢) .

اما العالم السيكولوجي (فلوريد البورت) فيرى ان الرأي العام : تعبير جمع كثير من الأفراد عن آرائهم في موقف معين معارضين او مؤيدین بحيث تكون نسبتهم مع الكثرة كافية للتأثير على افعالهم بطريق مباشر او غير مباشر تجاه الموضوع الذي هم بصدده^(٣) .

ويرى (وليام البيج) : ان الرأي العام يتبع عن تفاعل افكار الاشخاص في اي شكل من اشكال الجماعة^(٤) ، والى مثل هذا ذهب (هربرت بلومر) في ان كثيرا من التفاعل الذي يتكون خلال الرأي العام يحدث من تضارب آراء الجماعة ووضعها ، شأنه شأن زميليه البيج ودوب ، يقلل من اهمية الدور الخطير الذي يقوم به الأفراد البارزون اصحاب الافكار الجديدة^(٥) .

يقدم جوفان دجور جفتش تحليلا منطقيا وعلميا لمفهوم الرأي العام الاشتراكي ، وينطلق في تحليله من كون الانسان صاحب الحق الاول في الرأي العام ، باعتباره الكائن الاجتماعي الفعال الذي يتكون رأيه باتحاده مع افراد آخرين من طبقته الاجتماعية ذاتها تربطهم مصالح مشتركة وتحت تأثير منطق الاجتماع والصراع الطبيقي فان الرأي العام يصبح قوة سياسية .

(١) محمد طلعت عيسى : الشائعات وكيف تواجهها ، القاهرة ط ١٩٦٤ ، ص ٥٣ ، المامش .

(٢) احمد محمد ابريزيد : سيميولوجية الرأي العام ورسالته الديمقراطي ، ص ٣٧ .

(٣) حسين عبد القادر : الرأي العام والدعائية ط ١ ، مطبعة الرسالة ، مصر ١٩٥٧ ، ص ٧ .

(٤) William Albig , Public opinion P . 31

(٥) حسين عبد القادر : الرأي العام والدعائية ، ص ٩ .

ومن هنا فانه يمكن القول ان الرأي العام هو الفكرة المقصود عنها ، وحركة الافراد بصفتهم مخلوقات اجتماعية وفعالة ، وهو تعبير عن جموع الروابط الاجتماعية التي يدخل فيها الفرد طرفا والتي تؤثر عليه ويؤثر فيها(١) .
ويشترط جوفان لوجود الرأي العام ، وعي الانسان لمصالحه ولصالح القريبين منه وصولا الى تطبيق بعض هذه المصالح تطبيقا علميا له قوة القانون(٢) .

ان الرأي العام ليس جموع الآراء الفردية المنعزلة : واما هو الرأي الذي يعرب عنه الافراد بصفتهم ممثلين لمنظمات اجتماعية وسياسية هم اعضاء فيها او يرتبطون بها عضويا او اقتصاديا او اجتماعيا او ايديولوجيآ(٣) .

ان المواقف العقلية والروحية التي يتخذها الافراد ازاء المشاكل الاساسية في الحياة الاجتماعية والسياسية ، تتأثر بعناصر اجتماعية ايديولوجية ونفسية وعاطفية ، موروثة ومكتسبة ، والتي تعطي خصائص الطبيعة التي يتبعون اليها ، والتي يعيشون ويناضلون ويموتون في احيانها ، كما تتأثر بعناصر ذاتية تكمن في صفات الافراد الشخصية فيها يتعلق ببطاقاتهم واراداتهم ، وهذا مايفسر لنا وجود آراء متعددة في المجتمع(٤) .

والرأي العام عند الاشتراكيين يتلخص في تأثيره وتطور مفهوم الديمقراطية ، ولا يصبح قوة انسانية حقيقة وحرة كلها الا عندما تزول الدولة(٥) .

ويقول جوفان في تحليل اخير عن الرأي العام : « هو الرأي المشروط اجتماعيا لا يرى عدد يمكن من الافراد حول القضايا العامة ، والذي يعبر عنه علينا ». والموجه

(١) جوفان ديجور جفتشر : الرأي العام في النظام الاشتراكي ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٤٦ .

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٤٦ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٥) نفس المصدر السابق ، ص ٨٦ .

لأنه يؤثر على الشؤون العامة فحسب ، وإنما أيضا نحو المشاركة ، أي نحو تحويل هذا الرأي إلى سياسة عملية ، إلى قانون(١) .

اما الكتاب العربي الذين بحثوا في الرأي العام ، فقد تأثروا بكتابات الباحثين الأجانب الذين سبقوهم في هذا المجال ، فعنهم من تبني لنفسه تعريفا استنبطه من تلك الكتابات ، ومنهم من رجح تعريفا لباحث أجنبي دون سواه(٢) ، وفريق ثالث اكتفى بعرض مختلف الآراء والتعريفات وهم كثرة في هذا النهج .

فالدكتور احمد محمد ابو زيد ، اخذ بنظر الاعتبار تعريف الباحثين (جيمس رسل لاول) و (توماس كلار) ، فكان الراجح عنده ، ان الرأي العام : « هو وجهة نظر اغلبية الجماعة الذي لا يفوقه او يجده رأي اخر ، وذلكر في وقت معين ازاء مسألة تعني الجماعة تدور حولها المناقشة صراحة او ضمنا في اطار هذه الجماعة(٣) » ، وذهب مذهب باحث عربي اخر هو الدكتور غيثار التهامي ، فوضع التعريف التالي : « هو الرأي السائد بين اغلبية الشعب الواقعية بالنسبة لموضوع او اثنرييس مصالح هذه الاغلبية مسأً مباشرا ، او يشغل بها ويختدم فيه الجدل والنقاش في فترة معينة(٤) » .

اما الدكتور احمد سليم العمري فقد تأثر بآراء (غوستاف لوبيون) و (ليونارد دوب) و (الفريد سوفي) التي تؤكد على ظاهرة السلوك الجماعي وأثرها في سلوك

(١) جوفان دجور بجفتون : الرأي العام في النظام الاشتراكي ، ص ٤٧ .

(٢) اعتبر فؤاد ذياب في كتابه الرأي العام وطرق قياسه ، ص ٨ ، تعريف « ليونارد دوب » في الرأي العام من اوضح التعريفات في حين ان سعد الدين خضر في كتابه الرأي العام وقوى التحرير ، ص ٢٠ ، اعتبره ادق تعريف على حد قوله .

(٣) د . احمد محمد ابو زيد : سيميولوجيا الرأي العام ، ورسالته الديمقراطية ، ص ٣٨ .

(٤) د . غيثار التهامي : الرأي العام وال الحرب النفسية ، ص ٢٢ .

الفرد(١) ، فاستبسط ان الرأي العام : « هو ظاهرة فكرية ناجمة عن الحشد الذهني للجماعات التي يترتب عليها اقوى العلاقات الاجتماعية والنفسية للفرد ثم للجماعة(٢) » .

وتأثير الدكتور محمد طلعت عيسى بالباحث (توماس كلار) وعريف الرأي العام بانه : « جموعة الضغوط والاحكام التي تسهم في عمليات التغير الاجتماعي التي تمر عبر الجماهير(٣) .

ان الرأي العام كثيرا مايفسر احداث الماضي ، كما ان سلوك الانسان في حاضره ومستقبله يفسره ماضي حياته ، ولكن هذا لا يعني ان الماضي يشكل العامل الوحيد المؤثر في تكون الرأي العام ، بل ان هناك مؤثرات خارجية وعوامل اخرى حددتها (سبروت) بالحوادث الجديدة ، وتغير شروط الحياة ، وتغير السلوك ، والشخصيات البارزة(٤) ، وهذا يعني ان الرأي العام ينبع في ظرف ووقت معينين ، وقد يستمر متواصلا مع شيء من التحوير والتطور والتبدل شأنه في ذلك شأن الحياة الانسانية .

ان وقوع اية جماعة من الناس تحت ظروف موضوعية مشابهة او متقاربة ، يولدها رأيا عاما له صفة الغلبة على اي رأي آخر وله قابلية التطور والحركة وفاعليه

(١) بري غروستاف لورون في كتابه روح الجماعات ، ترجمة احمد فتحي زغلول ط ٢ ، المطبعة الرحمنية ١٩٠٩ ، ص ٢٧ : يفقد الفرد خصائصه العقلية الذاتية حينما يندمج في الجماعة ويفكر في العقلية الكلية لهذه الجماعة .
اما الفريد سولفي في كتابه الرأي العام ، ص ٦ - ١٧ ، فقد عبر عن الرأي العام ، بالقول القوي ، والرأي الجماعي ، والرأي الوطني ، وكل هذه التسميات تؤكد الصورة الجماعية للرأي العام .

(٢) احمد سليم العمرى : الرأي العام والدعابة ، ص ٥ .

(٣) د . محمد طلعت عيسى : الشائعات وكيف تواجهها ص ٥٣ .

(٤) د . ج . هـ . سيربوت : علم النفس الاجتماعي ، ترجمة حافظ الجمالى ح ١ ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٠ - ٣٧٩ هـ ، ص ١٨٨ .

التغيير . والتاريخ حافل بالادلة التي تعزز هذا القول فسوء اوضاع العرب قبيل الاسلام في ظل القبيلة والوثنية خلقت رأيا ناقما ورافضا لذلك الواقع ، ومحفزا او متهينا وقدرا في نفس الوقت لقبول حالة جديدة من الانبعاث القومي تتمثل في رسالة الاسلام وشخصية الرسول العربي ، وبذلك تمازجت عوامل القدرة في الامة مع الظواهر السلبية لتكوين ارضية صالحة لانبعاث وقبول الاسلام (١) ، كما ان الاوضاع الفاسدة التي عاشتها فرنسا في ظل الحكم الاقطاعي ابان القرن الثامن عشر الميلادي ، هي التي ساعدت المفكرين والساسة الثوريين على خلق رأي عام ساخط اطاح بالملكية والاقطاع في الثورة الفرنسية الكبرى .

ان الرأي العام يتخذ اشكالا مختلفة وصورا متعددة تبعا لاختلاف الظروف والاوضاع التي تكتشف وجوده في فترات معينة ، وقد ذكر الباحثون في هذا المجال انواعا متعدد له ، فمنهم من يقسم على اساس البيئة والوطن ومنهم من يقسمه على اساس الظهور والوجود والاستمرار والتمثيل والشمول والتاثير والوعي ، ولكل اساس من هذه الاسس انواع من الرأي العام ، لا مجال للمخوض في تفاصيلها فقد اضاف فيها من سبقني الى الكتابة في هذا المجال (٢) .

ومن المفيد ان نميز بين ميول الناس نحو قضية معينة والتعبير عن هذه الميول بالفعل ، فاذا لم يفصح الرأي العام عن تلك الميول لظروف قاهرة وطارئة سمي بـ (الرأي العام الباطني) ، اما اذا عبر عنها ومن ثم تكون هي التي قررت الفعل فانه

(١) صدام حسين « حول كتابة التاريخ » نص الحديث في الاجتماع الموسع لمكتب الاعلام القومي

بتاريخ ١٢/١٩٧٧ .

(٢) انظر : فؤاد ذياب : الرأي العام وطرق قياسه ، ص ١٣ - ١٠ ، وحسين عبد القادر : الرأي العام والدعائية ، ص ٣٦ - ٣٧ . وسعد الدين خضر : الرأي العام وقوى التحرير ، ٣١ - ٣٦ ، واحد محمد ابو زيد : سيميولوجية الرأي العام ، ٧٢ - ٧٨ .

يسمى بـ (الرأي العام الصريح او الظاهر) .

ان الرأي العام حينما يتخذ موقفا معينا ، فإنه يصبح (رأيا عاما فعليا) ، اما اذا لم يتخذ موقفا معينا فهو (رأي عام ساكن او كامن)" ، فتحسّس الناس للظروف
الفاصلة في مجتمع ما يعتبر رأيا عاما ساكنا ، في حين ان الثورة على هذه الظروف
يعتبر رأيا عاما فعليا او واقعيا لانه اتخذ موقفا عمليا .^١

ان التغير صفة الموجودات ، التي تتفاوت في مدى استجابتها لعامل التغيير
والتطور تفاوتا نسبيا ، ففي حين تغير الامور الثقافية والحضارية كالعادات والتقاليد
ببطء ومضي الزمن ، نجد ان هناك موقفا منطقية مبنية على ظروف طارئة تتغير من
وقت لآخر وقد تزول بزوال السبب كالمناهج المرحلية والبرامج الدعائية لبعض
الاحزاب والهيئات السياسية .

ان الرأي العام الذي يقوم على اساس العوامل الحضارية يسمى بـ (الرأي
العام الدائم) او (الرأي العام الثابت) او (الرأي العام الجامع) او (الاجماع)
الذي عرفه المسلمون الاولى واعتبره الفقهاء مصدرا من مصادر التشريع الاسلامي
بعد الكتاب والسنة^٢ .

اما الرأي العام الذي يقوم حول حوادث طارئة فيسمى بـ (الرأي العام
المؤقت^٣) ، وهو غير الرأي العام اليومي ، الذي يتاثر بمحركيات الامور والحوادث

(١) حسنين عبد القادر : الرأي العام والدعاية ، ص ٨ .

(٢) د . احمد ابريزيد : سيكلولوجية الرأي العام ورسالته الديمقراطية ، ص ٧٤ .

(٣) اجناس جولد يستهير : العقيدة والشريعة في الاسلام ، نقل يوسف موسى وجنته ، مصر ١٩٥٩ ، ط ٢ ، ٢٥٤ .

(٤) فؤاد ذياب : الرأي العام وطرق قياسه ، ص ١٢ .

اليومية^(١) ، والى جانب ذلك هناك رأي شخصي ، يعبر به الفرد عن وجهة نظره ، اما اذا لم يجاهر به لسبب او لآخر ، فهو رأي خاص يحتفظ به لنفسه باعتباره جزءا من الرأي الشخصي^(٢) .

(١) د . احمد محمد ابوزيد : سيميولوجية الرأي العام ورسالته الديمقراطية ، ص ٧٧ .

(٢) د . حسين عبد القادر : الرأي العام والدعاية ، ص ٣١ .

٢ - نشأة الرأي العام في الاسلام وتطوره :

كما يقترن تكون المجتمع بوجود الفرد ، فانه لا بد لهذا الفرد من اطار اجتماعي يتحرك فيه سلبا او ايجابا ، سخطا او رضى . وحركة الفرد في هذه ليست عفوية ، انما هي وليدة الظروف المحيطة به ، التي تتأثر بعوامل اجتماعية وتاريخية . وهذه الحركة قد يعبر عنها الفرد بنفسه او من خلال اتحاده مع الاخرين الذين يرتبط واياهم بصالح مشتركة ، هي التي تكون البداية التي يتتطور عنها مفهوم الرأي ، وعلى هذا الاساس ، فالرأي العام ظاهرة اجتماعية وتاريخية ، تتكون من تفاعل الفرد بالمجتمع^(١) .

والرأي العام كلية ظاهرة اجتماعية ، ينبع لعامل الوراثة ، كما ينبع لعامل التغير والتطور^(٢) ، فالرجل يعمل على تنامي قوته وتبليور مفاهيمه ، كما ان الظلم الاجتماعي والشعور به ، يخلقان فيه قابلية التأثير المباشر والتغير الجذري ، وما التغيرات التي مرت بها الحضارة الانسانية ، سواء ما كان منها بالتأثير الاجتماعي البطيء او بالفعل البشري المباشر ، الا ادلة واضحة لتلك القابلية التي ينهض عليها الرأي العام .

لم يكن الرأي العام في الاسلام ، وليد فترة زمنية محددة ، بل ان بعض صوره لا تتلو من ملامح قومية تعارف عليها العرب قبل الاسلام^(٣) ، ولذلك فان المنشق العلمي يشير على الباحث في موضوع نشأة وتطور الرأي العام الاسلامي ، ان يدرس المجتمع العربي قبل الاسلام عموما والمجتمع المركبي على وجه الخصوص ، على

(١) جوفان دجور جفتشن : الرأي العام في النظام الاشتراكي ، ص ٤٦ .

(٢) حسين عبد القادر : الرأي العام والدعابة ، ص ١٦ .

(٣) احمد امين : فجر الاسلام ، ص ٨٠ .

افتراض ان المجتمع العربي في صدر الاسلام امتداد للمجتمع العربي السابق له^(١) فكما ان الاسلام دحض سلبيات العرب الاول فانه اكذ على الفطرة الحية التي جُبل عليها هؤلاء العرب ، كالصدق والامانة والكرم والشجاعة^(٢) ، وغيرها من الصفات الحميدة التي مازلنا نتمسك بها ونحرص على بقائها .

تعتبر القبيلة قبل الاسلام الوحدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يقوم عليها المجتمع العربي قبل الاسلام ، ووفق مفاهيم القبيلة وعاداتها وتقاليدها تتحدد افكار الفرد العربي وتصرفاته وتطلعاته وبالتالي اراؤه التي ابتليت بمرض الجماعية وذوبان الشخصية « فالمجتمع العربي القديم اسوة بالمجتمعات البدوية ، كانت وحدته الاساسية هي الجماعة لا الفرد^(٣) » ، فهو يشعر بأهميته وعزته مادام في كنف قبيلته ، وخارجهما يشعر بالضعف الى حد الضياع ، وبالغرابة الى حد النبذ ، وبالخوف الى حد الخطر ، فمن تتخل عن قبيلته لسبب او لآخر يعرف بالخليع الذي لا يحمي قانون القبيلة ولا يتعصب لها افرادها ، وهذا ما يفسر لنا ارتباط العربي قبل الاسلام بقبيلته ارتباطا يكاد يكون مصريا .

تبلور الرأي العام العربي قبل الاسلام من خلال بعض المؤسسات القبلية كمجلس الملا او مجلس شورى القبيلة ، المكون من رؤساء القوام او الاسر الممثلين لقبائلهم ، كدار الندوة التي اتخذت مركزا يجتمع فيه شيخ قريش اذا ماطرا لهم امر ما^(٤) . وهذا الرأي يتجسد بطريقة اختيار (السيد) او رئيس القبيلة كما يتجسد في حرص شيخ القبيلة على الابتعاد عن مظاهر الاستبداد ودأبه على استشارة مجلس

(١) الفرد جيون : الاسلام ، ص ٥ - ٦ .

(٢) احمد امين : فجر الاسلام ، ص ٣٨ .

(٣) دافيد سانتلانا ؛ القانون والمجتمع ، بحث ضمن (تراث الاسلام) ج ١ ، ترجمة فتح الله جرجيس ، ص ٣ .

(٤) اسعد طلس : عصر الانفاق ، ص ١٢٨ .

القبيلة كصورة مبسطة للشوري التي اصبحت مبدأ شرعيا في الاسلام^(١).
ويعتبر الشعراء والخطباء والحكماء قادة الرأي العام المعتبرين عنه ، وبخاصة
الشعراء منهم الذين كانت لهم اليد الطولى في التعبير عن خلجان وهمسات الناس
بشعر جيد لازلنا نستذهب سمعاه ولم تمل تكراره ، سجلوا فيه حياة القبيلة وعاداتها
وتقاليدها ودياناتها واحاداثها المهمة ولذلك قيل «الشعر ديوان العرب»^(٢).

لقد كان لازدهار التجارة الداخلية والخارجية في المجتمع المكي قبل الاسلام
اثر في تعزيز التنافضات الاجتماعية التي شغلت الرأي العام الجاهلي ، كانتشار الربا
والاحتياط وتجارة العبيد وبالتالي بروز التفاوت الطبقي الذي كان مبعثا لتذمر السواد
الاعظم من الناس^(٣).

ووجد عرب الجahiliya في الاسواق الكثيرة والكبيرة ، التي بلغ عددها العشرة او
مايزيد^(٤) ، مجتمعات تعقد فيها المعاهدات والاتفاقيات القبلية والعائلية ، ومنبراً
لإعلان كل ماله اثر بالجماعة ، ومراكز يتجمع فيها الرأي العام ، بالإضافة الى
وظيفتها الاقتصادية في البيع والشراء^(٥).

ازاء ذلك كله ، فان المجتمع العربي قبل الاسلام لم يخل من وجود افكار
وتعلمات تعبر عن آراء فردية تخدم المصالح الشخصية في اغلب الاحيان ، وآراء
ذات صفة جماعية شاركت في التخفيف عن كاهل المتذمرين والمظلومين واثرت الى

(١) استنادا الى قوله تعالى « وامرهم شوري بينهم » سورة الشورى : ٣٨ ، وقوله « وشاورهم في الامر » سورة آل عمران : ١٥٦ .

(٢) فيليب حني : تاريخ العرب المطول ، جـ ١ ، ص ١٣١ .

(٣) احمد عباس صالح : اليدين واليسار في الاسلام ، ص ٢٢ .

(٤) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، جـ ٧ ، ص ٣٧١ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ٧ ، ص ٣٨٤ .

حدما في مجرى الاحداث ، ويزكي هذا المجال (حلف الفضول) ، الذي عقد قبل الاسلام وشهده الرسول (ص) قبلبعثة واثني ١٠ عليه كأحد الامثلة على تلك الا صوات الساخطة التي رفعها الرأي العام العربي احتجاجا وانصافا للمظلومين والغرياء .

لقد هدم الاسلام شكل القبيلة والاسرة المعروفة آنذاك ، ومحى منه الشخصية الفردية والموالاة والجماعات المتحالفـة^{٢٠} ، واصبح الفكر الاسلامي لا يعمل الا ضمن النطاق الذي حدده الدين الجديد المتمثل بالقرآن والسنة ولم يقبل المسلمين سلطة اخرى ، لذلك كان العرب في صدر الاسلام ينظرون الى تنظيمات الدولة الجديدة سياسية وادارية ومالية بعين الرضى ، باعتبارها مطابقة لمبادئ العدالة ، التي اوججها الاسلام ، اما التشريعات العصرية التي اقتضتها سنة التطور ، والبدع التي ابتدعها بعض المسلمين تحقيقا لصالحهم ورغباتهم وحفاظا على مراكزهم السياسية ، فقد اظهر الاتقـاء من المسلمين تذمرهم منها وجاهر بعضهم بمعارضتها لأنها في نظرهم لا تتفق ومبادئ العدالة الاسلامية .

فقد عارض بعض الصحابة في امر محاربة المرتدين الذين مانعوا في دفع الزكوة ، وحجتهم في ذلك قول (ص) « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا الله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله »^{٢١} .

وتعتبر الفتنة ايام عثمان بن عفان تعبيرا عن عدم رضى بعض المسلمين من المهاجرين والأنصار على سياساته وتصرفاته التي وجدوا فيها نقضا لمبدأ العدالة الذي

^{٢٠} ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ ١ ، ص ١٣٤ .

^{٢١} سائلانا : القانون والمجتمع ، بحث ضمن (تراث الاسلام) جـ ١ ، ص ٣ .

السيوطـي : الجامع الصغير في احاديث البشير النذير ، جـ ١ ، ص ٦٥ .

ارتضاه دينهم ، من ذلك لينه وتقريره لابناء عشيرته وبالتالي ماصارت اليه الدولة من عصرية تناهى العيشة البدوية التي عاشها الصحابة ، بالإضافة الى ان بعضهم طلب الخلافة لنفسه^{١٠}

ويشكل منصب الخلافة الذي شغر بعد وفاة الرسول الاعظم (ص) هاجس الناس الاول الا ان مجيء الخليفة ابي بكر الصديق (رض) بطريقة شرعية مطابقة لمبدأ الانتخاب والشورى قد ارضى الجمورو الاعظم من المسلمين وصار هذا الانتخاب تقليدا سار على الخلافة الراشدة .

وفي العصر الاموي « ظهرت طريقة اخرى لنصب الخليفة ، ومن بعده اطردت ، فاصبحت عادة ، هي ان يعين الخليفة الحاكم خليفة او ولی عهد وهذا التعيين يساوي في جوهره (العقد) فان قبل اصبح عقدا ، والمراسيم التي يتم فيها العقد تدعى (البيعة) ^{١١} . ويعتبر معاوية بن ابي سفيان اول من استحدث نظام الوراثة في الخلافة ^{١٢} عندما عهد بها لابنه يزيد من بعده ، وحاول اقناع الرأي العام الاسلامي لاجاهة هذا العهد ^{١٣} ، فارسل الوفود الى الامصار ، واستفتى الفقهاء ، ورحب الناس بذلك .

هذه الاجراءات والمستحدثات لم ترق جمهور المسلمين ، ووجدوا فيها استبداً وعدوانا يتنافى ومبادئ العدالة والمصلحة العامة .

وهكذا نرى ان مسألة الخلافة بعد وفاة الرسول (ص) ، وماتلاها من

١٠. طه حسين : الفتنة الكبرى ، ج ١ ، ص ٢١٧ .

١١. سائلتنا : القانون والمجتمع ، بحث ضمن (تراث الاسلام) ج ١ . ص ١٧ .

١٢. نقصد بنظام الوراثة لا التعيين مطلقا بل التوريث ضمن العائلة الواحدة ، والا فالتعيين سابقا عرفت في العصر الراشدي فقد اوصى ابو بكر بالخلافة من بعده لعمربن الخطاب - المصدر المذكور اعلاه - بينما يرى الامامية من الشيعة ان التعيين حدث يوم من الرسول وكان للامام علي ولائه من بعده - انظر النبوي : فرق الشيعة ص ٢٤ .

١٣. ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ج ١ . ص ٦٥ وما بعدها . المسعودي التنبيه والاشراف ص ٢٦٢ .

صراعات ومناورات استهدفت السلطة بالدرجة الاولى ، قد استأثرت باهتمامات الرأي العام الاسلامي وادت الى حدوث انقسامات في الرأي اثرت بشكل او باخر في اتجاهات الرأي العام الاسلامي طوال العصرین الاموي والعباسي .

تعاظمت قوة الرأي العام الاسلامي في القرن الثالث الهجري الذي ضم جاهير الصناع وذوى الحرف والجند والموظفين على مختلف مراتبهم والمحققين بآماناتهم وهو اياتهم المختلفة والملاكيـن والتجار والاغنيـاء والفقراـء المعدمين وباقـي الفئـات الاجتماعية ، وبعبارة اخـرى ضـم هذا المجتمع الفئـات المرفـهة التي تـشكـو التـخـمة ، وتـلكـ التي تـعيشـ علىـ الكـفـاف ، كما شـهدـ صـراعـاتـ وـانـقـسامـاتـ وـتـجـمعـاتـ دـينـيةـ وـفـكـرـيةـ وـمهـنـيةـ ، وـصـيـحـاتـ مـؤـيـدةـ وـاـخـرىـ مـعـارـضـةـ وـصـرـخـاتـ اـسـتـنـكـارـ وـنـغـماتـ رـضـىـ وـاسـتـحـسانـ ، وـجـمـاعـاتـ تـشـهـرـ السـلاحـ وـاـخـرىـ تـطـرقـ الـابـوابـ وـتـقـبـلـ الـاعـتابـ وـتـعـصـرـ الـفـكـرـ وـالـلـبـابـ لـنـصـوـغـ كـلـمـةـ مدـحـ اوـ عـبـارـةـ شـكـرـ اوـ قـصـيـدـةـ اـسـتـجـداءـ .

كل هذه المفارقات والمتناقضات زخر بها مجتمع المدن الاسلامية الكبيرة وبالاخص بغداد حاضرة الدولة العباسية . وقد برع الرأي العام الاسلامي في هذه المجتمعاتحقيقة ملموسة واتخذ اشكالا مختلفة ، فهو يبدو تارة رأيا علينا مجاهاـراـ بهـ كـمـاـ فيـ الـحـركـاتـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـالـانـقـسامـاتـ الـمـذـهـبـيـةـ وـالـمـنـاظـرـاتـ الـفـقـهـيـةـ وـالـحـركـاتـ الشـعـبـيـةـ الـتـيـ قـدـ تـلـجـأـ إـلـىـ الـاسـالـيـبـ الـمـتـطـرـفـةـ وـالـوسـائـلـ غـيرـ المـشـروـعـةـ كـمـاـ فيـ حـركـاتـ الشـطـارـ وـالـعـيـارـيـنـ ، وـفـيـ تـارـةـ اـخـرىـ يـتـخـذـ الرـأـيـ الـعـامـ شـكـلاـ مـؤـثـراـ شـفـهـيـاـ غـيرـ مـباـشـرـ قدـ يـعـبرـ عـنـهـ بـالـنـادـرـةـ وـالـنـظـرـيـةـ وـالـحـكـاـيـةـ وـالـشـائـعـةـ وـالـخطـابـ الـدـينـيـةـ عنـ طـرـيقـ النـصـحـ وـالـاـرـشـادـ .

٣ - مفهوم الرأي العام في الإسلام - دراسة فقهية -

ان مصطلح الرأي العام وان كان مصطلحاً حديثاً كما رأينا ، الا اننا نجد ما يقابلة في التراث الإسلامي ، ولكن بتسميات تختلف عن التسميات العصرية .
الحق ان كل انواع واسكال الرأي العام التي سبق ان استعرضناها يمكن ان نجد لها امثلة في المجتمعات المدنية المكتظة بالسكان في القرن الثالث المجري ، تحت هذه المصطلحات والتسميات : الاجماع ، والقياس ، والاستحسان والمصالح المرسلة ، ويعبر عنها بالاستصلاح ، او مصلحة الامة ، ورأي الاكثرية والامة او الجماعة وشرع ما قبلنا ... وستعرض لامها بایجاز .

آ / الاجماع :

الاجماع في اللغة العزم ، يقال اجمع فلان على كذا إذا عزم عليه^(١) ، ومنه قوله تعالى : « فأَجْعَلُوكُمْ أَمَرَّكُمْ » اي اعزموا عليه قوله (ص) : « لاصيام من لا يجمع الصيام في الليل^(٢) » اي لم يعزم ، ومن معانيه « الاتفاق»^(٣) ومنه قوله لهم اجمع القوم على القتال اي اتفقا عليه ، وهذا المعنى الاخير هو الذي يهمنا ، لانه لا ينعقد الا من اثنين فما فوقهما ، فهو متعلق باتفاق الجماعة على امر ما ، وهذا الاتفاق يعني اتفاق الكثرة الذي يعبر عنه في الوقت الحاضر بالرأي الجامع^(٤) .

(١) الرازي : مختار الصحاح ، ص ١١٠ ض ، ط ٤ بولاق .

(٢) سورة يونس : الآية ٧١ .

(٣) لابي حجر العسقلاني في بلوغ المرام في ادلة الاحكام ، ص ١٠٧ . . « رواه الحمسة » وفي رواية

اخرى « لاصيام من لم يغوضه في الليل » .

(٤) الفيروز ابادي: القاموس المحيط ، مطبعة البابي الحلبي ١٩٥٢ ، ج ٣ ، ص ١٥ .

(٥) وهو ما يسمى بالانكليزية (General Opinion).

ويعني الاجماع باعتباره احد مصادر التشريع الاسلامي : اتفاق اهل النظر في المصالح وهم رجال الشورى الذين تعرض عليهم الحوادث ويتناولونها بالبحث ، وتتفق اراؤهم فيها ولاعبرة لمن يخالفهم عليها لأن الجماعة احق بالاصابة واول بالحججة ، قال (ص) : عليكم بالسود الاعظم^(١) ، ووصى ابو بكر الصديق احد امراء المدينة قائلاً : « اذا وجدت اهل المدينة على امر مستجمعين عليه فلاتشك انه الحق^(٢) »

والاجماع على ضر بين احدهما اجماع الخاصة وال العامة مثل اجماعهم على القبلة انها الكعبة وعلى صوم رمضان ووجوب الحجج والوضوء والصلوات وعددتها ووقاتها وفرض الزكاة وشبهه ذلك . والضرب الآخر هو اجماع الخاصة دون العامة مثل ما اجمع عليه العمل من ان الوطء مفسد للحجج وان البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه وان لا وصية لوارث وان لاتنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وما الى ذلك^(٣)

اما الاجماع الذي يصور : بأنه اتفاق جميع الامة مجتهديها وغير مجتهديها خواصها وعوامها ، فليس بالاجماع الذي يعتبر مصدرًا من مصادر التشريع ، وإنما هو اجماع على العلم بما اجمع عليه الامة ، لثبوته وشيوعه عند جميع المسلمين^(٤) ، كأن نقول : تولى ابو بكر الخلافة بعد وفاة الرسول ، وان بغداد كانت حاضرة الدولة العباسية ، فهذا اجماع شائع ومجموع عليه وهو لا يدخل في باب التشريع الاسلامي . والاجماع تبعاً لزمنه يقسم الى نوعين^(٥) : اجماع الصدر الاول الذي يستند على

(١) البزدوى : علي بن محمد « اصول الفقه » هامش كتاب كشف الاسرار ، طبع في ١٣٠٧ ، ص ٩٦٥ .

(٢) محمود شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة ، ط ٢ ، دار العلم ، القاهرة ١٩٦٤ ص ٥٦٥ .

(٣) الفقيه والمتفقة ح ٥ ص ١٧٢ .

(٤) الاسلام عقيدة وشريعة ، ص ٨٤ .

(٥) وكيح القاضي : اخبار القضاة ج ١ ، ص ١٤٣ .

نص فهو اجماع ولكنه ليس حجة شرعية ، واجماع متأخر يستند على نص واشتهر بين الناس انه حجةٌ شرعية واعتمدت عليه عصور التقليد في سد باب الاجتهاد ، وعصورُ التعصب في الرمي بالتضليل والخروج عن سبيل المؤمنين .

ان فكرة الاجماع في الاسلام مستمدۃ من نظام الشوری الذي فرضه الاسلام على اولی الامر في الا يستبدوا في تدبیر شؤون المسلمين بأنفسهم ، بل عليهم اشراك بقية الصحابة ، فمن ذلك قوله تعالى « فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ » ، قوله : « وَامْرُهُمْ شُورٍ بَيْنَهُمْ » .

وكما ان الرأي - الذي يعتبر الاجماع في بدء امره طورا من اطواره -^(۱) ، لم يتحدد بمفهومه الشائع الا بعد ان تحولت الدولة من دور البداوة الى صور الحكم المنظم ، كذلك فان الاجماع وضح وزال ابهامه ، ونظمت قواعده ، بتذوين العلوم ، وشيوخها ، وتطور الشريعة الاسلامية ، واتساع دائريتها . وخلال ذلك اصبحت فكرة الاجماع عنصرا من عناصر التوفيق والتقرير بين السنة المستحدثة والبدع ، وذلك ان المسلمين اذا اتبعوا عادة من العادات ، او الفوا تقليدا من التقاليد وارتضاه جمهورهم زمانا طويلا ، ولم ينكروه اصبحت هذه العادة او التقليد في النهاية جزءا من صميم السنة^(۲) . وهذه البدع يعم تطبيقها ويتعاد الناس على استعمالها كلما طال الزمن عليها ، وانعقد اجماع المسلمين على اتباعها ، حق يوصف من ينكروها من الفقهاء بأنه « مبتدع » يطالب بأحياء السنن القديمة ، وعليه فالاجماع هنا اصبح اداة في اقرار بعض البدع المستحدثة اذا سكت المسلمين عليها بادىء امرها^(۳) .

(۱) سورة آل عمران^(۴) : الآية ۱۵۹ .

(۲) سورة الشورى : الآية ۳۸ .

(۳) مصطفى عبد الرازق : تهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ج ۲ . لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ۱۹۰۹ ، ص ۱۷۲ .

(۴) اجناس جولد تسپير : العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ۲۵۳ .

(۵) نفس المصدر السابق ، ص ۲۵۴ .

ويعرف الاجماع بأنه : « اتفاق المجتهدين في عصر على حكم شرعي » ، او « اتفاق مجتهد عصر من امة محمد على امر ديني » . وبناء على ذلك فان الشرط الاول لتحقيق الاجماع ، هو حصول اتفاق المجتهدين ، لأن اتفاق غيرهم لا يكون اجماعاً .

والمراد بالاتفاق : الاشتراك في القول او الفعل او الاعتقاد ، كما ان اصطلاح مجتهدين ، قد يعني الفقهاء او علماء الامة او اهل الحل والعقد او اهل الرأي والاجتهاد ، اي كل من كان بالغاً عاقلاً قادراً على استخراج الأحكام من غير العوام الذين لا يشترط بالضرورة موافقتهم او مخالفتهم . غير ان هذا لا يعني ان كل الفقهاء ينكرن موافقة العوام ، فمنهم من يعتبر موافقتهم شرطاً لانعقاد الاجماع ، واصحاح هذا الرأي يعرفون الاجماع بأنه : « اتفاق امة محمد بدلاً من اتفاق المجتهدين » .

وهناك من يرى في الاجماع « اجماع الصحابة والتابعين » . ويشرط هؤلاء وجود مستند يستندون عليه او سابقة يقيسون عليها ، ومثلهم على ذلك مبادرة الصحابة والتابعين الى بيعة ابي بكر (رض) وتسليم النظر في امورهم اليه ، وقد استندوا على امتناع خلو الوقت من امام بعد وفاة الرسول (ص) ، ونصهم في ذلك

١. علي عبد الرزاق : الاجماع في الشريعة الاسلامية ، دار الفكر العربي سنة ٩٤٧ ، ٩ .

٢. القمي : المقالات والفرق - التعليقات - ص ١٤٤ .

٣. دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١ ، ص ٤٥٣ .

٤. محمد عبد الرؤوف بهنسى : الرأي العام في الاسلام ، دار الجليل ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٥٢ .

٥. علي عبد الرزاق : الاجماع في الشريعة الاسلامية ، ص ٧ .

٦. علي عبد الرزاق : الاسلام واصول الحكم ط ٢ ، سنة ١٩٢٥ ، ص ١٣ .

خطبة أبي بكر « الا ان محمدًا قد مات ولابد لهذا الدين من يقوم به »^١ . حتى أصبح هذا التقليد اجماعاً دالاً على وجود تولية الامام^٢ . وعليه فان هذا الاجماع استند على مبادرة أبي بكر ، كما ان اجماعهم على توليته الخلافة ، استند على امامته في الصلاة أثناء مرض رسول الله^٣ .
ان كثيراً من الافكار النظرية ذات الطابع الديني قد وجدت في الاجماع قاعدة شرعية مقبولة ، قد تكون في بعض الاحيان واجبة الاعتقاد .

ودائرة الاجماع في مبدأ الامر اقرب الى الاحساس الجمعي منها الى المعنى الديني المحدد ، ومن العبث حصره^٤ بزمان او مكان معينين ، كاجماع الصحابة او اهل المدينة القدامى . ولا يكفي من جهة اخرى ان يترك الاجماع حرراً كالاحساس الغريزي للجماعة . وانهراً وجدت قاعدة تقول ان الاجماع : « عبارة عن التعاليم والافكار المجمع عليها من اهل الخل والعقد في زمن معين ، فهم الذين لهم الحق في بيان الفقه والعلم واستنتاج ذلك ، وهم يحكمون بصحبة استعمالها »^٥ .

ويعنى آخر : اتفاق القادرین على الحكم في المسائل الدينية . فاصبح بذلك يعني اتفاق من اهل العلم . ولما كان من المتذر حصول مثل هذا الاتفاق في مسألة آتية او مستقبلة ، فقد اقتصرت احكامه على الماضي وكون العامل الفاصل فيه استرجاع الاحداث الماضية^٦ . ومن امثلة ذلك الاجماع ، : ان لغة العبادة في

١- ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وجامعة ، ط٢ . مصطفى البابي الحلبي

ولولاده بمصر ١٩٥٥ ، ق٢ ، ص ٦٥٦ .

٢- ابن خلدون : المقدمة ، دار احياء التراث - بيروت ، ص ١٩١ .

٣- ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ، ج ١ ، ص ٣٤٦ .

٤- جولد تسيلر : العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ٦٣ .

٥- جرونيباوم : حضارة الاسلام ، دار مصر للطباعة ١٩٥٦ ، ص ١٩٣ - ١٩٤ .

الاسلام هي العربية وكل شعائر العبادة تقال وتؤدى بلغة القرآن ، والاجماع شأنه شأن الامور والاحاديث والأراء التي شهدتها المجتمع الاسلامي ، والتي لابد لها من نص تستند عليه من الكتاب والسنة النبوية تتلوها الاسانيد الأخرى .

لقد اجهد انصار الاجماع ، ومنكروه انفسهم في الحصول على مثل هذه النصوص ، فقد روى ان الامام الشافعي وهو اول من بسط نظرية الاجماع في الاسلام قد اجهد نفسه كثيراً للوصول الى آية قرآنية يستند عليها في حجية الاجماع^(١) ، وهي قوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُوله ماتولى ونصليه جهنم وساعت مصيرنا^(٢) » .

واورد الفقهاء آيات قرآنية اخرى تدلل على حجية من ذلك قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً^(٣) » وقوله : « لا اكره في الدين^(٤) ». اضافة الى الاحاديث العديدة التي يعتمد عليها هذا المبدأ فقد روى الشافعي ان النبي (ص) قال : « ثلاث لا يصلح عليهن قلب مسلم : اخلاص العمل لله تعالى ، ونصيحة المسلمين ، ولزوم جماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من ورائهم^(٥) » وقوله (ص) « لم يكن الله ليجمع امتی على ضلال^(٦) » و « يد الله مع الجماعة^(٧) » و « عليكم بالسود الاعظم^(٨) » و « من

(١) جولد تسهير : العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ٦٢ .

(٢) سورة النساء (٤) : الآية ١١٥ .

(٣) سورة البقرة (٢) : الآية ١٤٣ .

(٤) سورة البقرة (٢) : الآية ٢٥٦ .

(٥) جروينباوم : حضارة الاسلام ، ص ١٩٥ .

(٦) ابن عثمان الطياط : الانصار ، ص ٩٧ .

(٧) السيوطي الجامع الصغير في احاديث البشير النذير ، مطبعة البابي الحلبي ١٩٥٤ ، ح ٢ .
ص ٢٠٥ .

(٨) يوضح البزدوى هذا الحديث في كتابه « اصول الفقه » هامش ص ٩٦٥ بقوله : ان النبي (ص)
جعل اجماع الامة حجة فهي احق بالكرامة والاصابة .

الخطيب البغدادي : الفقيه والمتفقة دار احياء السنة النبوية القاهرة ١٩٧٥ م ١٧٦ ص

خرج من الطاعة وفارق الجماعة ومات فميته ميتة جاهلية^(١) .
 اما دليлем العقلي على حجة الاجماع : فان الفقهاء اجمعوا على القطع بتخطئة
 المخالف بل ان بعضهم حكم بالكفر على من انكر المجمع عليه ، «باعتباره عملا
 تلقته الكافية من الكافية لما لا شبهة في ثبوته عن صاحب الشرع^(٢) » .
 اما المنكرون لحجية الاجماع فقد اعتمدوا على آيات قرآنية منها قوله تعالى :
 «تبيننا لكل شيء^(٣) وقوله «فإن تنازعتم في شيءٍ فردوه إلى الله والرسول^(٤) » .
 وهناك من وقف من الاجماع موقفا وسطا كالشيعة الذين لم يرفضوه بالمرة ولم
 يأخذوا به كأنصاره ، فهو عندهم لا يبلغ حجة الصواب ولا ينعقد من غير معاونة
 الامام المعصوم ، والسلطة الشرعية المخولة له^(٥) .
 لقد اختلفت المذاهب في تفسير حقيقة الاجماع فمثمن من رأى انه «اتفاق جميع
 المجتهدين على حكم شرعي ، ومنهم من رأى انه اتفاق اكثراهم او طائفة منهم^(٦) .
 وفي الوقت الذي ذهب الشافعي الى ان «الاجماع هو اتفاق جماعة المسلمين^(٧) » ،

(١) ابن جعفر المسقلاني : بلغ المرام في ادلة الاحكام ، ص ٢١٣ « وقد اخرجه مسلم » .

(٢) شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة ، ص ٨٤ .

(٣) سورة النحل (١٦) الآية ٨٩ في نهج البلاغة ، حد ١ ، ص ٥٥ ان الامام علي استند على هذه الآية في الرد على الأخذين بالرأي .

(٤) سورة النساء (٤) : الآية ٥٩ .

(٥) جولد تسپير : العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ٢١٣ .

٦٠ شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة ، ص ٨١ .

٦٠ الشافعي : رسالة اصول الفقه ، ص ٦٥ .

ذهب مالك الى انه يعني اجماع اهل الحرمين مكة والمدينة^{١٠} ، كالذى روى عن محمد بن ابى بكر انه « كان اذا قضى بقضاء خالف للحادي استند على ما اجتمع عليه اهل المدينة »^{١١} . وعند الحنفية هو اجماع اهل الكوفة^{١٢} ، وهذا النوع من الاجماع المحلى^{١٣} . في حين ان الامام احمد بن حنبل لم يعتمد بالاجماع حتى فضل عليه الحادىضىيف^{١٤} وعنه ان من ادعى الاجماع فهو كاذب^{١٥} . وجاء العلماء المسلمين فيما بعد فأجهدوا انفسهم في تعريف معنى الاجماع ، فقال الامام الغزالى انه : اتفاق امة محمد خاصة على امرٍ من الامور الدينية^{١٦} .

ويقدم الطبرى مفهوماً جديداً للاجماع فيعتبره ، اجماع اهل كل عصر وليس واحد من بعدهم ان يقول بخلافه وهذا ما سماه بـ (مذهب الجمهور) ، الذي يرى في الاجماع حقيقة واقعة متفق عليها^{١٧} . وهذا التعريف الذى يقدمه الطبرى من اقرب التعرifات الى مفهوم الرأى العام السائد ، اذ انه قد اکد على اساسين يحددان الرأى العام ، اوهما : تشابه الظروف الموضوعية التي تعيشها الجماعة والتي تولد رأيا عاماً كلياً يطبع هذه الجماعة ، وقد سماه بمذهب الجمهور . وثانيةما : اخذه بمبدأ التطور الاجتماعى الذى يعني ان الرأى العام يتعدد وفق المفاهيم السائدة في المجتمع فما يعتبر اجماعاً في مجتمع من المجتمعات قد لا يعتبر كذلك في مجتمع آخر ، وقد سمي الطبرى ذلك بـ اجماع اهل كل عصر .

- ^{١٠} جروزياون : حضارة الاسلام ، ص ١٩٣ .
- ^{١١} وكيع القاضي : اخبار القضاة . ج ١ . ص ١٧٦ .
- ^{١٢} مصطفى عبد الرازق : تهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ١٧٢ .
- ^{١٣} دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١ ، ص ٤٣٨ ، مادة اجماع .
- ^{١٤} احمد امين : ضحى الاسلام ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .
- ^{١٥} الاسلام عقيدة وشريعة ص ٨١ .
- ^{١٦} مصطفى عبد الرازق : الاجماع في الشريعة الاسلامية ، ص ٨ .
- ^{١٧} مصطفى عبد الرازق : تهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ١٧٢ .

وفي الوقت الذي اجمع اكثراً أهل السنة على ان الاجماع حجة شرعية ، ذهب الامامية من الشيعة مذهبها آخر ، فقد قللوا من اهمية الاجماع وقيمة كمصدر للعلم الديني ، وسلموا نظرياً بقيمتة في الفصل بالمسائل الدينية^{١٠}.

ب / الرأي والقياس :

والرأي هو الاعتماد على الفكر في استنباط الأحكام الشرعية ، حتى لقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن الرأي مترافق للقياس والاجتهاد ، بل والاستحسان والاستنباط فجمعوها كلها في معنى واحد^{١١}. وهناك من يرى أن الاجتهاد أعم من القياس والقياس داخل فيه وهو حجة في ثبات الأحكام العقلية^{١٢}.

لقد اتفق الصحابة على استعمال الرأي في الواقع التي لم يرد فيها نص شرعي ، ثم توسيع دائرة استعماله في زمن التابعين وتبعي التابعين حتى أصبح يعني الاجتهاد^{١٣}. فكان أكثرهم أخذوا به المخفية وأقلُّهم المخابلة ، وأما المالكية

١٠. ابن عثمان الخياط ، الانتصار ، ص ١٧٢ .

١١. الأمدی : الأحكام في أصول الأحكام ، ج ٤ ، ص ١٥٨ - ٢ ، وقد أوضح فيه كل ما يتعلق بالقياس من اقسام واسانيد وسائل .

١٢. الفقيه والمتنفه ج ٥ ، ص ١٧٨ .

والقياس في اللغة : تقدير الشيء على مثاله . الرازی : خثار الصحاح ، ص ٥٥٥ .

١٣. دائرة المعرفة الإسلامية ، ص ٤٣٥ ، مادة اجتهاد .

والشافعية فوقفوا بين الفريقين^(١) ، ومن جوز الرأي في الأحكام فرقة النجدية من الخارج^(٢) . ينسب لابي حنيفة الفضل في ازدهار مدرسة العراق التي عولت على الرأي بالدرجة الأولى حتى عرفت بمدرسة الرأي^(٣) . وهكذا غدا الرأي في التشريع الإسلامي مصدر رابعاً بعد القرآن والسنّة والاجماع^(٤) .

ويعتبر القياس مرادفاً للرأي^(٥) ، ومصدراً من مصادر التشريع الإسلامي ، فرع إليه الخلفاء والصحابة ودعاة الرأي ووجدوا في القرآن والحديث ما يبرر جوعهم للقياس والأخذ به في الحالات التي لم يرد فيها نص من القرآن والسنّة^(٦) ، كقوله تعالى «فاعتبروا يا أولى الابصار»^(٧) وقوله «اطبعوا الله واطبعوا الرسول وأولي الامر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تومنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً»^(٨) . ووجدوا في السنّة ما يعزّز مبدأهم من ذلك أيضاً مانسب إلى رسول الله (ص) قوله «إذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران وإذا حكم فاجتهد فأنخطاً فله اجر»^(٩) ومن ذلك أيضاً حديث الرسول (ص) لمعاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن ، قال له : «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال : أقضى بكتاب الله ، فإن لم أجده فبسنة رسول الله فإن لم أجده اجتهد برأي ولا آلو ، فضرب

(١) جرونيبارم : حضارة الإسلام ، ص ١٩٠ .

(٢) الأشعري : مقالات المسلمين ، حد ١ ، ص ١٩٠ .

«والنجدية فرقة من فرق الخارج اتباع نعجة بن عامر الحنفي » الشهريستاني : الملل والنحل ، ق ١ ، ص ١١١ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٤٦ . كما عرف دعاتها بالأراثين أصحاب أرأيت أرأيت ؟ - الفقيه والمتفقه ، حد ٥ . ص ١٨٤ .

(٤) القمي : المقالات والفرق ، والتعليق ، ص ١٤٤ .

(٥) سئل الشافعي : ما القياس : هو الاجتهاد أم هما مفترقان ؟ قال هما اسمان لمعنى واحد » الشافعي : الرسالة ، ص ٦٦ .

(٦) عبد المتعال الصعدي : في ميدان الاجتهاد ، ص ٢٥ .

(٧) سورة الحشر (٥٩) : الآية ٢ .

(٨) سورة النساء (٤) : الآية ٥٩ .

(٩) الفقيه والمتفقه ، حد ٥ . ص ١٩٠ .

الرسول صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله^(١) .

ولعل ما يعنينا هنا انهم قاسوا الخلافة على الامامة في الصلاة وبايعوا ابا بكر لان النبي قدمه للصلاحة في الناس^(٢) ، « فمن ارتضاه الناس لدينهم صالح لدنياهم^(٣) » . وان ابا بكر قاس قتال مانع الزكاة على تاركي الصلاة وقال : « والله لاقاتل من فرق بين الصلاة والزكاة^(٤) » ، ذلك ان كليهما من اركان الاسلام واستنادا الى قوله (ص) : « من بدل دينه فاقتلوه^(٥) » . « ومن ذلك قياس ابي بكر تعين الامام بالعهد على تعينه بعقد البيعة حتى انه عهد الى عمر بالخلافة ووافقه على ذلك الصحابة^(٦) » . وكذلك مقاله عمر بن الخطاب لابي موسى الاشعري ، لما ولاه قضاء الكوفة « الفهم الفهم فيها يتلجلج في صدرك ويشكل عليك مالم ينزل في الكتاب ولم تجربه سنة ، واعرف الاشباه والامثال ثم قس الامور بعضها ببعض^(٧) » . وكتب عمر (رض) الى شريح « اذا حضرك امر لا بد منه فانتظر ما في كتاب الله فاقض به فان لم يكن فيها قضى به الرسول (ص) فان لم يكن فيها قضى به الصالحون وأئمة العدل . فان لم يكن فانت بالخيار فان شئت ان تجتهد رأيك فأجتهد رأيك . . . »^(٨)

(١) الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ٦٧ . الشهري : الملل والنحل ، ق ١ ، ص ١٨١ . ايضا : الفقيه والمتفقه ، ج ٥ ، ص ١٨٨ ، ايضا البزدوي : اصول الفقه هامش ص ٩٩٨ .

(٢) في صحيح البخاري ج ٤ ، ص ١٦٠ « ان رسول الله (ص) قال في مرضه مروا ابا بكر يصل بالناس . . . فاما ثلاث مرات الى ان جيء به فامرهم بالصلاحة » وفي ج ٣ ، ص ٥٩ روى البخاري « الرسول خرج مرة من حجر عائشة وابو بكر يصل بالناس فظنوا انه يريد الصلاة لاشارة اليهم بيده ان اتموا صلاتكم » .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢١٩ ، ٢١٣ . القمي : المقالات والفرق ، ص ٧ .

(٤) صحيح البخاري ، ج ٤ ، ص ١٥٨ .

(٥) ابن حجر العسقلاني : بلوغ المرام في ادلة الاحكام ، ص ٢١٥ .

(٦) الامدي : الاحكام في اصول الاحكام ، ج ٤ ، ص ٥٣ .

(٧) وكيح القاضي : اخبار القضاة ، ج ١ ، ص ٧١ .

(٨) الفقيه والمتفقه ج ٦ ص ٢٠٠ .

وروى البيروني : انه لما رفع الى عمر بن الخطاب صك محله في شعبان فقال عمر اي شعبان الذي نحن فيه او الذي هو آت ثم جمع اصحاب رسول الله صلى عليه وآلـه فاستشارهم فيها دمهـه من المـحـيـرـةـ في اـمـرـ الـاـوـقـافـ فـقـالـواـ يـجـبـ انـ تـعـرـفـ فيـ ذـلـكـ مـنـ رـسـومـ الـفـرـسـ »ـ فـاخـذـ بـرـأـيـهـ وـماـ اـشـارـواـ بـهـ عـلـيـهـ «ـ وـلـاـ اـرـادـ عـمـرـ اـنـ يـجـتـهـدـ فيـ تـحـدـيدـ صـدـاقـ الـمـرـأـةـ اـعـتـرـضـتـهـ اـمـرـأـةـ قـائـلـةـ لـهـ :ـ مـاـ عـطـاكـ اللـهـ ذـلـكـ يـاعـمـرـ وـالـاـيـةـ تـقـولـ «ـ وـاـنـ اـرـدـتـ اـسـبـدـالـ زـوـجـ مـكـانـ زـوـجـ وـاتـيـتـ اـحـدـاهـنـ قـنـطـارـاـ فـلاـ تـأـخـذـوـ مـنـهـ شـيـئـاـ اـتـأـخـذـوـنـهـ بـهـتـانـاـ وـإـثـيـأـ مـبـيـنـاـ ؟ـ »ـ فـسـكـتـ عـمـرـ ثـمـ قـالـ :ـ اـنـ كـلـ النـاسـ اـعـلـمـ مـنـكـ يـاعـمـرـ حـتـىـ هـذـهـ الـمـرـأـةـ عـجـوزـ وـتـرـاجـعـ عنـ رـأـيـهـ .. وـعـنـ الـامـامـ عـلـيـ (ـرـضـ)ـ قـولـهـ وـهـوـ يـسـلـمـ الرـاـيـةـ اـلـىـ زـيـادـ بـنـ النـظـرـ :ـ قـدـرـ هـذـهـ الـفـتـنـاتـ وـاسـتـعـدـ بـرـأـيـ عـالـمـهـ وـعـلـمـ جـاهـلـهـمـ (ـ١ـ)ـ وـفـيـ هـذـاـ الـمـجـالـ روـيـ :ـ اـنـ رـجـلـاـ مـنـ الـخـوارـجـ دـخـلـ عـلـىـ الـمـأـمـونـ فـقـالـ لـهـ الـمـأـمـونـ :ـ مـاـ حـلـكـ عـلـىـ خـلـافـنـاـ ؟ـ قـالـ آيـةـ مـنـ كـتـابـ اللـهـ وـهـيـ «ـ وـمـنـ لـمـ يـحـكـمـ بـاـنـزـلـ اللـهـ فـأـوـلـئـكـ هـمـ الـكـافـرـوـنـ ..ـ »ـ قـالـ :ـ الـكـ عـلـمـ بـأـنـهاـ مـنـزـلـةـ ؟ـ قـالـ :ـ نـعـمـ !ـ وـمـاـ دـلـيـلـكـ ؟ـ قـالـ :ـ اـجـمـاعـ الـأـمـةـ قـالـ :ـ فـكـمـاـ رـضـيـتـ بـاجـمـاعـهـمـ فـيـ التـنـزـيلـ فـارـضـ بـاجـمـاعـهـمـ فـيـ التـأـوـيـلـ ..ـ »ـ وـاسـتـدـلـوـاـ عـلـىـ الـقـيـاسـ بـالـعـقـلـ اـذـ لـوـلـاهـ لـحـصـلـ مـاـيـقـابـلـهـ مـنـ وـهـنـ وـشـكـ وـلـاحـجمـ الـفـقـهـاءـ عـنـ حـلـ الـمـسـائـلـ الـشـرـعـيـةـ الـتـيـ لـمـ يـرـدـ فـيـهـ قـرـآنـ اوـ سـنـةـ وـلـتـعـرـضـ الـدـيـنـ الـاسـلـامـيـ لـتـهـمـةـ الـعـجـزـ وـالـقـصـورـ .ـ

١٠. لـبـيـرـوـنـيـ :ـ الـأـثـارـ الـبـاقـيـةـ عـنـ الـقـرـونـ الـخـالـيـةـ لـبـيـزـكـ ١٩٢٣ـ صـ ٢٩ـ .ـ

١١. اـنـتـاجـ الـمـسـتـشـرـفـينـ دـارـ الـأـثـارـ بـيـرـوـتـ ١٩٦٩ـ صـ ٣٩ـ .ـ

١٢. الـمـصـدـرـ نـفـسـهـ صـ ٤٠ـ .ـ

١٣. سـوـرـةـ الـمـائـدـةـ :ـ الـآـيـةـ ٤٤ـ .ـ

١٤. اـسـيـرـطـيـ :ـ تـارـيـخـ الـخـلـفـاءـ ،ـ صـ ٣٢٠ـ .ـ

اما الذين انكروا حجية القياس ، فقد اعتمدوا على قول رسول الله (ص) : « تعمل هذه الامة برهة بكتاب الله ثم تعمل بسنة رسوله ثم تعمل بالرأي فاذا اعملوا بالرأي ضلوا وأضلوا^{١٠} » قوله : « ستفرق امتى على بضم وسبعين فرقة اعظمهم فتنة قوم يقيسون الامور برأيهم فيحرمون الحلال ويحللون الحرام^{١١} » قوله : « ان الله لا يتزعزع العلم بعد ان اعطاهمه انتزاعا ، ولكن يتزعزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم ناس جهال يُستفتوحون فيفتون برأيهم فَيُضْلِلُونَ وَيُضْلَلُونَ^{١٢} » ، كما استند المنكرون على قول نسب للإمام علي (رض) وهو : « لو كان الدين بالرأي لكان اسفل المخلف اولى بالمسح من ظاهره^{١٣} ». « وان الخلاف يهدم الرأي^{١٤} » « والرأي قد ينزل ، والقياس يحمل كثيرا مما حرم^{١٥} » .

وذهب المنكرون الى الطعن في صحة ماروى عن عمر في وصيته لابي موسى الاشعري : « ... اعرف الاشباه والامثال وقس الامور عند ذلك » وحجتهم في ذلك ان هذه الرواية انفرد بها عبد الملك بن الوليد بن معد ان عن ابيه وهو ساقط وأبوه اسقط منه

١٠. السيوطي : الجامع الصغير في احاديث البشير النذير ، ج١ ، ص ١٣٢ . ايضا الفقيه والمتفقه

ح٥ ص ١٨٠ .

١١. منصور ناصيف : التابع في الحديث ، ج ٤ ، ٣٦ . الامدی : الاحکام في اصول الاحکام ،

ج ٤ ، ص ٦٣ . ايضا كشف الاسرار ، ح ٣ . ص ٩٢ .

١٢. صحيح البخاري : ج ٤ ، ص ١٩١ .

١٣. الامدی : الاحکام في اصول الاحکام ، ج ٤ ، ص ٥٩ .

١٤. بیح البلاحة للإمام علي - شرح محمد عبده - ج ٣ ، ص ١٨٥ .

١٥. الفقيه والمتفقه ، ح ٥ ، ص ١٨٣ .

وينسب البخاري في كتابه كشف الاسرار ح ٣ . ص ٩٢ . هذا القول انى عبدالله بن مسعود .

وقد سماها ابن حزم بالرسالة المكذوبة^(١) . كما ذهبا الى ان القياس يبعد التقوى وان اول من قاس هو ابليس اذ امره الله بالسجود لأدم فقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقتة من طين^(٢) . ومن « انكر الرأي والقياس وتمسكوا بظاهر القرآن واحكامه الا زارقة»^(٣) .

ج / الاستحسان :

وهو مصدر من مصادر التشريع الإسلامي ، وباب من ابواب الاجتهاد الفقهي^(٤) ، ويطلق الاستحسان « على ما يميل اليه الانسان ويهوا في الصور والمعاني ، وان كان مستقبحا عند غيره ، وهو في اللغة استفعال من الحسن»^(٥) وهو « كالرأي يعتمد على الفكر في استنباط الاحكام الشرعية»^(٦) . وقد اختلف الفقهاء في تعريفه ، فهو عند الحنفية والزيدية متقارب ، فهم يقولون كما قال ابو الحسن الكرنخي : « الاستحسان هو العدول في مسألة عن مثل ما حكم به في نظائرها الى خلافه لوجه هو اقوى ، ويدخل فيه العدول عن حكم العموم الى مقابله للدليل المخصوص ، والعدول عن حكم الدليل المنسوخ الى مقابله للدليل الناسخ»^(٧) ، ويتأنى عندهم بالقياس ولذلك اعتبروا القياس استحسانا^(٨) . ومثل ذلك جاء تعريفه في كتب الزيدية « وأساسه العدول عن مقتضى القياس الظاهر الى قياس اشد تأثيرا

(١) ابن حزم : المثل ، ج ١ ، ص ٥٩ .

(٢) الفقيه والمتفقه ، ح ٥ ص ١٨٥ ايضاً كشف الاسرار ح ٣ . ص ٩٩٢ .

(٣) الاشعري : مقالات المسلمين ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

(٤) والا زارقة فرقه من فرق الخوارج أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق .

الشهرستاني : الملل والنحل ، ق ١ ، ص ١٠٩ .

(٥) محمد ابو زهرة : الإمام الصادق ، ص ٥٢٧ .

(٦) الامدي : الاحكام في اصول الاحكام ، ج ٤ ، ص ٢١٠ .

(٧) مصطفى عبد الرزاق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ١٣٧ .

(٨) الامدي : الاحكام في اصول الاحكام ، ج ٤ ، ص ٢١٢ ايضاً كشف الاسرار ح ٤ . ص ١١٢٣ .

(٩) كشف الاسرار ، ح ٤ . ص ١١٢٤ .

وان كان اخفى او الى نص ، او الى اجماع ، او الى ضرورة^(١) » ، وهو عند المالكية ، « الاخذ بالاستدلال المرسل في مقابل القياس بأن تكون ثمة مصلحة اقتضت العدول عن موجب القياس فانه يحکم بوجوب المصلحة الملائمة لمقاصد الشارع^(٢) ». وعرفه ابو الحسين البصري : « بانه ترك وجه من وجوه الاجتهاد غير شامل شمول الالفاظ لوجه اقوى منه وهو في حكم الطارئ على الاول^(٣) » .

احتاج بالاستحسان الحنفية والحنابلة والمالكية والزيدية ، ورفضه الشيعة الامامية لانه قائم على القياس ، والقياس مبدأ لايسوغونه في جملته ، فيما قام عليه لايسوغونه^(٤) ، وانكره الشافعي والغزالى^(٥) . فقد نقل عن الشافعى قوله : « من استحسن فقد شرع وعمل بالهوى^(٦) » فهو يعتبره تشريعا . وهو عند الغزالى اصل موهوم « من ظن انه اصل خامس فقد اخطأ^(٧) ». والشيعة تشرط في قبوله صدوره من امام معصوم ابعاداً للمفسدة والهوى^(٨) » .

استند دعوة الاستحسان ، على الكتاب كقوله تعالى : « واتبعوا احسن ما انزل اليكم^(٩) » وقوله : « الذي يستمعون القول فيتبعون احسنه^(١٠) » قوله الرسول

(١) محمد ابورزهرا : الامام الصادق ، ص ٥٢٧ .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) الامدى : الاحكام في اصول الاحكام ، ج ٤ ، ص ٢١٢ - ٢١٣ . « وهو يعتبر القياس لقطا شاملا ، والاستحسان اصل مع انه قياس ترك له الاستحسان » .

(٤) محمد ابورزهرا : الامام الصادق ، ص ٥٢٨ .

(٥) الحيدري : اصول الاستنباط ، ص ٢٦٤ .

(٦) الشافعى : الرسالة في اصول الفقه ، ص ٧٠ . ايضاً كشف الاسرار^٤ . ص ١١٢٣ .

(٧) الحسفي : المبادئ العامة للفقه الجعفرى ص ٣٠١ .

(٨) الخضرى : تاريخ التشريع الاسلامي ، ص ٢٦٣ .

(٩) سورة الزمر (٣٩) : الآية ٥٥ .

(١٠) سورة الزمر (٣٩) : الآية ١٨ .

(ص) : « ما رأه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن^(١) ». وقد برع فيه فقهاء العراق ، ونقل عن أبي حنيفة قوله : « حجج الشرع ، الكتاب والسنّة والاجماع والقياس والاستحسان^(٢) ». وكان في بعض الضرورات يرجح الاستحسان على القياس^(٣) من ذلك قول محمد بن الحسن الذي يأتي بعد أبي حنيفة تسلسلا في مدرسة الرأي : « استحسن وادع القياس^(٤) » ، لأن قياس مسألة على حكم سابق قد لا يتحقق حلا مقبولا لهذه المسألة في ظرفها الآني ، وعليه فالاستحسان ضرب من ضروب الحكم الشخصي الذي يذهب بالمسألة الى اصل خاص او عام يرى فيه المجتهد اتفاقا وواقع الحال ولذلك اعتبره الشافعي عملا بالموى وبالغ في انكاره وقال من استحسن فقد شرع^(٥) .

د- الاستصلاح او المصالح المرسلة :

في اللغة استصلاح شيء وجد فيه صلاحا وهو نقيس استفسد^(٦) ، وفي الشريعة الاسلامية يعني : الحكم في مسألة لا حكم فيها لمصلحة يهتم بها المجتهد برأيه فيوضع لها الحكم المناسب ، وسميت بـ (المصالح المرسلة) لأنها « مطلقة غير مقيدة ، وموردها كل ما يخدم مصلحة الجماعة ، او غالبية الناس ، او لمصلحة خاصة يتوصل اليها بالرأي والاجتهاد^(٧) » ، وهذا قد يتطلب التخلّي عن القواعد التي قررتها الشريعة او اهمتها^(٨) وصولا الى ما يتحقق المصالح ، او المنافع ، وما ينسجم

(١) علي عبد الرزاق : الاجماع في الشريعة الاسلامية ، ص ٣٤ .

(٢) البخاري : عبد العزيز كشف الاسرار ، طبع حسن حلي الريزوبي ، ١٣٠٧ ، ح ٤ . ص ١١٢٣ .

(٣) المصدر السابق نفسه ، ح ٤ . ص ١١٢٦ .

(٤) الخضري : تاريخ التشريع الاسلامي ، ص ٢٠٠ .

(٥) كشف الاسرار ٤ . ص ١١٢٣ .

(٦) الفيروز ابادي : القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢٤٣ ، الرازي : مختار الصحاح ، ص ٣٩٧ .

(٧) جولد تسيلر : العقيدة والشريعة في الاسلام : ص ٢٥٥ .

(٨) في ص ٣٣ وص ٣٤ اوضحت امثلة تعزز هذا المبدأ .

و حاجات ومتطلبات الافراد ، التي تتحدد وتنتطور حسب البيئات والظروف الاجتماعية ، فهو بالإضافة الى كونه احد مصادر التشريع الاسلامي فانه ايضا عامل مهم من عوامل ديمومة الدين ومسايرته لموكب التطور .

ان كثيرا من المسائل والقضايا التي يقف تجاهها التشريع بطابعه الجامد عاجزا ، كما ان كثيرا من الامور الشرعية التي تتعارض ومصالح الفرد الاجتماعية ، يأتي مبدأ الاستصلاح ليضع لها حلولا قد تكون مقنعة لاصحاحها في الغلب . من هذا كله يمكن ان نجد للاستصلاح كمفهوم تشريعي ما يقابله في الوقت الحاضر ، كمصطلح « الصالح العام » . و « مقتضيات المصلحة العامة » . وهو ما يعرف (Las Publicas) ^(١) . ان اقرار هذا المبدأ في ذاته دليل على المرونة المباحة في دائرة الشريعة الاسلامية ، ويأتي في طليعة المعرفين به الحنفية والمالكية ^(٢) ، فالامام ابو حنيفة يأخذ بالحكم الشرعي المبني على المصالح ، والمالكية تبوز اتخاذ احكام جديدة في الظروف التي تطرأ عليها حوادث جديدة ، اي تبعية الاحكام للاحوال ، ولذلك ترى في الاستحسان استصلاحا ^(٣) .

اما الامام الشافعي فقد رفض الاستصلاح كما رفض الاستحسان واعتبره ضربا من الهوى : « من استصلاح فقد شرع وعمل بالهوى ^(٤) » . واشد منهم رفضا الحنابلة دعاة مذهب القديم على قدمه . وحذر الغزالى من خطر المغالاة في الاعتماد عليه واعتبره خططا لا يقره الشرع ، ولكن مع ذلك لا ينكر الاخذ بالمصالح التي تلائم منهج الشارع الاسلامي ^(٥) . وهذا ما اقرته واجمعت عليه معظم المذاهب الاسلامية

(١) حسين عبدالقادر : الرأي العام الدعوي ، ص ٣٥ .

(٢) جولد تسير : العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ٢٥٦ .

(٣) جروينباوم : حضارة الاسلام ، ص ١٩٢ .

(٤) الشافعي : رسالة في اصول الفقه ، ص ٧٠ .

(٥) الحسني : هاشم « تاريخ الفقه البغدادي » ، دار النشر للجامعين بيروت بلا ص ٣١ .

باعتباره تشريعاً ضمن التشريع الذي مانطق به الشارع العام لفظاً أو معنى ، إلا خدمة لمصالح الجماعة الإسلامية ، وهذا الرأي قد يصطدم بواقع هذه الجماعة المتتطور بتطور المجتمع الذي تعيش فيه .

اما الشيعة عموماً والأمامية منهم على وجه الخصوص فقد انكروه الا اذا صدر من الإمام المعصوم^(١) ، او المجتهد الجامع للشراطط^(٢) ، وحجتهم في ذلك ان الاجتهاد حسب المصالح لا تكون احكاماً شرعية لأنها لا تستند على جعل شرعي صادر من المشرع فهي في نظرهم احكاماً وضعية ، كما ان الانسان عرضة للاختفاء وقد يغلب عليه هواه فيرى المفسدة مصلحة ، والطالع صالحاً ، فهم لم يهملوا المصالح التي تحقق مقاصد الشرع التي ينطق بها الإمام المعصوم المنسجمة مع نصوص الكتاب والسنّة ، وهو الى حد ما يشابه رأي الشافعية والحنابلة ، الا وهو لا تشريع مع الموى^(٣) .

ان من يتصفح التاريخ الإسلامي ، يجد فيه تطبيقات كثيرة لهذا المبدأ من ذلك اعتبار موقف أبي بكر من حروب الردة ، استصلاحاً منه يخدم مصلحة الدين وجماعة المسلمين^(٤) . ومثل ذلك ما استحدثه عمر بن الخطاب عندما استقطع حق المؤلفة قلوبهم في الصدقات لأن الإسلام لم يعد يهاب جانبهم^(٥) ، مع انه تشريع منصوص عليه في القرآن الكريم^(٦) . وكذلك ماحدث لمسجد الرسول الذي وسع واشتري الزائد من

(١) ابن تيمية ، منهاج السنة النبوية ، ج ٢ ، ص ٣٧٩ .

(٢) محمد رضا المظفر : عقائد الإمامية ، ص ٣٤ .

(٣) الشافعی : رسالة في اصول الفقه ، ص ٧٠ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٠٣ .

(٥) احمد امين : فجر الاسلام ، مطبعة بلجنة التأليف والنشر ، ط ٧ سنة ١٩٥٥ ص ٢٣٨ .

(٦) كما في الآية ٦٠ من سورة التوبه « اما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ... » .

اصحابه من غير ضرار^(١)، لان في ذلك صالح لا يتنافى مع الدين بل يعزز ويثبت اركان الاسلام ، ويعود بالنفع عليه وعلى اتباعه ، وفيها بعد اوصى المؤمن اخاه قبل وفاته قائلا : « ولا يهين اليك امر فيه صلاح المسلمين ، ومنفعة لهم الا قدمته واثرته على غيره من هواك^(٢) » .

هـ / الجماعة والامة والاكثريه :

كل هذه تعبير استعملت في المجتمع الاسلامي في عصوره المختلفة ، تقابل الرأي العام في الوقت الحاضر بمعنى او باخر .

فلفظ الامة يطلق على كل الموجودين من المسلمين في اي عصر ، واجماعها على امر يعتبر حجة ، وهذا مايعرف في التشريع الاسلامي بعصمة الامة^(٣) ويوازيها لفظ الاكثريه ، والسود العظيم والجماعة ، والغالبية من الناس . فنقول مثلا الامة العربية لا تقبل الضيم ، وهذا لا يعني جميع من في الامة ، بل اكثريتهم . وفي الوقت الحاضر نقول (رأي الغلبيه) وهو مايثل رأي مايزيد على نصف الجماعة . وهو رأي عدة اقليات اجتمعت حول هدف معين^(٤) .

وكان اول تطبيق لرأي الاكثريه هو حكم الشورى في الاسلام ، استنادا الى قوله تعالى « وشاورهم في الامر^(٥) » ، اي وشاورهم فيها ليس عندهم من الله فيه عهد

(١) جولد تسپير : العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ٢٥٦ .

(٢) الطبرى : ج ٨ ، ص ٦٤٩ .

(٣) جولد تسپير : العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ٦٢ .

كتاب الانتصار لابن عثمان المخاطب المعتزلي ، تحقيق د . نميرج ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٥ ، ص ١٥٨ و ١٥٩ . والامة باسرها لا يجوز عليها الخطأ في جماعها على شيء صحيح وان كانت الشيعة تجزع على الامة الاحتجاج على الفسال ،

(٤) حسين عبد القادر : الرأي العام والدعابة ، ص ٣١ .

(٥) سورة آل عمران (٣) : الآية ١٥١ .

كالحرب ، وعقد الصلح ، وما إلى ذلك من أمور الدنيا ، والمشاورة قد تشمل أمور الدين كما حدث عندما شاور الرسول (ص) أصحابه في أسرى بدر التي لم ينزل في أمرها وهي ، فقد ورد عنه (ص) قوله : « إن يد الله على الجماعة فاتبعوا السواد الأعظم فإن من شلّشذ في النار »^(١) . وكان أكثر الناس اخذًا برأي الأكثريية والشورى ، حتى قالت عائشة : « مارأيت رجلاً أكثر استشارة للرجال من رسول الله . فقد كان يرى الرأي في أصحابه خلافه فيأخذ برأيهم كما فعل في غزوة الأحزاب ، فقد اخذ برأي أصحابه ورجع عن صلح عبيدة بن حبيب والحارث بن عوف على ثلث ثمار المدينة »^(٢) .

وكان (ص) يأخذ برأي الأكثريّة حسناً للنزاع وتجنبًا للخلاف كما حصل في غزوة أحد ، فقد انقسم الناس إلى فريقين : فريق يرى البقاء في المدينة ومن بينهم الرسول ، وشيخ المهاجرين والأنصار ، وأخر يرى الخروج من المدينة وكان أكثرهم من الشبان الذين لم يحضروا غزوة بدر . فنظر النبي في عدد كل من الفريقين فرأى الفريق الثاني أكثر عدداً فأخذ برأيهم في الخروج من المدينة وترك رأيه في البقاء فيها^(٣) .

اما الجماعة فقدفوضها التشريع الإسلامي سلطة الحكم في كثير من أمور الدنيا ، فتتمثل في أولى الامر وهم أصحاب العقول والرأي وال بصيرة واصحاب الخل والعقد في زمن معين^(٤) ، كما قال تعالى : « واذا جاءهم أمر من الامن او الخوف

(١) القبيه والمتفقه ، ح ٥ ص ١٦١ وفي رواية أخرى « إن لا يجتمع على ضلاله فإذا رأيتم الاختلاف فغلبكم بالسواد الأعظم » - المصدر السابق نفسه -

(٢) ابن شام : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وجاءة ، ط ٢ . البابي حلبي وأولاده بمصر ١٩٥٥ ، ق ٢ ، ص ٦٣ .

(٣) المسعودي : التنبية والاشراف ، دار التراث ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٢١١ .
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ط ٦ ، مطبعة بلجنة التأليف والترجمة ، ١٩٦١ ، ج ١ ، ص ١١١ .

(٤) تسيير : العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ٦٣ .

اذ اعوا به ولوردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستبطونه منهم^(١) . وقوله (ص) : « يد الله على الجماعة^(٢) » و « ولا تجتمع امتی على ضلاله^(٣) » . وقوله « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع الاسلام من عنقه^(٤) » . ذكر صاحب كتاب الخراج^(٥) عن موسى بن طلحة عن ابيه قال : مررت مع رسول الله فرأى قوما في رؤوس النخل قال : ما هؤلاء ؟ يأخذون من الذكر فيجعلونه في الاثنى . قال : ما اظن هذا يعني شيئا فبلغهم فتركوه . فبلغ الشيء فقال : ان كان يعني شيئا فليصنعوه فاما هو ظن ظننته » .

وورد عن الرسول انه مر على قوم يؤذبون نخلهم فقال لهم : « لو تركتموه لصلح ، فتركوه من غير تأثير ففسد فاتوا النبي فقال لهم : انتم اعلم بامور دنياكم^(٦) او « عليكم بما كتتم تصنعون » او قال : كما ينفعكم^(٧) . ومعناه ان امور الدنيا متروكة لعلم واجتهاد الجماعة وفق ماتعليه مصلحتها .

يتعدد على الاسنن « تعبير تهديد الامة ، او الجماعة » وهو تعبير مواز تماما لقولنا تهديد العقيدة الدينية ويتمثل خير تمثيل في وقوف « الرأي العام الكلي » او سواد

(١) سورة النساء (٤) : الآية ٨٣ .

(٢) السيرطي : الجامع الصغير في احاديث البشير الثلث ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ .

(٣) الشهري : الملل والنحل : ق ١ ، ص ١٧٩ .

(٤) منصور على ناصف : الناج الجامع للاصول في احاديث الرسول ، ج ٥ ، ص ٣٢٧ .

وفي رواية اخرى « من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية » الفقيه والمتفقه من ١٦٩ .

(٥) القرشي : بحبي بن ادم ، السلفية ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ ، ص ١١١ .

(٦) الناج الجامع للاصول ... ح ٣ ، ص ٢٩١ .

(٧) القرishi : كتاب الخراج ، ص ١١١ .

الامة او الاكثرية او جمهور المسلمين ضد الذين خرجن على الدين او الخلافة الممثلة للدين والدنيا ، وهنا نجد عشرات بل مئات الامثلة الحية سواء ما كان منها مرتبطة بالثورات الداخلية سياسية او اجتماعية او دينية او ما كان مرتبطا بظهور نزعات مخالفة للعرف الديني السائد كالزنوجة والخمرمية والقرمطية وغيرها ، او ما كان مرتبطا منها بمخالفة الاوامر الدينية كشرب الخمر والزنا . ومالاشك فيه فان مسألة الخلافة . بعد وفاة الرسول (ص) كانت عاملا حاسما واساسيا تبانت حوله الآراء التي نسميتها برأي الامة او الجماعة او جمهور المسلمين مما يعكس وجود رأي عام اسلامي تحرك بفعل الاحاديث ليقول رأيه في الخليفة الغلاني معارضا او مؤيدا ، ومثالنا في ذلك ما حدث لاجتماع السقيفة ، فمع ان الرأي العام الاسلامي اتجه بكليته الى اهمية تولية من يقوم بأمور المسلمين بعد رسول الله ، الا ان مسألة تسمية الخليفة بشخص معين ولدت آراء متباعدة ، كل رأى يمثل جماعة او قبيلة من المسلمين ، فجماعه المهاشمين ارتضوا الامام عليا مع ان اغلبهم بما فيهم المرشح نفسه لم يحضروا الاجتماع^(١) ، وجماعة الانصار رشحوا سعد بن عبادة رئيس الخزرج ليكون خليفة اما المهاجرون فقد انحازوا الى ابي بكر^(٢) ، ولا يستبعد ان يكون هناك رأي لم يجاهر به ينادي بأبي سفيان خليفة وهو سيد قريش بالامس القريب وحليف الرسول (ص) القوى بعد فتح مكة والذي قال فيه « من دخل دار ابي سفيان فهو آمن^(٣) ». اجتمعت هذه الآراء التي تمثل اقليات وجماعات من المسلمين واتفقت على توليه ابي بكر الصديق للخلافة^(٤) وهذا مانسميه برأي الاكثرية او الاغلبية ولكن لا يعني رأي جميع الامة

(١) احمد عباس صالح : اليمين واليسار في الاسلام ، ص ٥٨ .

(٢) الشهريستاني : الملل والنحل ق ١ ، ص ٣٠ . سيرة ابن هشام ، ق ٢ ، ص ٦٥٦ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، ق ٢ ، ص ٤٠٣ . ابن خلدون : المقدمة ص ١٩٤ .

(٤) احمد عباس صالح : اليمين واليسار في الاسلام ، ص ٥٨ .

الاسلامية ، بل اكثريه هذه الامة وعليه يمكن القول اذ بجيء ابي بكر للخلافة كان استجابة لرأي الاكثريه الاسلامية ” ولرأي جهور المسلمين ” ومن ذلك ايضا ما اعمد اليه الخليفة الثاني قبل وفاته اذ عهد بأمر من يخلفه الى ستة نفر من الصحابة وهم الستة الشوري ” . وقال ابا يحيى صهيب الرومي وقد امره ان يصلى بالناس ” . . . فان اجتمع خمسة وخالف واحد فاقتلوه وكذلك ان خالف اثنان واجتمع اربعة نفر فان افترقوا فرقتين فكونوا من الفرقة التي فيها عبد الرحمن بن عوف وان ابى الفرقة الانخرى الدخول فيها اجتمع عليه المسلمين فاقتلوهم ” . ” ما يدل على ان عمر بن الخطاب قد رجح رأى اكثريه اهل العقد والحل ، وذكر أن المأمون لما هم بلعن معاوية قيل له : ان العامة لا تتحمل هذا ولا سيما اهل خراسان ” ” فعدل عنه استجابة لرأى الاكثريه ورضوخا للرأي العام ومثل ذلك لما اراد فرض مقولته في ان القرآن خلوق ” ” . وروى السيوطي ” ” : « انه لما تولى المأمون الخلافة ، وكان يجلس كل ثلاثة للمناظرة ، دخل عليه رجل عليه ثياب قد شمرها ونعله في يده فقال : اخبرني عن هذا المجلس الذي انت فيه ، جلسته باجتماع الامة ام بالغالبة والقهر ؟ قال : لا بهذا بل كان يتولى امر المسلمين من عقد لي ولا شيء » .

١٠. امام الحرمين الجوني : كتاب الارشاد ، تحقيق د . محمد يوسف موسى وزميله ، السعادة بصر

١٩٥٠ ، ص ٤٢٨ . الماوردي : الاحكام السلطانية ، من ٧ .

٢٠. المقرizi : الموعظ والاعتبار ، ح ٤ من ١٧٣ فقد ذكر انه « لما اختلف الناس في الامام بعد

رسول الله ، ذهب الجمهور الى انه ابو بكر الصديق »

٢٠. احمد عباس صالح : اليدين واليسار في الاسلام ، من ٧٣ .

٢٠. المسعودي : التبيه والاشراف ، من ٢٥٢ - ٢٥٣ . ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ج ١ ، من ٢٤ .

٢٠. ابن طيفور : بغداد ، من ٥ .
٢٠. احمد الدومي : احمد بن حنبل ، من ١١٧ .

و / شرع ماقبنا :

ويقصد بهذا الاصطلاح ماجاءت به الشرائع السماوية التي سبقت الاسلام ، مثل اليهودية والنصرانية ، وقد يتعداها الى ما في حضارات الامم من تراث صالح لا يعارض ومبادئ الاسلام ، ولذلك فان الفقهاء يتهمون استعماله في المسائل الدينية الا ماندر ، وفيما عدا ذلك فقد تردد استعماله على السنة الفلسفية والادباء ولا ادل على ذلك من التراث الاغريقي والفالوسي والهندي الذي تأثروا به^{١٠} . وهو اليوم يقابل تعبير « التراث الانساني » .

ان بعض المذاهب الاسلامية التي تعتمد بالرأي ، لاتنكر الاخذ بحكم الشرائع الاهلية السابقة اذا لم يرد في الشرع الاسلامي جواب له ولا ما يدل على تكليف المسلمين به ، وحججة الاخذين بهذا الرأي : ان التشريع اي تشريع يكون اكثر قبولا ، اذا كان تشريعا سماويا من الله لامن الانبياء ، وعليه فانهم يجوزون الافادة من هذه الشرائع ان لم يجدوا بغيتهم في الشرع الاسلامي ويستندون في ذلك الى قوله تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوح والذى اوحينا اليك » والى قول رسول الله (ص) لماراي في يد عمر (رض) صحيفه من التوراة « لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي »^{١١} .

١٠. جرونبياوم : حضارة الاسلام ، ص ٣٧٤ .

١١. الشورى : الآية ١٣ .

١٢. البردوبي : اصول الفقه هامش ص ٩٣٥ ويوضح صاحب كشف الاسرار في ح ٣ ، ص ٩٣٦ .
هذا النص بقوله : يدل هذا الحديث على ان الرسل المتقدمة صاروا يبعث بيننا بمنزلة امته في لزوم اتباع شريعته لو كانوا احياء وان شرائعهم قد انتهت بشريعته وصارت ميراثا له

اما المنكرون للانحد بـ « شرع ما قبلنا » فحجتهم كمال الدين الاسلامي الذي لم يترك صغيره في مجتمع الانسان الا تناولها بالبحث والتفصيل ، ووضع الحلول لكل خفايا وزوايا الحياة ، فضلا عن ان كل شريعة من الشرائع ناسخة لما تقدمها ، وهذا يعني في نظرهم ان الشريعة اللاحقة تشمل التي سبقها ، وتكمل نفائصها وتفي ب حاجات عصرها^١ ، ويستندون في ذلك الى قوله تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم واممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا^٢ » والى قوله (ص) : « لتبعدن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا حجر ضيق تبعتموهם ، قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ، قال : فمن^٣ ؟ » ، وفي رواية اخرى : « كفارس والروم قال ومن الناس الا اولئك^٤ » .

^١. الحيدري : اصول الاستنباط ، ص ٢٦٧ .

^٢. سورة المائدة (٥) : الآية ٣ .

^٣. صحيح البخاري : ج ٤ ، ص ١٦٢ .

^٤. منصور ناصيف : التاج في الحديث ، ج ١ ، ص ٣٥ .

الفصل الثاني

دراسة المجتمع الإسلامي في

القرن الثالث الهجري

- ١ - سمات المجتمع في القرن الثالث الهجري.
- ٢ - طبقات المجتمع العباسى في القرن الثالث الهجرى.
 - أ - طبقة الخاصة.
 - ب - طبقة العامة.
 - ا - الفلاحون.
 - ب - الصمال وصغار الصناع.
 - ج - العاطلون عن العمل.
 - أ - العيارون.
 - ب - الشطار.
 - ج - المكحون.
 - د - الخدم والرتقين.

دراسة المجتمع الاسلامي في القرن الثالث الهجري

١ - سمات المجتمع في القرن الثالث الهجري :

ان الذي يهمنا من سمات العصر في هذه الفترة ، هي تلك السمات التي تتعلق بالرأي العام بقدر ما تحدده او تكون مهيأة لظهوره بهذا الشكل او ذاك .
يتمثل الرأي العام في هذا العصر في التنظيمات السياسية والحركات الدينية والثورات ورجال الادب والفن والفكر . وكذلك في الطوائف والكتل الاجتماعية المتنوعة ، ويمكن تصنيف هذه الجماعات على اساس موقفهم من السلطة والنظام الاجتماعي القائم آنذاك كما يلي :-

ا- المؤيدون والمبررون : ويتمثل في الطبقات والفتات المنتفعه واتباعهم ، وفي فرقه الجبرية ، ومن يقول بالارجاء ، وكذلك معظم من يسمون بفلسفه الاسلام من اقر الحكم الفردي والطبقية والرق ، وابقاء الملكية الفردية بلا حدود .

٢ - المعارضون :-

آ- الثوار المحاربون : ويتمثل هؤلاء في بقايا الخوارج ، والثورات ذات الاتجاهات السياسية ، او الدينية ، وفي بعض المفكرين الافراد ، واتجاهات بعض طوائف الشيعة

ب- النظريون : مثل اخوان الصفا ، الذين ارادوا تبديل الاوضاع على اساس التربية او الفلسفة فقط بالاعتماد على طبقة الخاصة المتنورة .

ج- الفوضويون ، كالعيارين والشطار وكل الحركات الشعبية التي تفتقر الى المدف الاجتماعي والتخطيط ، وتسعى الى تقويض النظام او تعكيره دون إحلال

نظام عادل بديل مسلح بنظرية .

٣- المعتلون للصراع ، طلبا للخلاص الفردي فقط ، مثل الزهاد ، والصوفية

هذا الرأي بكل اتجاهاته التي اشرت اليها ، ليس سوى صورة ونتيجة للوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي في القرن الثالث الهجري والذي بدأ خيوطه تمت وتشابك قبل ذلك منذ الحكم الراشدي ، ولكنكي نتعرف على معنى هذا القول ، وصورة العصر وامتداداته في الماضي والحاضر نشير الى اهم الخطوط السائدة في الفترة السابقة له ، والتي ثبتت وتأكدت فيه ، وان لم تظهر جمعيها في وقت واحد ، فان بعضها قد ظهر بعد وفاة الرسول (ص) وبعضها جاء في فترات تالية . وهذه الخطوط هي :

١- انقسام المجتمع الاسلامي او الامة الاسلامية على نفسها ، ويتمثل ذلك في الانبياء الجدد ، وحركة الردة ، والصراع على الخلافة ، ابتداء بهؤلئك السقينة حيث برع الخلاف واضحا بين المهاجرين والانصار ، وكذلك بين المهاشمين والمهاجرين الآخرين ، ثم تمثل هذا الانقسام في مجلس الشورى وما رافقه من انقسامات ومناقشات ، والفتنة الكبرى وما تمخضت عن احداث جسام ، فحرب الجمل ، فموقعة صفين ، والتحكيم ، وظهرت في ذلك احزاب واحاديث كثيرة .

٢- انقسام موقف الرأي العام من السلطة والنظام الاجتماعي هذا الموقف الذي يتفاوت بين :

آ- الثورة العارمة متمثلة في الموارج^(١) وبعض الحركات العلوية^(٢) .

وكذلك نجد التدرية يقفون ضد

(١) الشهستانی : الملل والنحل ، ق ١ ، ص ١٠٦ .

(٢) احمد امين : ضحي الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ . ولما وزن : الدولة العربية وسقوطها ،

ص ٥٦ .

النظام القائم^(١) ، او على شكل معارضية فكرية كما في كتابات ابن المقفع مثلاً^(٢) .
ب - وبين تبريره وقبوله ، متمثلاً في المرجئة^(٣) ، وروح مذهب الجبر وإن كان بعض الجبرية قد ثاروا لأسباب سياسية مثل الجعد بن درهم^(٤) .

ج - وهناك موقف ثالث هو موقف المحايدين ويتمثل في المعتزلة بقولهم المزيلة بين المزليتين^(٥) ، او كما يسميه (تاليتو) بالحياد السياسي^(٦) وكذلك في الكثير من الكتاب ورجال العلم والفكر .

(٣) الانقسام الظبيقي الذي حتمته طبيعة المجتمع العربي الذي صار منفتحاً متعدد الحاجات والرغبات والمصالح والخدمات بفعل الافق الجديدة التي هيئها الاسلام للعرب ، اخذين باعتبار ان الاسلام قد حدد الملكية بالشكل الذي لا يؤدي الى الاستغلال الا ان التطبيقات فيما بعد جاءت مخالفة لما نص عليه الاسلام فكان ان برع الشراء الفاحش والملكية الكبيرة يقابلها الفقر المدقع الى حد الجوع .

٤ - الانقسام العنصري . او ما يسمى بحركة الشعوبية ، والصراع بين الكتاب العرب والاعاجم . وانجذبت المناقشات والحركات اتجاهين : احدهما ضمن الدين ومن خلال فهم اعمي له ، كقوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا انا خلقناكم من ذكر

(١) احمد امين : ضحى الاسلام ، ج ٣ ص ٨١ .

(٢) احمد امين : ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٢٢٨ وما بعدها .

(٣) الشهريستاني : الملل والنحل ، ق ١ ، ص ١٢٥ .

(٤) خالد العسلي : جهم بن صفوان ، رسالة ماجستير ، بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٦٥ ، ص ٤٧ وما بعدها .

(٥) البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ١١٥ .

(٦) انظر مقال تاليتو « اصل اشتراق كلمة المعتزلة » ترجمة عبد الرحمن بدوى ضمن كتاب « التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية » القاهرة ١٩٤٠ ، ص ١٧٤ .

واثنى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ” . واخرى

ضيده ، متمثلة في حركات الزنادقة ، التي ظهرت بدرجات ثلاث :

آ - الاستخفاف بالعبادات الدينية والحركات الاجتماعية .

ب - العمل لارجاع الاديان الفارسية القديمة .

جـ - الشك بكل دين بمعنى الاخلاص التام ، وقد تمثل هذا في ابن الرواندي كما تذكر المصادر المأوثة له ” . ” .

ه - عمومية النظرية السياسية والتشريعية ، فيما يتعلق بنظام الحكم الذي جاء به القرآن لما اتاح المجال لظهور اجهادات وآراء ونظريات حول الحكم متفاوتة غاية التفاوت ، فنجد دعوة الخوارج لانتخاب الحرس المباشر ” . ” ، ونجد في مقابلتها الدعوات القائمة على مبدأ الوراثة او الوصية او التعيين او الحكم الفردي ، ونجد الامر نفسه فيما يخص نوع النظام الاقتصادي ، فهناك من يذهب الى ضرورة تحديد الملكية ، ومن يذهب الى عدم التحديد .

هذه هي اهم مظاهر وسمات العصور التي سبقت القرن الثالث الهجري ابتداء باواخر الحكم الراشدي مع مارافق هذا من سلبيات اجتماعية كوجود الملوك والدهاقين ” . ” ، وسوء الاحوال الاقتصادية وكثرة الجبايات والضرائب ، حتى على من اسلم من غير العرب كما حدث في زمن الحجاج ، مما اثار نقمتهم وهيا لفصائل المعارضة تربة خصبة تنمو عليها ” . ” .

١. سورة الحجرات : الآية ١٣ .

٢. ابو عثمان المخاط : مثلاً في كتابه « الانتصار » .

٣. فان فلورن : السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ، ص ٦٩ .

٤. جدير بالذكر ان طبقة الملوك والدهاقين قد ابتعل بها المجتمع العربي الاسلامي كظاهرة اجتماعية فرزتها عهود السيطرة الفارسية على العراق .

٥. ذهب الى هذا الرأي فرون كريمر وولمازون والأخير يضيف « كره الموالي لأهل الشام باعتبارهم المسود الفقري للعروبة » . ولمازون : الدولة العربية وسقوطها ، ص ٢٠٠ .

ومعنى هذا ان سمات او معظم سمات القرن الثالث الهجري لم تكن سوى توسيع واستفحال لاتجاهات الرأي العام ولتمزقات اجتماعية بدأت قبله . ولكن نفهم ذلك تماماً نحدد أهم سمات هذا القرن .

- ١ - ضياع هيبة الخلافة العباسية ، واستقلال المالك ، وتقزق رقة المملكة الاسلامية ، وسيطرة الاجانب والبخن ومشاغباتهم .
- ٢ - حدة التمايز الاجتماعي ، الطبقي والقومي والديني بأشكاله المختلفة .
- ٣ - ثورات المعارضة ، سواء ما كان منها ايجابياً ينشد الاصلاح الاجتماعي وفق برنامج معين ، او ما كان عفويَاً يفتقر الى النظم والوسائل المشروعة من ذلك كل الحركات الشعبية كالعيارين والشطار .

٤ - الحركات المساندة للسلطة والفكر التبريري والفردي .
٥ - استمرار التناقض بين عدالة النظرية الاسلامية وواقع التطبيق لدرجة ان البعض غالى في احكامه وذهب الى درجة الطعن بالنظرية الدينية نفسها واتهامها بالقصور والعجز وهذا ما يثير ظهور بعض الداعين الى ايجاد نظام سياسي واجتماعي واقتصادي بديل للاسلام نفسه او بتطويره الى ابعد الحدود كالقراطمة مثلاً^(١) .
المتقصي لهذه السمات وكما يظهر لي من خلال البحث انها سمات متربطة ترابطاً عضوياً ، وذات تأثير متبادل^(٢) .

فالتمايز الطبقي ، والاضطراب السياسي ، والانقسام القومي والديني ، سمات عامة تطبع المجتمع الاسلامي عموماً ومجتمع القرن الثالث على وجه الخصوص ، قد أدت الى ضعف السلطة المركزية ، كما ان سوء الاحوال الاقتصادية التي أنّ منها المعدمون قبل غيرهم قد صعّدت من سخطهم وتذمرهم ودفعت بهم

(١) فيليب حق : تاريخ العرب المطول ، جـ ٢ ، ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

(٢) د . السامر : الدولة الحمدانية ، جـ ١ ، ص ٢٤ ، وما بعدها .

للانضمام الى كل حركة تنشد الاصلاح وتدعى ، وهذا ما يفسر لنا التأييد المنقطع النظير الذي لقيته معظم الحركات المعارضة للسلطة ، هذه الحركات التي وجدت في ضعف السلطة المركزية وضياع هيبة الخلافة العباسية وتردي الاوضاع الاجتماعية ، تربة خصبة لبث افكارها ونشر مبادئها .

ان ظاهرة التجزو السياسي قد رافقت الدولة الاسلامية منذ قيامها ، وهي عندي تكمن في طبيعة المجتمع الاسلامي وريث التكوين القبلي العربي ، وفي مطاطية النظام الجديد ودعوته الشمولية واهدافه الاممية^{١٠} ، مما استدعاي وجود عناصر وشعوب متعددة تعصب لوجودها وانتمائها القومي كما تعصب لارتباطها الاسلامي . ونجد امثلة لذلك في ظهور الادعاء من الانبياء الكذابين الذين لم يخفوا اطماعهم السياسية ، كالذي ذكر عن مسيلمة من انه ارسل الى الرسول (ص) يطلب منه اقتسام الملك والسيادة على جزيرة العرب^{١١} ويكن ان نجد امثلة لهذا التجزو في الدعوات الشعوبية التي عبرت عن نفسها بطريقة او باخرى طوال العصور الاسلامية المختلفة وبخاصة في العصرين الاموي والعباسي ، فان سياسة الانفتاح التي حتمتها طبيعة الدعوة العباسية^{١٢} ، قد اججت اوار هذا العداء العنصري وجعلته حقيقة ملموسة عان منها الحكم العباسي كثيرا ، ويرى (ولما وزن) : ان الاسلام قوى هذه العناصر الاجنبية ووحد بينها وبين مناوي الحكم^{١٣} ، كما ان مبادئ الخوارج في اباحة حق الثورة ضد الحاكم الظالم والتي اسمتها بالاسلام

١٠. كما في سورة الفرقان ٢٥ : ١.

كما في سورة سبا ٣٤ : ٢٨ .

كما في سورة الاعراف ٧ : ١٥٨ .

١١. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي جـ ١ ، ص ٣٤٧ .

١٢. ولما زن : الدولة العباسية وسقوطها ، ص ٤١٦ .

١٣. ولما زن : الدولة العباسية وسقوطها ، ص ٣٩٣ .

الثالث^{٣٠} ، قد اكسبت هذه المناوئة صفة الشرعية والقانونية .

لقد مثلت ظاهرة التجزو والانقسام في العصر العباسي بنشوء دويلات عربية في الغرب كدولة الأدارس (١٧٢ - ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ - ٧٨٨ م) والأغالبة (١٨٤ - ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ - ٨٠٠ م) والسطولونية (٢٥٤ - ٢٩٣ هـ / ٩٠٥ - ٨٦٨ م) والحمدانية التي بدأت امارتهم في الموصل سنة (٢٩٣ هـ / ٩٤٤ م) وانتقلت في سنة (٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م) إلى شمال سوريا لتحكم طوال القرن الرابع الهجري تقريراً^{٣١} .

ولم يقتصر هذا التجزو الذي أصاب الدولة العباسية على الغرب بل شمل امارات أخرى في الشرق معظمها غير عربي كأماراة الطاهريين (٢٠٥ - ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ - ٨٢٠ م والصفاريين ٢٥٤ - ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ - ٨٦٨ م والسامانيين ٢٦١ - ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ - ٨٧٤ م والبويهيين ٣٣٤ - ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ - ٩٤٥ م والعزنويين ٣٥١ - ١١٨٦ هـ / ٥٨٢ - ٩٦٢ م) .

اضف إلى ذلك أن المجتمع الإسلامي بعد التوسع والفتح والامتناع بالحضارات الأجنبية ، قد أصبح أكثر عصرية وتعقيدا ، مما اقتضى بروز مسائل جديدة لم يكن يعرفها المسلمون الأوائل وليس لها من سابقة يقيسون عليها ، لذلك ترك أمر البت فيها إلى مبدأ الاجتهاد ، كل يفتني وفق ما يعليه عليه اجتهاده ، فكان الاختلاف المذهبي الذي تشعب وتعمق بعضه الزمن والتطور .

إن التجزو والانحلال السياسي ، ظاهرة طارئة ليست حتمية أو أزلية ترافق كل مجتمع يفتقر إلى النظام والنظرية والتخطيط ، وبالنسبة للمجتمع الإسلامي فإنه

^{٣٠} نفس المصدر السابق ، ص ٣٩٤ .

^{٣١} فيليب حتى : تاريخ العرب المطولة ، ج ٢ ، ص ٥٤١ - ٥٤٨ .

السامر : الدولة الحمدانية ، ج ١ ، ص ٣ .

مع وجود الاسلام كنظام له نظرية الاصلاحية ، فان هذا المجتمع لم يخل من نواقص وعيوب ادت الى تجزئة وحدته ، ومرد ذلك في رأي ، ان مبادئ الاسلام ظلت نظرية لم تجد تطبيقا لها طوال العصور الاسلامية المختلفة خلا فترة التكوين . فالنظام السياسي في العصرین الاموي والعباسي وراثي انقلابي يفتقر الى الديمقراطية والى مبدأ الشورى الذي اقره الاسلام^(١) .

اما النظام الاجتماعي فلم يلغ الملكية الفردية ان لم يشجع عليها زمن بعض الخلفاء مما ساعد على ظهور التمايز الطبقي الذي انعكس في انقسام المجتمع العباسي الى طبقة خاصة تضم الخليفة وحاشيته وكبار موظفي الدولة من عسكريين ومدنيين ، من تركزت بأيديهم كل الامتيازات ، مالا ووجاهها ونفوذا^(٢) ، وطبقة عامة ، تمثل السود الاعظم من الناس الذين يشكون الجوع والعرى وضنك العيش^(٣) ، كما ان هذا النظام لم يحرم الرق تمهيدا بهانيا ككل المحرمات الاخرى ، وفي نفس الوقت حض على عتقهم وفك رقابهم^(٤) .

ان سوء الاحوال الاقتصادية ، كان البداية التي تجمعت عندها كل سلبيات المجتمع ، فبنية المجتمع المكي التجاري ، قد ساعدت على تركز الاموال بيد نفر من تجار قريش^(٥) ، ولم ينته وجود هؤلاء التجار بمجيء الاسلام ، ولكن الملاحظ ان تاجر الاسلام لم يصل في جشعه ما وصل اليه تاجر قريش قبل الاسلام ، ذلك ان مبادئ الاسلام صقلت نفوسهم وکبحت جماحهم وهذا مانتجده فيها ذكر عن ابي بكر من انه

(١) كما في قوله تعالى « وامرهم شوري بينهم » سورة الشورى ، ٣٨ .

(٢) جرجي زيدان : التمدن الاسلامي ، ج ٥ ، ص ٣٨ - ٣٦ .

(٣) يحدد جرجي زيدان في ج ٥ - ٣٨ الطبقة العامة باهل المدن وهم المقربون من الخاصة واهل الحرف والصناعة والزراعة من اهل القرى .

(٤) سورة التوبة : الآية ٦٠ .

٥. احمد عباس صالح : اليمين واليسار في الاسلام ، ص ٢٢ .

كان يتبع العبيد فيعتقهم^{١٠} ، وما بذلك عثمان من اموال طائلة تقدر بـ ألف دينار لتجهيز جيش تبوك^{١١} . ان ما يقال عن هؤلاء المحسنين من التجار لا ينطبق على آخرين تسابقوا في الحصول على المال بشتى الطرق والوسائل .

لقد ادى توسيع الدولة الاسلامية الى كثرة وارداتها وجبائياتها التي تحفظ عادة في بيت المال ، والتي لا يمنع الخليفة من التصرف بها الا وازعه الديني ، ولذلك فان هذه الاموال بانقضاء خلافة الراشدين وميل الدولة الى العصرية وابتعادها عن روح الاسلام شيئا فشيئا ، قد تعرضت ، لتجاوزات متنوعة ، وبالغ الخلفاء في توزيع هباتهم وفضالهم على كل من له حظوة عندهم ، وشملت هذه الهبات من جملة ما شملت اراضي واقطاعات ، نشأ عنها ما يعرف بنظام الملكية الواسعة للاراضي الزراعية^{١٢} .

ان ظهور الملكيات الضخمة والاقطاعيات الواسعة قد ادى الى كثرة النشاط المالي من بيع وشراء واقتراض واستبدال ومضاربة ، وازدهار التجارة تشيما مع مستلزمات التطور الاجتماعي وتلبية لظهور الترف وحاجات قصور الخلفاء والامراء ، واستخدام الرقيق والموالي والاحرار كعاملين في هذه الاراضي ، فكان ان ظهرت في الاسلام طبقة جديدة من الناس ، تمتاز بكثرة المال والاتباع بالإضافة الى ارستقراطيتها الموروثة ، هي ما تعرف بطبقة البلوتوغرافية^{١٣} .

تعددت انواع الاقطاع عبر الزمن ، فكان هناك اقطاع التملك وهو ما يمتلكه

١٠. ابن هشام : السيرة النبوية ، ق ١ ، ص ٣١٩ .

١١. طه حسين : الفتنة الكبرى ، ص ٥٣ .

١٢. السامر : الدولة الحمدانية ، ج ١ ، ص ٣٤ .

١٣. Pluto — cracy : a class or group ruling or exercising power or influence , by virtue of its wealth اي حكم طبقة الاغنياء .

صاحبه ويرثه ، واقطاع والاستغلال وهو ما يقابل الاقطاعات العسكرية ، كما منح كبار الموظفين اراضي واسعة بخلاف اقطاع بالاضافة الى الاراضي المستصلحة التي منحت بامر من الخلفاء الى الاغنياء الذين استغلوها لمصلحتهم كالاراضي المحيطة بالبصرة^(١) . وان ما زاد في سعة الاقطاعيات التي يمتلكها كبار الموظفين هو ان صغار الملائكة كانوا يلجنون اراضيهم اليهم .

ادى ظهور الاقطاع الى تدهور الزراعة ، فمعظم الملائكة الكبار يعيشون في مراكز المدن بعيدا عن اراضيهم التي تركوا امر التصرف بها لوكالائهم ، ولاهم هؤلاء الملائكة الا جبائية الحصول نقدا او عيناً آخذين بنظر الاعتبار ما كان يرافق هذه الجبائية من طرق قسرية وسائلية تعسفية ، تبعث على تذمر الفلاحين وشكواهم . كما ان نظام الجندي المرتزقة وقيام الثورات الاجتماعية التي اصبحت طابعاً مميزاً للمجتمع القرن الثالث الهجري ، قد اديا الى نقصان اليد العاملة والمنتجة ، فمن الفلاحين من اصبحوا جنداً مرتزقة في الجيوش النظامية ، ومنهم من استهولتهم مبادئه بعض الحركات الاجتماعية ، فانخرطوا فيها وتركوا زراعتهم ، مع ما يرافق هذه الثورات من خراب ودمار لا يقتصر على الزراعة وحدها .

ومن الجدير بالذكر ان نظام الارزاق هذا ، كان مبعثاً لتذمر الجندي انفسهم ، فكثيراً ما يعجز الخليفة عن دفع رواتبهم وارزاقهم ، فيشغبون ويثيرون المشاكل وبالتالي يعملون على ضعف سلطة الدولة وهيبة الخليفة ، وقد تكررت هذه المشاغبات في زمن اكثر من خليفة واحد ، فقد طالب الجندي الاتراك بارزاقهم زمن المعتز ، ولا عجز الخليفة عن دفعها لهم ، عمدوا الى خلعه وارغموه على خلع نفسه^(٢) .

(١) السامر : الدولة الحمدانية ، ج ١ ، ص ٣٥ .

(٢) الطبرى : ج ٩ ، ص ٣٨٩ . ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ١٩٥ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٦ .

ان الشعور بالاوضاع الفاسدة والواقع تحت طائلة الظلم والاستبداد ، كثيرا ما ولدا تذمرا ومن ثم رأيا عاما ساخطا يحاول ايجاد حلول اقتصادية مقبولة ، وظروف اجتماعية جديدة تسهم في تطور الحضارة البشرية ، ونجد تطبيقا لهذا في الوضع الاقتصادي السيء الذي اثقل كاهل العامة ودفعها الى ان ترفع لواء المعارضة بوجه السلطة وافراد طبقة الخاصة ومن قبيل ذلك الحركات الشعبية المنظمة والغورية التي شهد العصر العباسي منها العديد .

وقد واجهت هذه الحركات مقاومة عنيفة من قبل السلطة العباسية واتياعها ، ولاشك ان بعض العوام قد بلغا الى اساليب متطرفة تفتقر الى النظام والوسيلة المشروعة ، وهو امر قد نجد له مايبرره في واقعهم السيء من جهة وفي ترف طبقة الخاصة وما تمارسه من قسوة وظلم بحقهم من جهة اخرى .

ومن هذه الحركات حركات العيارين والشطار والمشعوذين ، لكن هذا لا يعني ان كل الحركات كانت على هذا النمط ، بل ان المجتمع العباسي شهد حركات منظمة ذات جذور وميول شعوبية حاذقة على العروبة والاسلام مثل حركتي الزنج والقراطمة .

٢ - طبقات المجتمع العباسي في القرن الثالث المجري :

ان مانستهدف هنا هو دراسة بنية المجتمع العباسي في القرن الثالث المجري ، التي تجسست في طبقتين كبيرتين تتفاوت في العدد والشرورة والنفوذ وهذا التقسيم الرئيسي لا يعدم وجود فئات صغيرة غير مميزة تقع بين هاتين الطبقتين .

أ - طبقة الخاصة :

وهذه الطبقة - التي يمكن تسميتها كذلك الطبقة العليا - كانت أكثر طبقات المجتمع العباسي رخاء وترفا ، واوسعها ثروة وملكية وجاهها وسلطة ، لأنها تضم الفتنة الحاكمة وكل المتنفعين منها ، وعلى وجه التحديد تشمل الخليفة والامراء والوزراء والولاة ، وقادة الجيش ، والقضاة وكل الاشراف الماشميين^(١) ، يضاف الى ذلك التجار ، ويمكن اعتبار موظفي الدولة اصحاب الموارد المحددة والمعلمين والمؤديين والعلماء والشعراء والمعنىين والموسيقيين ، فثات ملحقة بهذه الطبقة تعيش على افضالها ، وسأحاول ان اعرض الى احوال هذه الطبقة المعاشرة بصورة عامة^(٢) . فالخليفة هو رأس هذه الطبقة ، وصاحب السلطتين الزمنية والدينية^(٣) ، باعتباره اعلى سلطة في الدولة ، كما انه ظل الله في ارضه ، وخليفة رسوله الذي يتسبب اليه ، وكان بيده الحلال والعقد والامر والنهي والبذخ والانفاق ، والخلفاء العباسيون يتباينون في ذلك قوة وضعفا ، بذخا وتقىرا ، فقد ورث الامين عن ابيه

(١) جروننياوم : حضارة الاسلام ، ص ٢٢٠ .

(٢) هناك من يعتبر هذه الفئات طبقة متوسطة كما ذهب الى ذلك الدكتور عبدالعزيز الدوري واستاذي الدكتور فيصل السامر .

(٣) جرجسي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ، ج ٥ ، ص ٢٦ .

الرشيد ما مقداره اربعة ملايين وخمسماة الف دينار^(١) ، وامر المأمون غسان بن عباد عند منصرفه من الحسن بن سهل ، ان يدفع له الف الف دينار من مال فارس واقطعه الصلح^(٢) ، وقيل عشرة الاف الف^(٣) . وعقد المأمون في يوم واحد لأخيه المعتصم على المغرب فأمر له بخمسماة الف دينار ولا بنه العباس على التغور والعواصم وامر له بخمسماة الف دينار ، ولعبد الله بن طاهر على الجبل ومحاربة بابك وامر له بثلاثمائة الف دينار ثم امر لسائر القواد بسبعمائة الف دينار^(٤) . وخلف المعتصم بعد موته ثروة قدرت بثمانية الاف الف دينار وثمانية الاف الف درهم^(٥) ، وقيل ثمانية عشر الف درهم^(٦) ، وقدرها الشعالي^(٧) : « بثمانية الاف الف دينار وثمانية وعشرين الف الف درهم ، وثمانية الاف غلام وثمانية عشر الف دابة » ، وكان ترفا لا يلبس القميص الالبسة واحدة^(٨) . وتوفي الواثق بالله « وحاصل بيت المال خمسة ملايين دينار عينا وخمسة عشر مليون درهم ورقا^(٩) » .
 وقدم لنا الخليفة المتوكل على الله نموذجا للبذخ لا مثيل له في وليمته لما اعذر ابنه

(١) ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص ٢١٤ - ٢١٨ .

(٢) الشعالي : لطائف المعارف ، ص ١٢٢ .

(٣) ابن طيفور : بغداد ، ص ١١٥ .

(٤) الشعالي : المعارف ، ص ١٤١ .

(٥) ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص ٢١٤ .

(٦) الذهبي : البر في خير من غير ، ج ١ ، ص ٤٠١ .

(٧) الشعالي : لطائف المعارف ، ص ١٣٦ .

(٨) الجاحظ : الثاج في اخلاق الملوك ، ص ١٥٤ .

(٩) ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص ٢١٨ .

المعتز ، فقد جلس بعد فراغ القواد والاكابر من الاكل ومدت بين يديه مرافعٍ ذهب مرصعة بالجوهر ، وعليها امثلة من العنبر والنند والمسك المعجون على جميع الصور وجعلت بساطاً ممدوداً ، واحضر القواد والجلساء واصحاب المراتب فوضعت بين ايديهم صوانى الذهب مرصعة بأصناف الجواهر من الجانبين وبين السماطين فرجة وجاء الفراشون بزنابيل قد غشيت بالادم ملوءة دراهم ودنانير نصفين فصبت في الفرجة حتى ارتفعت على الصوانى وامر الحاضرون ان يشربوا وان يأخذ كل من شرب من تلك الدنانير بثلاث حفناط ماحملت يده وكلها خف موضع صب عليه من الزنابيل حتى يُرد الى حالته ، ووقف غلمان في آخر المجلس فصاحوا ان امير المؤمنين، يقول لكم : ليأخذ من شاء ماشاء فمدى الناس الى المال فأخذوه^(١) ، فكان الرجل منهم اذا اثقل ما اجتمع في كمه من الدرارم والدنانير اخرجه الى غلمانه وعاد فجلس في مجلسه^(٢) . وقد احصيت تفقات الحتان فبلغت ستة وثمانين مليون درهم ونحوه^(٣) ولکثرة ما بلغ في هذه الوليمة من مال وطعم ، « سميت بدعة الاسلام الثانية في حين ان دعوة الحسن بن سهل في زواج المأمون بيته بوران قد عرفت بدعة الاسلام الاولى^(٤) » .

وهناك مثل آخر على اسراف المتوكل انه شرب مرة وامر ان تضرب الدرارم لكل درهم حبتان بما مقداره خمسة الاف الف درهم ، وان تصبغ بالحمرة والصفرة والسودان والوان اخرى ، وامر خدمه وهم سبعمائة ان يعد كل منهم قباء جديداً وقلنسوة بلون متخصص به عن الآخر وعمد الى يوم تحركت فيه الربيع فنصبت له قبة

(١) الشاعي : لطائف المعارف ، ص ١٢٢ .

(٢) ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص ١١٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١١٩ .

(٤) ابن طيفور : بغداد ، ص ١١٣ .

لها اربعون بابا فاصطبح فيها والنندماء حوله ، ونشرت الدرادهم كما ينثر الورد فكانت الريح تحمل الدرادهم فتفقق بين السماء والارض فكانت من احسن ايام المتكفل^(١) ، حتى قال مروان بن ابي السمحط^(٢) :

هذى سهام تمطر الدرادهمـا عند امامـ يعمر المكارما
خليفة قد ولد الضراغـا جاء بهم خلاائفـا اكاراما
لازال ملكـ الارضـ فيهم دائـا

وبين المتكفل لابنه ابي عبدالله المعتز بالله ، قصرنا في قادسية سر من رأى وبينه وبينها اربعة فراسخ^(٣) يبلغ خمسة وعشرين مليون درهم .
ولما قتل المتكفل كان حاصل بيت ماله مليون دينار وخمسين مليون درهم ، ومن الخدم والجواري احد عشر الفا وكانت نفقاته الخاصة في كل سنة مليونا ومئة الف دينار وستة وعشرين مليون وخمس مائة الف درهم ، للسيدة شجاع امه ستة مائة الف دينار وللمطابخ مائتا الف دينار وللبناه ثلاثة مائة الف دينار وللحشم عشرة الاف الف درهم وللكسوة ثلاثة مائة الف دينار وللطيب مائة الف دينار وللثاج الف درهم وللفرش مائة الف دينار ولشراب الفا الف درهم وللنندماء خمسة مائة الف درهم وللجوهر ثلاثة مائة الف دينار ولشراء الرقيق مائة الف دينار^(٤) ، ويبلغ ميراث المتكفل من الفرش والرقيق اربعة عشر مليون درهم وقيل مليون دينار تقاسمه المتصر بالله وانحواته وانحواته^(٥) .

(١) ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص ١٢٢ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١١٦ .

(٣) الفراسخ : ثلاثة اميال واثنا عشر الف ذراع - القاموس المحيط ج ١ . ص ٧٧٦ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٢ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٢٢٠ .

توفى المتتصر بالله وفي بيت ماله مليون درهم^(١) . ولما خلع المستعين بالله وجد في بيت ماله عام (٢٥١ هـ / ٨٦٥ م) ، مليون دينار وعند ابنه العباس ستة مئة ألف دينار^(٢) .

واحصيـت ترـكة المـعتـضـد بالـله فـبـلـغـتـ مـئـةـ مـلـيـونـ دـيـنـارـ وـقـدـ اـسـتـورـثـاـ الـمـكـتـفـيـ بالـلهـ^(٣) ، وـهـوـ اـكـثـرـ خـلـفـاءـ بـنـيـ الـعـبـاسـ بـخـلـاـ وـتـقـيـراـ ، روـىـ انهـ كـانـ يـوـكـلـ بـعـضـ خـدـمـهـ لـيـحـصـيـ مـاـفـضـلـ مـنـ الـخـبـزـ فـيـ كـانـ مـنـ الـمـكـسـرـ عـزـلـهـ لـلـثـرـيدـ وـمـاـ كـانـ مـنـ الصـحـاحـ زـوـالـ مـائـدـتـهـ مـنـ الـغـدـ وـكـذـلـكـ كـانـ يـفـعـلـ بـالـبـوارـدـ وـالـحلـوـاءـ ، وـمـنـ شـدـةـ بـخـلـهـ وـجـبـهـ لـلـمـالـ اـسـتـحـواـذـهـ عـلـىـ ضـيـاعـ الـمـازـارـعـينـ بـغـيـرـ ثـمـنـ حـتـىـ شـكـاـ النـاسـ ظـلـمـهـ^(٤) . وـلـمـ اـمـاتـ خـلـفـ فيـ بـيـوتـ الـأـمـوـالـ ثـمـانـيـةـ مـلـيـونـ دـيـنـارـ وـخـمـسـةـ وـعـشـرـيـنـ مـلـيـونـ دـرـهـمـ وـغـيـرـ ذـلـكـ مـنـ الدـوـابـ وـالـبـغـالـ وـالـمـاشـيـةـ وـالـمـلـاـبـسـ وـالـتـحـفـ^(٥) .

هـذـهـ اـمـثـلـةـ قـلـيلـةـ عـلـىـ مـاـقـامـ بـهـ الـخـلـفـاءـ الـعـبـاسـيـوـنـ مـنـ بـلـدـخـ وـتـبـدـيـدـ مـاـ يـدـلـ عـلـىـ انـ خـزـائـنـهـمـ الـخـاصـةـ كـانـ اـكـثـرـ رـصـيـداـ مـنـ خـزـائـنـ بـيـتـ الـمـالـ الـعـامـ الـذـيـ خـلاـ مـنـ الـمـالـ فـيـ بـعـضـ الـاـوـقـاتـ حـتـىـ طـلـبـ الـعـوـنـ مـنـ خـزـائـنـ الـخـلـفـاءـ .

تـحـتـلـ فـنـاتـ الـاـشـرافـ^(٦) ، وـمـوـظـفـيـ الـدـوـلـةـ الـكـبـارـ مـنـ الـاـمـرـاءـ وـالـوـزـرـاءـ وـالـقـادـةـ ، وـمـالـاـكـيـنـ اـصـحـابـ الـارـاضـيـ الـزـرـاعـيـ الـوـاسـعـةـ وـالـتـجـارـ مـنـ ذـوـ الـاـمـوـالـ الطـائـلـةـ ، الـمـرـتـبةـ الـثـانـيـةـ بـعـدـ الـخـلـيـفـةـ بـعـدـ حـيـثـ التـرـفـ وـبـلـدـخـ وـالـصـرـفـ مـعـ فـوـارـقـ بـسـيـطـةـ بـيـنـ فـتـةـ وـاـخـرـىـ ، وـقـدـ حـصـلـوـاـ عـلـىـ هـذـاـ ثـرـاءـ مـنـ اـسـلـافـهـمـ اوـمـاـ اـسـتـحـوذـوـاـ عـلـيـهـ فـيـ حـيـاتـهـمـ ، وـمـنـ مـوـارـدـهـمـ الـضـخـمـةـ الـقـيـ اـتـاحـتـهـاـ لـهـمـ مـرـاكـزـهـمـ الـاجـتـمـاعـيـةـ .

(١) ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص ٢٢١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٣٨ .

(٣) الشعالي : لطائف المعارف ، ص ١١٨ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٨١ .

(٥) نفس المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٨٠ .

(٦) هـمـ اـهـلـ بـيـتـ الـخـلـيـفـةـ وـجـلـهـمـ مـنـ بـنـيـ هـاشـمـ مـنـ الـعـبـاسـيـنـ وـالـعـلـوـيـنـ وـيـسـمـونـ بـاـبـنـاهـ الـمـلـوكـ .
جرجي زيدان : التمدن الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٢٧ .

لقد كان حظ هذه الفئات في مناصب الدولة المرموقة كبيرا جدا ، حتى أنها كانت ان تكون مقتصرة عليهم ، وذلك لأن مفاهيم عصرهم الذي نحن بصدده دراسته لا تسمح لغيرهم في أن يتبعوا مثل هذه المراكز الحساسة في الدولة سلطة وجهاها وثراء . وبين أيدينا أمثلة عديدة ومتنوعة لشراء هذه الفئات وبذخها المتطرف ، وسنأتي على بعض الأمثلة . فقد بلغت مصاريف دعوة المحسن بن سهل عند زواج ابنته بوران من المأمون ، خمسين مليون درهم^(١) ، وكان عرسا لم يسمع به مثله في الدنيا^(٢) . واطعم ستة وثلاثين ألف فلاح مدة أربعين يوما^(٣) ونشرت على بوران جدتها الفا وثلاثمائة درة كبار وكانت في طبق من ذهب^(٤) . واوقد في ليلة الزفاف « شمعة عنبر فيها أربعون منا من ذهب فانكر المأمون ذلك قائلا : هذا سرف^(٥) » ، وفي هذا العرس انفقت حدونه بنت عفيفي خمسة وعشرين مليون درهم ، وانفقت ام جعفر : ما بين خمسة وثلاثين مليون الى سبعة وثلاثين مليون درهم^(٦) .

وخلفت شجاع والدة المتوكلا خمسة ملايين دينار وجوهرها ماقيمته مليون دينار ومن الفرش والرقيق والدواب بقيمة مليون دينار واربع عشرة ضيبيعة ، مبلغ غلتها في السنة اربع مئة الف دينار^(٧) ، ووجد في خزانة واحدة لقبيحة ام المعز مليون دينار ، وفي اخرى تحف بمليوني دينار ، وكانت غلة ضياعها في كل سنة عشرة ملايين

(١) الشوكبي : الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ٦ .

(٢) ابن طيفور : بغداد ، ص ١١٥ .

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٠٨ .

(٤) الشعالي : ثمار القلوب ، ص ١٦٥ .

(٥) مسکویہ : تجارب الامم ، ج ٦ ، ص ٤٥٧ .

(٦) الطبری : ج ٨ ، ص ٦٠٨ .

٧. ابن الزبير : الدخائر والتحف ، ص ٢٣٥ .

دينار . ولما مرضت شاجي جارية ابن طاهر ، اشتري لها رطل ثلوج بعشرين الف درهم لندرته ، ومهمها يكن في هذا المبلغ من مبالغة فهو بلاشك يشير الى مدى البذخ في ذلك العصر .

وقبض على مال ليحيى بن اكثم لما عزل عن القضاء سنة (٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) قدره « خمسة وسبعين ألف دينار ببغداد ، وفي اسطوانة في داره ألفاً ديناراً واربعة آلاف جريب بالبصرة » . ولما غضب الموكيل على احمد بن ابي دؤاد قاضي قضاته وقبض ضياعه واملاكه وحبس ابنته ابا الرأيد وسائر اولاده ، ثم صولح ابو الوليد على ستة عشر مليون درهم وترك عمران بن موسى بن يحيى خالد بن برمك بعد قتلته زمن الواثق (٣٢٧ هـ / ٨٤١) « مبلغ خمسة ملايين درهم ونحو من الفي سقط عود وألة وامتعة مرصدة بالذهب » .

وكان لابي الحسن بن الفرات الوزير مطبخ في داره ، فاما مطبخ الخاصية الذي يطبخ فيه فلا يخص ما كان يدخله من الغنم والحيوان لكثرة ، واما مطبخ العامة المرسوم بما يقدم الى خلفاء الحجاج المقيمين في الدار ويعرف منه للرجال والبواين واصاغر الكتاب وغلمان اصحاب الدواعين فكان يستهلك في كل يوم تسعين رأسا من الغنم وثلاثين جدياً ومائتي قطعة دجاجاً ساناً وفراخ مُصدره ومائتا قطعة دراجاً ومائتا قطعة فراخاً وهناك خبازون يخبزون الخبز السميد من الدقيق الابيض ليلاً ونهارا

١. نفس المصدر ، ص ٢٣٦ .

٢. التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

٣. الجريب في المساحة تعادل ٣٦٠٠ ذراع - الاحكام السلطانية ص ١٥٢ - اما الجريب في الوزن فيعادل عشرة افقرزة او مايساوي خمسة وعشرون متراً ويختلف من بلد الى اخر .

الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ٤٤ .

٤. الطبرى : ج ٩ ، ص ١٩٧ .

٥. ابن الاتير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٧٤ .

٦. ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص ١٨٥ .

وقد ي عملون الخلواء عملاً متصلاً ، ودار كبيرة للشراب ، وقبل انه لما تقلد الوزارة عام (٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) سقى الناس في داره في ذلك اليوم والليلة اربعين الف رطل ثلجاً .

لقد جل احمد بن طولون والى مصر الى المعتمد في اربع سنين مليوني دينار ، وانفذ هذا الوالي الى المكتفي بالله مليون دينار واربعة وعشرين الف جل من سائر ،

الامتعة^(١) ومن نماذج الثراء الفاحش مارواه التنوخي^(٢) : لما صودرت اموال ابي عبد الله بن الجصاس التاجر ، فكانت ستة الاف الف دينار اي ستة ملايين ، سوى ماقبض في داره وما بقي من املاك وموارد .

وتدخل ضمن طبقة الخاصة ، فئة يتمتع افرادها بمستوى معاشى مقبول ، ف منهم من يوشك ان يحسب على قائمة الاثرياء ، لكنه لايرقى الى بذخهم الفاحش وترفهم المفرط مثل عموم موظفي الدولة من ذوى الموارد المحدودة والمؤدين وبعض الشعراء والفنين والموسيقيين غير ان من ابناء هذه الفئة من ينحدر في مستوى المادي والمعاشى الى مستوى السواد الاعظم من الناس ، مثل صغار التجار واصحاب الحوانيت والباعة وذوى المهن والحرف الرفيعة من اهل المدن واتباع الخاصة ، كالجند والموالى والاعوان^(٣) ، واتباع الخاصة هؤلاء لايمدون عناء في الحصول على لقمة عيشهم التي وفرها لهم اسيادهم مقابل اعمال يؤدنها كالحراسة والمنادمة والخدمة ، كما ان نقاط عملهم هذا مرهون برضى ورغبة مالكهم واكثر هؤلاء حالاً من اشتغل في قصور الخلفاء والامراء وبخاصة الجواري منهم^(٤) .

١. ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص ٢٨٨ .

٢. التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٥ .

٣. جرجي زيدان : التمدن الاسلامي ، ج ٥ ، ص ٢٧ .

٤. بدري محمد فهد : العامة ، ص ٢٤ .

ويلاحظ على هذه الفتاة المثقفة وقوفها موقفا سياسيا متأرجحا من حركات المعارضة ، وان بعضهم جاهر بتأييده ومساندته للسلطة العباسية وفي مقدمتهم الموظفون بحكم موقعهم الاجتماعي والتزامهم الوظيفي . ولهذه الفتاة فضل لا يمكن تجاهله ، وهو نشر الوعي والثقافة والمعرفة بين الناس باعتبارهم الفتاة المتنورة التي اسهمت في التأليف والترجمة والتشريع ونظم الجيد من الشعر ، وبذلك اسهمت في ازدهار الحضارة الاسلامية في القرن الثالث الهجري .

لقد تعرض بعض افراد هذه الفتاة المثقفة لظروف معاشية قاسية ، وبخاصة الادباء والمتنورون الذين رفضوا تزييف الكلمة ، وارتضوا القناعة التي لم تغفهم عن جوع او عطش حتى عمد بعضهم الى حرق كتبه وتدب حظه وطالعه وشكرا زمانه الذي بخل عليه ، مع انه قد جاد بعصارة لبه وفكره ، وشكوى ابي حيان التوحيدى غير مثال في هذا المجال : « لما رأيت شبابي هرما بالفقر وفقرى غنى بالقناعة وقناعتي عجزا عند اهل التحصيل ، عدلت الى الزمان اطلب اليه مكانى فيه وموضعي منه فرأيت طرفه نابيا وانتحلت القناعة رياضة فلم يطل دهرى في اثنائه متربما بطول الغربة وشظف العيش وعجف المال وجفاء الاهل وسوء الحال وعادية العدو وكسوف البال^(١) » .

بهذه الشكوى خاطب ابو حيان صديقه ابا الفتح بن العميد طالبا عونه ومساعدته وعارضها عليه حاله وقصر يديه ولا يكتفي ابو حيان بهذه الشكوى بل ييشها لصديق آخر من الموسرين يخبره بالحال التي آلت اليها حتى انه عمد الى حرق كتبه وغليها بالماء لانها افقدته اعز الاصدقاء والاحباب وهي في نظره صناعة لاسوق لها وصاحبها فقير الحال^(٢) .

(١) ابو حيان التوحيدى : المقابلات ، ص ١٠٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١١٢ - ٩ .

وهذا الشاعر خالد الكاتب يقف على باب المريد وهو ينادي : يامعشر الظرفاء
والمتخلقين بالوفاء الياس من العجب والنادر الغريب ان شعري يزني به ويلاط منه
اربعين سنة وانا اطلب درهما فلا اعطي وانشد يقول .^{١٠}

احرم منكم ما اقول وقد
نال به العاشقون من عشقوا
صرت كاني ذباله تُصبت
تضيي للناس وهي تخترق

ووصف التوحيدى مسكونيه وهو حجة في العلم والفلسفة « واما مسكونيه
ففقير بين اغنياء وغنى بين انباء » .^{١١}

ومن عرف بفقر الحال وضنك العيش وقلة ما في اليد ابو سليمان المنطقي ،
وكان من اكبر علماء بغداد في عصر ابي حيان في المنطق والفلسفة ، حتى ان التوحيدى
توسط له عند الوزير ابن سعدان فمنحه مائة دينار يقضى بها دينه في اجرة بيته وفي
ذلك يقول : « فلما وصل اليه ذلك الرسم وهو مائة دينار وحاجته ماسة الى رغيف
ووجله وقوته قد عجزا عن اجرة مسكنة وعن وجه غذائه وعشائه » .
قسم الجاحظ المعلمين الى ضربين^{١٢} : « رجال ارتفعوا عن تعليم اولاد العامة
 الى تعليم اولاد الخاصة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم اولاد الخاصة الى تعليم
 اولاد الملوك انفسهم المرشحين للخلافة ، ومثل هؤلاء لا يقال لهم حفى فأن لكل قوم
 حاشية وسفلة فيها هم في ذلك الا كغيرهم » .

ورد التوحيدى على اقوال ابي عبيد من ان : « الكتاب في مجلس اثناء
 والوزراء يتولون : اللهم نعود بك من رقاعة المنشين ومحافة المعلمين وركاكة

١٠. التوحيدى : الامتناع والمؤانسة ، ج ٢ ، ص ٥٨ .

١١. نفس المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٥ .

١٢. التوحيدى : الامتناع والمؤانسة ، ج ١ ، ص ٥٨ .

١٣. الجاحظ : البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١٣٦ .

النحوين . . . » ، قال التوحيدى مدافعا : « ما يتعلم الناس الا من المعلم والعالم وال نحوى وان ندر منهم واحد قليل البصاعة من الحق وهذا الواحد في قوله نعي بـ أحد كثيرة ، ويقى ان تفهم انك - اي ابا عبيد - تحتاج الى الاساكفة اكثر مما تحتاج الى العطارين ، ولا يدل هذا على ان الاسكاف اشرف من العطار ، والعطار دون الاسكاف ، والاطباء اقل من الخياطين ونحن اليهم احوج ولا يدل على ان الطبيب دون الخطاط » .

واورد الشعرا في شعرهم والادباء في نثرهم ذما للتجار لعلهم يقصدون بذلك الجشعين المكتزبين منهم ، انشد ابو جعفر بن حمدون لابن عمه محمد بن حمدون النديم :

خذوا مال التجار وسُوفُوهُمْ الى وقت فانهُمْ لشَامْ
وليس علِيْكُمْ في ذاك إلَيْمْ لان جميع ماجعوا حرام
وقيل في ذمهم شعر آخر » :

وما للتجار وللسخاء واما ثبَتْ لحُومُهُمْ على القيراطِ
ووصف المأمون هؤلاء التجار بأنهم : « السوقه سفل والصناع انذال والتجار
بخلاء والكتاب ملوك على الناس . والناس عنده اربعة : ذو سيادة او صناعة او تجارة
او زراعة ، فمن لم يكن منهم كان عيالا عليهم » .

شكا ابو الحسن الكندى المعروف بالسرى الرفاء الموصلى الشاعر المعروف
وكان رفأء مطرزاً ، حاله في حرفته .

١. التوحيدى : الامانع رمالؤانسة ، ج ١ ، ص ٩٤ .

٢. نفس المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٦ .

٣. التوحيدى : اللذائير والبصائر ، ج ٤ ، ص ٣٨ .

٤. نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٣٩ .

٥. البيهقي : المحاسن والمساويه ، ص ٣١٠ .

٦. السرى الرفاء : الديوان ، نشر مكتبة القدسى ، القاهرة ، ١٣٥٥ هـ ، ص ١٤٠ .

وكانت الابرة فيما مضى صائنة وجهي واسعاري
فاصبية الرزق بها ضيقاً كأنه من ثقبها جاري

وذكر أبو احمد بن حماد المروذى احدهم بقوله : « دخلت على أبي بكر بن مسلم .. وهو من عرف بالعلم والزهد - يوم عيد فوجده وعليه قميص مرقوع نظيف مطبق وقدامه قليل خرنبوب يترضه فقلت : يا أبي بكر اليوم عيد الفطر وتأكل خرنبوبا ! قال لي : لاتنظر الى هذا ولكن انظر ان سألتني من اين اقول ^(١) » واشتد بأبي فرعون الساسي الحال ، فكتب الى بعض القضاة بالبصرة ^(٢) :
يا قاضي البصرة ذا الوجه الأغر اليك اشکو ما معنى ماغبر
عفازمان وشئان قد حضر ان ابا عمرة في بيتي انحجر
يضرب بالدلف وان شاء ذمر فساطرده عنى بدقيق يُنتظر
ومن قبيل ذلك تظلم الشعرا من الزمان الذي قسى عليهم وجاد على آخرين
لا يحسنون التعبير ولا في خلقه شؤون وقد قيل ^(٣) :
ارى زماناً نُركاءً اسعد اهله على انه يشقى به كل عاقل
سوى نرقه رجلاته والأسى تحته فكب الاعالي بأرتفاع والاسفل
وتبرم شاعر آخر من تفاوت الارزاق قائلاً ^(٤) :
وان امرأً يهنا بطعم ومشرب وترك جياع خلفه لمدين

وجاء احدهم الى المبرد صاحب كتاب الكامل وقال له : « اريد ان تبالغ في

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٥ ، ص ٢١ .

(٢) التوحيدى : الامتناع والمؤانسة ، ج ٣ ، ص ٣٤ ، وابو عمدة : كنية الجموع ، .

(٣) البيهقي : المحسن والمساوي ، ص ٥٩٦ .

(٤) التوحيدى : الذخائر والبصائر ، ج ١ ، ص ٣٧ .

تعليمي وإنما أعطيك في كل يوم درهماً .. وكان لسرى السقطى أحد كبار مشائخ الصوفية وتلميذ معروف الكرخي ، دكان صغير يتجر فيها ولا يبيع إلا بربح زهيد جداً لم يرهه وتقده

بـ - طبقة العامة :

كان للتطور الاقتصادي الذي شهدته القرن الثالث الهجري ، اثر كبير في ظهور هذه الطبقة ككتلة بشرية هائلة ومؤثرة في مجريات الاحداث ، فقد ادى هذا التطور الى ازدهار الزراعة والتجارة والصناعة الى حد كبير ، وبالتالي الى خلق طبقة من الاثرياء الموسرين سميواهم بالخاصة ، تقابلها طبقة تضم اوسع الجماهير من الفقراء والمعدمين الذين يشكلون السواد الاعظم من الناس آنذاك والذين عاشوا ضروفاً معيشية قاسية ، ومارسوا عادات اجتماعية متباينة ، وجمعتهم افكار وعقائد موحدة ، وراودتهم امال ومتامح بالخلص من اوضاعهم السيئة .

وكان لازدهار الادبي الذي شهدته هذا القرن والذي حمل لواءه المثقفون والمتورون ، اثر كبير في تعميق الهوة بين الاغنياء والمعدمين من الفقراء عن طريق كتاباتهم ونشرياتهم ودعایاتهم .

١. التسونفي : نشرار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .

٢. ابن كلير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٣ .

٣. من قبل ذلك : أ / الرسائل التي كتبها ابو عثمان البخاري وكتاب البخلاء ومعظم مؤلفات البخاري الكثيرة .

ب / مؤلفات ابو حيان الترجيدي ، كالذخائر والبصائر ، والامتعة والمؤانسة ، والمقابسات ، والمواويل والشواهل وغيرها .

ج - ملحوظاته ابي الجوزي ، كالاذكياء ، وتلبيس ابليس ، وصيد الخاطر ، وانجذاب الحمعى والمنقلين ، وصفة الصفة ، وغيرها .

د / كتاب « الفرج بعد الشدة » للقاضي ابي علي التسونفي ، ومانسب الى ابي العناية وابي الشسقنق وغيرهم من شعر في الفاتحة وسوء الاحوال الاقتصادية والشکرى ، ويستأنى على ذكر ذلك خلال البحث .

لقد تعاطف معظم افراد هذه الطبقة مع حركات المعارضة ان لم يكونوا مادتها الاولى وهو ماوقع فعلا ، وفي مجال الثورة هذا انقسموا الى فريقين : فريق تبني المعارضة المنظمة كحركة الرنج والقراطمة ، وآخر عبر عن نقمته بأساليب متطرفة تنزع الى الفوضى والوسائل غير المشروعة كحركات العيارين والشطار والغوغاء .

وللقدماء في العامة اقوال وأشعار ، من ذلك ماذكر الجاحظ في احدى رسائله^(١) : « ليس للخاصة قوة بالعامة ولا للعالية قوة على الاراذل ، قال فيهم الامام علي (رض) : نعوذ بالله من قوم اذا اجتمعوا لم يملكون واذا تفرقوا لم يعرفوا ، وقال واصل بن عطاء : ما اجتمعوا الا ضروا ولا تفرقوا الا نفعوا ، فقيل له قد عرفنا مضره الاجتماع فما منفعة الافتراق ؟ قال : يرجع الطيان الى طينه ، والخاثك الى حياكته ، والملاح الى ملاحته ، والصائغ الى صياغته وكل انسان الى صناعته وكل ذلك مرفق للمسلمين ومعونة للمحتاجين ، وكان عمر بن عبد العزيز اذا نظر الى الطغام قال : قبح الله هذه الوجوه لا تُعرف الا عند الشرّ» .

وذكر الشاعر الحريمي العامة لما هبت لنجدۃ الامین فائلاً : من البواري تراسها ومن الـ خُوص اذا استلامت مغارفها لا الرزق تبغي ولا العطاء ولا يخشى بالفناء حاشرها^(٢) وبعضهم من اكبر شأنها وقوتها اذا اجتمعت على امر ، قال شبيب بن شيبة : « قاربوا هذه السفلة وباعدوها وكونوا معها وفارقوها واعلموا ان الغلبة لمن كانت معه وان المقهور من صارت عليه^(٣) » ، بل ان الخلفاء انفسهم خافوا جانبها وتصنعوا

(١) الجاحظ : الرسائل ، ج ١ ، ص ٢٨٣ .

(٢) الطبری : ج ٨ ، ص ٤٥١ .

(٣) الجاحظ : الرسائل ، ج ١ ، ص ٢٨٤ .

مداراتها ومجاراتها فقد : اضطر المعتصم الى ان يأمر بايقاف ضرب احمد بن حنبل خوفا من هياج العامة وثورتهم عليه ، وهذا السبب هو الذي حدا بالواثق الى ان يأمر احمد بن حنبل بمبارحة بغداد وان يسكن في مكان ناء عن الخليفة قائلا : لاتسكنني بأرضي ^(١) . وادعى رجل على المأمون مبلغ ثلاثين الف دينار ورفع ذلك الى القاضي يحيى بن اكثم فلما سمع المأمون بذلك بادر الى دفع المبلغ قائلا : « والله ما دفعت لك هذا المال الا خشية ان تقول العامة إني تناولتك من جهة المقدرة ^(٢) ». اوصى المأمون اخاه قبل موته قائلا : « لاتغفل امر الرعية ، الرعية الرعية ! العوام العوام فان الملك بهم وبتعهدهم المسلمين والمنفعة لهم الله الله فيهم وفي غيرهم من المسلمين ^(٣) » .

وصف بعض العلماء العامة ، فقال : « يجتمعون من حيث يفترقون ويفترقون من حيث يجتمعون لا يُفَلِّ عَزِيزَهُم اذا صالوا ولا تجتمع فيهم الحيلة اذا هاجروا ، والعوام اذا كانت نشرها فامرها أيسر ، وحُدَّة هيجها اقصر فاذا كان لها رئيس حاذق ومطاع مدبر وامام مقْلُد فعند ذلك ينقطع الطمع ويموت الحق ويُقتل المحق ^(٤) ». وظاهر كلامه واضح في ان العامة قوة عارمة لا يمكن قهرها لو اجتمعت على امر وتحت قيادة واحدة عند ذلك فرایة النصر والغلبة معقودة لها .

ولما هم المأمون بلعن معاوية افتاه يحيى بن اكثم وقال ^(٥) : « يا أمير المؤمنين ان العامة لا تحتمل هذا ولا سيما اهل خراسان » فركن المأمون الى قوله فلما اخبر ثمامه

(١) باتون : احمد بن حنبل والمحنة ، ص ١٥١ - ١٦٢ .

(٢) الابشيبي : المستطرف من كل فن مستظرفة ، ج ١ ، ص ٩٧ .

(٣) الطبرى : ج ٨ ، ص ٦٤٨ .

(٤) الجاحظ : الرسائل ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .

(٥) ابن طيفور : بغداد ، ص ٤٦ .

بذلك قال : « يا أمير المؤمنين وال العامة في هذا الموضع الذي وضعها به يحيى والله لو وجهت انسانا على عاتقه سواد و معه عصا لساقي اليك بعصاه عشرين الفا منها وقد جعلها الله اضل سبيلا من الانعام : « ام تحسب ان اكثراهم يسمعون او يعقلون ان هم كالانعام بل هم اضل سبيلا »^(١) .

روى ابن طيفور على لسان احد البغادة ما يدل على جهل العامة ، قائلًا^(٢) :

« مررت منذ ايام في شارع الخلد وانا اريد الدار فإذا انسان قد بسط كسامه والقى عليه ادوية وهو قائمه ينادي عليها هذا الدواء لبياض العين والغشاء والغشاوة والظلمة وضعف البصر ، وان احدى عينيه لمطمئنة وفي الاخرى مؤس له ، والناس قد اثنالوا عليه واجفلوا اليه يستوصونه فنزلت عن دابتي ناحيته ودخلت في غمار تلك الجماعة ، فقلت : ياهذا ، ارى عينك احوج هذه الاعين الى العلاج فلم لا تستعمله ؟ فقال : انا في هذا الموضع منذ عشر سنين ما مرّ بي شيخ اجهل منك ، قال : فقلت وكيف ذاك ؟ قال : ياجاهل اين اشتكت عيني ؟ قلت : لا ادري ، قال : فاقبليت على تلك الجماعة ، فقالوا : صدق الرجل انت جاهل وهموا بي ، قال : فقلت لا والله ما اعلمت ان عينه اشتكت بمصر ، قال : فما تخلصت منهم الا بهذه الحجة » .

وبحدر ابن الجوزي من تعلم العامة لعلم الكلام^(٣) : « ليس على العوام اضر من سمعاهم علم الكلام واما ينبغي ان يحذر العوام من سمعاوه والخوض فيه كما يحذر الصبي من شاطيء النهر خوف الغرق وربما ظن العماني ان له قوة يدرك بها هذا وهو فاسد فانه قد زل في هذا خلق من العلماء فكيف العوام ». وكتب طاهر بن الحسين الى ابنه عبد الله لما ولي ديار ربيعة بوصية : « والزم لرضاء العامة واعلم انك جعلت

(١) سورة الفرقان (٢٥) : الآية ٤٤ .

(٢) ابن طيفور : بغداد ، من ٥١ .

(٣) ابن الجوزي : صيد الخاطر ، ص ٢٨٨ .

بوليتك خازنا وحافظا وراعيا . وافرد نفسك للنظر في امور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمة اليك والمحترق الذي لاعلم له بطلب حقه^(١) » ، وقال احد الحكماء : « لاترهوا السفلة فيعتادوا الكسل والراحة ولا تبرئوهم فيطلبوا السرف والشغب ولا جرم فانهم اذا سادوا في آخر الامر خربوا بيوت العلية اهل الفضائل^(٢) » .

وتشمل طبقة العامة ، الفلاحين والعمال وأهل الصنائع والباعة المتجولين واهل السوق والعاطلين عن العمل من العياريين والشطار والمكدين والصعاليك والمشعوذين والخدم والرقيق وغيرهم من عاشوا حياة الفقر والفاقة . وليس ادل على اوضاعهم الاقتصادية السيئة من شعر الفاقه الذي جاء على السنة بعض الشعراء وهم بذلك يحاكون واقع هذه الطبقة المزري ، هذا ابو العناية يخاطب الامام بلسان العام قائلًا^(٣) :

مَنْ مِلْعُونٌ عَنِ الْأَمَا مَ نَصَاحَا مَتَوَالِيَة
أَنِ ارِيَ اسْمَا زَ ، اسْعَارَ الرُّعْيَةِ خَالِيَة
وَارِيَ الْمَكَاسِبَ نَزَرَةَ ، وَارِيَ الْحَرْرَةَ فَاشِيَة
وَارِيَ هَمُومَ الدَّهْرِ رَأْيَةَ ، ثَرَّ غَادِيَة
وَارِيَ السِّيَامِيَّةَ وَالْأَرَاءَ مَلَّ ، فِي الْبَيْوَتِ الْخَالِيَة
مَنْ يُرْتَجِسَ لِلنَّاسِ غَيْرَ كَ لِلْعَيْوَنِ الْبَاكِيَة
مَنْ لِلْبَطُونِ الْجَائِعَاتِ ، وَلِلْجَسْوُمِ الْعَارِيَة
اما ابو الشمقمق وهو شاعر اديب طريف صعلوك متبرم ، فيقول^(٤) :
ولقد اهزلت حق محت الشمس خيالي

(١) الطبرني : ج ٨ ، ص ٥٨٧ - ٥٨٩ . ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٣٧١ - ٣٧٤ .

٤١ .

(٢) الترجيحي : الامتناع والمؤانسة ، ج ٢ ، ص ٤١ .

(٣) ديوان ابو العناية ، نشر دار صادر ودار بيروت ١٩٦٤ ، ص ٤٨٧ .

٣١ .

من رأى شيئاً محلاً فانا عين الحال
ولقد افلستُ حتى حلَّ أكلي لعمالي
وفي مكان آخر يصف اولاده واهله^{١٠}:

ليساوا بذى قمر ولا ارز
عداوة الشاهين للوذ
كانت لهم عنز فاؤدى بها
وهذا ابو فرعون الساسي وهو شاعر اعرابي سائل يصف حاله^{١١}:

سود الوجوه كسود القدر
بلا قميصٍ ويغير إزر
وجاءني الصبحُ غدوت اسرى
ويعضمهم ملتصقٌ بصدرٍ بحجرٍ
ويعلن ابو هفان الشاعر سوء الطالع وتباین الارزاق^{١٢}:

يأنولج الليل في النهار صبراً على الذئب والصفار
كم من حمار له حمار ومن جواد بلا حمار
وعند ابي سكرة الماشمي ان الانفاس يولد الجوع وينذهب الصديق^{١٣}:

جملة امرى اني مفلس وليس للمفلس اخوان
وكل ذي عيش بلا درهم فعيشة ظلم وعدوان
وعيال ابو الشمقمق يجبرون على اكل خبز الغضارة وشرب بول الحمارة^{١٤}:

١٠. جريشاوم : شعراً عباسيون ، ص ١٤٦ .

١١. اليهفي : المحسن والمساوي ، ص ٥٨٥ ، شعراً عباسيون ، ص ١٤١ .

١٢. اليهفي : المحسن والمساوي ، ص ٢٧٨ .

١٣. العالبي : يتيمة الدهر ، ٣ ج ، ص ٢٥ .

١٤. جريشاوم : شعراً عباسيون ، ص ١٤٠ .

ان العيال تركتهم بالمرى خبزهم الغضارة
وشرابهم بول الحمار مزاجة بول الحمار
ورأى الاصمعي ثيميا متعلقا بастار الكعبة يندب حظه وعراء ويقول :

ا يا رب رب الناس والمن والمهدى	امالي في هذا الانام قسيم
اما تستحي مني وقد قمت عاريها	اناجيك ياري وانت كريم
اترزق ابناء العلوج وقد عصوا	وتترك قرما من قرؤم ثيم

١- الفلاحون :

وهم الاكراة من اهل القرى والارياf كما يسمون في كتب الاقديم .
ويشكلون سواد الشعب ومصدر دخله ومعظمهم من سكان البلاد الاصليين الذين
اصبحوا بحكم الفتح في عداد اهل الذمة ، وفي المدن اصبح بعض اهل الذمة شأن
كبير حيث اشتغلوا في الوظائف ودوائر المال واعلنوا اسلامهم ، ويتكلمون لغات
البلاد الاصيلية كالسريانية والأرامية واليونانية في العراق والقبطية في مصر والفارسية
في بلاد فارس والتركية في تركستان وماوراء النهر ، وهم يرتبتون بالارض التي فيها
رزقهم يزرعونها ، ويستثمرون غلاتها ويدفعون عنها ضريبة الخراج .

لقد شهد العصر العباسي الثاني بعد خلافة المتوكل على الله (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٦١ - ٨٤٦ م) فوضى وانحللا في الادارة واستفحلا لسلطة
الاشراث ، مما ادى الى تدهور نظام الري والزراعة في ظلم الجباة وعمال الخراج

١. البيهقي : المحاسن والمسارى ، ص ٥٨٥ .

٢. القرم : البعد المكرم ومنه قيل للسيد قرم مقرم تشبيها به - الصحاح ص ٣٣٢ .
٣. الاكراة جمع اكارات والاكارات الحرات او الزراع والمأكراة تعني المزارعة على نصيب معلوم ما يزرع في
الارض . ابن منظور : لسان العرب ، ص ٢٦ ، المجلد الرابع .

٤. الطبرى : ج ٩ ، ص ٨٧ .

والملاكين لل فلاحين ، والى انتشار الفقر والتذمر العام ، ثم ان ظلم الجباة دفع الملاكين الصغار الى بيع ضياعهم فنشأ من جراء ذلك ملاك كبار بآيديهم اراض واقطاعيات واسعة . رفع احدهم الى المؤمن مظلمة يشكوا مصائب الدهر قائلا : « فلم يسبق لي ضيعة الا خربت او استحوذ عليها ولا نهر الا اندر ولا منزل الا تهدم ولا مال الا ذهب وقد اصبحت لا املك سبداً ولا لبداً »^(٢) .

ويطلق على الذين يسكنون القرى المحطة ببغداد منهم ، السوادية او اهل السوداد^(٣) ، وقد عاشوا تحت رحمة قوتين عاتيتين هما : قوة الطبيعة وقوة الانسان وقوته ، اما قوة الطبيعة فكانت تمثل بأشكال منها هبوب الرياح العاتية والمطرة وحدوث الفيضانات^(٤) ، « ففي عام (٢٨٥ هـ / ١٩٠٨ م) هبت في البصرة ريح صفراء ثم عادت قفراً ثم سوداء ثم تتابعت الامطار مما لم يشهدوها مثله وقع برد وزن البردة مائة وخمسون درهما وقد اضر ذلك بالمزروعات ضرراً كبيراً »^(٥) وفي عام (٢٨٩ هـ / ١٩١٠ م) « هبت ريح عاصفة في البصرة ايضاً حتى اقتلعت النخيل وهدمت البيوت وهلك فيه ستة الآف نفس » . وسقط في بغداد عام (٢٩٦ هـ - ١٩١٨ م) ثلوج كثير من بكرة العصر فصار على الارض اربع اصابع وكان معه برد شديد وجفون الماء والخل والبيض والادهان وهلك النخل وكثير من الشجر^(٦) .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٦ .

(٣) بدري محمد فهد : العامة في القرن الخامس الهجري ، ص ٨٦ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ٩٠ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٤٩١ .

ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٥٢٢ .

نفس المصدر ، ج ٨ ، ص ٥٤ .

ومن اشكال تحكم الطبيعة انتشار الجراد الذي يهلك الزرع ، كالذى ظهر في
نهاية القرن الثالث للهجري بكميات كبيرة اتت على الغلات والاشجار فاشتد الغلاء
حتى بلغ كر^١ الخنطة خمسين ومائة دينار^٢

اما القوة الثانية التي عرقلت مجهودات الفلاحين فهي افعال الجندي وقسوة عمال
الخراج ومضائقات الملاك الكبار وثقل دفع الخراج نفسه . فكثيراً ما كان الجندي
يستغلون حدوث الفتنة في هجومهم على القرى ويسرقون ما يجدون من مواشي ودواجن
علاوة على اشاعتهم الخوف والملع في قلوب الفلاحين^٣ ، كما حدث لجيش اي احمد
وابنه اي العباس الذي قصد واسط لاخراج الزراعة منها بعد ان دخلوها عام
(٢٩٧هـ / ٩٠٩م^٤) ، فقد احتوى الجندي على الذخائر والاموال والاطعمة
والمواشي والدواجن ، وكثيراً ما تناول السلطة منع الجندي من الاعتداء على الفلاحين
ولكنها على الاغلب لاتنبع في مسعاها .

والى جانب هؤلاء الجندي كانوا هناك عامل بشري آخر يشكل ظليماً وحيفاً يلاحق
الفلاحين وهو جور الولاية وسوء معاملة عمال الخراج ، ففي عام (٢٦٠هـ / ٨٧٣م)^٥ « عندما اشتد البرد في الموصل واهلك الاشجار والثمار والخنطة والشعير ،
طالب عامل الموصل المدعوه ادكتور الزراع بالخروج حتى على الغلة التي

١. الكفر العراقي في بغداد والكرفة يساوي ستين قبضاً مفاتيح العلوم ص ١٢ ، ولمعرفة المزيد عن هذه
الأوزان يراجع هامش ص ١١١ من الرسالة .

٢. ابن الجوزي : المنظيم ، ج ٥ ، ص ٢١ .

٣. بدري محمد فهد العامة ، ص ٩٠ .

٤. ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٣٤٤ . ابن الجوزي : المنظيم ، ج ٥ ، ص ٥٨ .

هلكت^(١) .

واستكثرا هيل قم ماعليهم من خراج وشكروا ثقله الى الخليفة المأمون ، وسألوه
الخط فلم يحبهم وحاربهم وجباهم سبعة الاف الف درهم بعد ان كانوا يتظلمون من
النبي الف درهم^(٢) . ويدرك الصابي^(٣) : ان بعض العمال كانوا يطلبون الولاية في
سبيل الحصول على الاموال وذلك بسلب الفلاحين في القرى بعض غلاتهم وقد
يقاسمونهم أياما كان يعيشون بعض رجالهم الى البیدر فيقسمونه كما يشاؤن واذا تكلم
الاكار شتموه وحلقوا لحيته وضربوه وقد لا يرضيهم ذلك فيغتصبون الضياع برمتها .
وكتيرا ما كان الفلاحون يتعرضون للعذاب كالضرب بالسياط وتعليق الحجارة
بأبدانهم وايقافهم في الشمس المحرقة لغرض اخذ الاموال منهم بالقوة او ضمان
محصولهم قبل نضجه بسرعه زهيد خلاف رغبتهم وقد استنكر ابو يوسف ذلك واشترط
للنجاة توفر الرغبة وان يعين الخليفة رجلا يرى مدى تطبيق ذلك بالعدل
والقسطاس^(٤) .

وقد عرف الفلاحون بالسداقة والبساطة وفور ان العاطفة فقد ذكر ان المازار
وهو من اتباع بابك الخرمي قد جمع مناوئيه عام ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م) ودفع بهم الى
الاكرة ليلا ليقتلواهم وكان عددهم ٢٦٠ فتى ، فلما عاد الاكرة الى عقوتهم ندموا على
 فعلهم وارادوا ارضاءهم ، فاباح لهم منازل ارباب الضياع وحرمواهم الا ما كان من
جارية جليلة من بنائهم ف تكون له وقال لهم اقتلوا ارباب الضياع جميعهم ثم جوزوا ما

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٦٩ .

(٢) مسکريه : تمارب الامم ، ج ٦ ، ص ٤٦٠ .

(٣) الصابي : تاريخ الوزراء ، ص ٩٢ .

(٤) العطري : ارض السواد ، ص ٣٢ .

في منازلهم الا ان الاكرة هذه المرة خافوا وحدروا فلم يفعلوا ما امرهم به^(١) .
 لقد كانت حالة الفلاحين على العموم مزرية وكانوا مرهقين بالضرائب
 ويعانون من عدم توفر وسائل الراحة ، بل وحتى ما هو ضروري للزراعة كالالة
 والمياه الوافرة وبالاخص المزارعين خارج العاصمة الذين يقطنون القرى والارياف
 فقد وقع هؤلاء تحت نيرين ، نير الدولة القرية منهم ونير الطبقة العليا واصبحوا
 يعملون لسيد قريب منهم ولسيد آخر يقيع في العاصمة بغداد^(٢) .

٢ - العمال وصغرى الصناع :

وهم الذين يسكنون المدن وهم اخلاط من مولدي العرب والفرس والترك
 والديلم والروم والنبط والجركس والاكراد والكرج والبربر ، ويشار اليهم بالاصناف
 واصحاب المهن واهل الصنائع^(٣) . وعلى الرغم من كونهم من فئات متعددة الا ان
 اللغة العربية كانت تربط بينهم ، باعتبارها لغة الدولة التي يعيشون في كنفها ، والمهنة
 حركة يتعاطاها الانسان بلا خفر ولا استكراه^(٤) . وقد اكد الاقدمون على ان يقوم كل
 صانع بعمليه الذي يتلقنه ولو خير ومكان لزاؤل كل الصنائع طمعا في المال والجاه ،
 ودليلهم على ذلك ان الحائث لايزرع القطن والخياط لاينسج الثوب والخباز لايدبّح
 الشاة والعطار لايدبّح والرقصان لا يضرب بالعود ، ولو امكن لفعل كل واحد جميع
 ذلك^(٥) .

(١) الطبرى : ج ٩ ، ص ٨٧ .

(٢) بندي جوزى : من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، ص ٧٣ .

(٣) الجاحظ : الرسائل ، نشر السندي ، ص ١٢٦ .

(٤) التوحيدى : المهام والشمامل ، ص ٨٦ .

(٥) التوحيدى : المقابلات ، ص ٢٤٢ .

كان جل الصناع واهل الحرف من المولاي واهل الذمة في بداية القرن الثالث الهجري وقد انضم بعض المسلمين العرب وزوالوها بسبب تحسن النظرة الى بعض المهن كالتجارة والصناعة فيها بعد . ويلاحظ ان اكثر الخياطين والصاغة والاساكفة والبخاريين من اليهود ، واكثر المسيحيين سيارة وتجارا^(١) . وتعليق ذلك احتقار المجتمع لهذه المهن من جهة ، وتعارض الدين الاسلامي مع بعضها من جهة اخرى كالصيغة التي تعتبر ضربا من الriba الذي نهى الدين عنه واعتبره حراما في الآية « واحل الله البيع وحرم الriba^(٢) » .

ان ما يخفف من نظرة احتقار الناس لتلك الصناعات كونها صناعات موروثة ، يزاولها اصحابها منذ الصغر^(٣) .

وللعرب في هذا المجال اقوال كثيرة ، كقول الجاحظ : « الحمق في الحاكمة والمعلمين والغزاليين^(٤) » . وقول المؤمنون : « السوق سفل والصناع اندال والتجار بخلاء^(٥) » ، وكانوا اذا ارادوا ذم احد قالوا : « يا اخدر من جفنة الدباغين وانت من ريح القصابين ، يا انت من حانوت الحجام يا اقدر من طين السماسكين ، يا اثقل من طفيلي يعربد على التدام ، يا اشد على الاحرار من تطاول الحجاب وعبوس البواب وجفاء الحجاب ، يابيرم التجار يازنيل القماش^(٦) » .

(١) ابو يوسف المخراج ، ص ١٢٣ ، القاهرة ١٣٥٢ هـ ، ط ٢ .

(٢) سورة البقرة (٢) : الآية ٢٧٥ .

(٣) ابن الاشوعي القرشي : معالم القرية في احكام الحسبة ، ص ٢١٥ .

(٤) الجاحظ : البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١٣٦ .

(٥) البيهقي : المحسن والمساوي ، ص ١٠٣ .

(٦) ابن المطهر الاذدي : حكاية ابي القاسم البغدادي ، ص ١٢٠ - ١٤٠ .

وقد تناول الشعراء ذلك بشعرهم ، كتب أحدهم إلى عبدالله بن طاهر^(١) :

اذا كان الجواود له حجاب فما فضل الجواود على البخيل

وقال آخر^(٢) :

واحضر بباب ابراهيم جهلا
فانخرج ان خرجمت بغیر شیء
ولشاعر ثالث^(٣) :

يدل على انه كاتب سواد بظفاره راتب
فإن كان هذا دليلا له
جب شديد لابوابه وليس لباب استه حاجب
لقد كانت اجر العمال زهيدة ما يدل على انهم كانوا يعيشون في فاقه ، فقد
بلغت اجرة عامل في حانوت نصف درهم في اليوم مع كسوته وطعامه وقد تزيد على
ذلك تبعاً لميشية صاحب الحانوت وكانت اجرة عامل الخفر ثلاثة دراهم في اليوم
واجرة الخداد خمسة دراهم ليوم واحد واجرة عامل حمام خمسة دراهم ايضاً^(٤) .

وي يكن تقسيم أهل الصنائع إلى طائفتين :

الأولى : هم المأجورون الذين يقومون بعملهم لحساب غيرهم لقاء أجور يأخذونها من مستخدميهم ، وتعطى لهم أما أجور يومية أو على حساب القطعة ، وقد يعملون في بيوتهم ومخالاتهم الخاصة أو في بيوت مستخدميهم وهم قد يستعملون في عملهم أدواتهم الخاصة ومواداً أولية من عندهم أو مما يجهزهم به مؤجروهم ،

(١) البيهقي : المحاسن والمساوي ، ص ١٠٣ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

(٤) ابن الجوزي : ثلبيس البليس ، ٣٨٤ .

ويدخل ضمن هذا النوع من العمال الصناع من العبيد الذين يعملون لاسيادهم او قد يكونون مأذونين لهم حق العمل فيما يريدون من صناعات وقد يدفعون لاسيادهم هم كل ما يجرونه او قد يدفعون مبلغا معينا من المال يدعى ضريبة او خراجا او غلة .

فقد بلغ دخل الزجاج في نهاية القرن الثالث الهجري « درهما ودانقين او درهما ونصف يدفع لاستاذه درهما ويبقى لديه نصف درهم او اقل يعتاش بها »^(١) . وحتى من كان منهم يشتغل في بلاط الخليفة فان راتبه الشهري قليل وزهيد لا يتتجاوز الثلاثين درهما في الشهر كما هو بالنسبة للمحرفين الذين يستغلون في قصر الخليفة المعتمد ابان القرن الثالث الهجري^(٢) .

اما الطائفة الثانية : فهم الصناع المستقلون الذين يعملون لحسابهم الخاص من ذوى الحرف الذين يرثون صنعة آبائهم عادة ، وهم على العموم احسن مكانة من الصنف المأجور ، فهم يمتلكون وسائل الانتاج والادوات ورأس المال في بعض الاحيان ولم يحول لهم حرية التصرف في عملهم كما يشاؤون بعيدا عن السيطرة والتسلط^(٣) ، وهؤلاء الصناع اصناف وسميات عده^(٤) .

٣ - العاطلون عن العمل :

وكانوا طوائف مهمة من العامة ، الذين سكنوا المدن وارتقوا من النهب

(١) المدائني : تكميلة تاريخ الطبرى ، ص ٥١ .

(٤) الصابى : تاريخ الوزراء ، ص ٢٢ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .

(٦) كالخدادين والرفالين ، والعصارين ، والاساكفة ، والمطرزين ، والوراقين ، والمجلدين والمعطارين ، والمشهددين ، والنجارين ، والخراطين ، والاسفاطين ، والسبعين ، والخبازين ، والطباخين ، والمخرقين ، والبواين ، والخجاليين ، والمضحكين ، والطبالين ، والجزارين ، والبواقون ، والموسيقيين ، والسواقين ، والشوابئين ، والفرائين ، والطحانين ، والقلاثين ، والدلاليين ، والرواسين ، والبقالين ، والبنائين ، والحلوين ، والزلالين ، والعيارين ، والشرايين ، والفخارين ، والمخمامين ، والكحالين ، والخياطين ، والحاكة ، والجصاصين ... الخ - بدري محمد فهد : العامة ، ص ٥٩ - ٦٢ .

واللصوصية ، ولم يُسم عند المؤرخين المسلمين تسميات مختلفة كالرعام والصعاليك والزواقيل والخرافيش^(١) ، والعراء والأوباش والدعار والسوق والعوام^(٢) ، والسلطة والنوغاء والفساق والطرارين^(٣) .

ومن العاطلين الخرافيش والحواء المشعوذون والعبيد السود (الزنج) ، وهؤلاء أكثر طوائف العامة انتشارا ، وقد ثاروا في أواسط القرن الثالث الهجري قرب البصرة وأمرروا عليهم علي بن محمد بن احمد الذي ظهر بينهم وادعى النسب إلى الامام علي^(٤) ، وأنه ما جاء إلا ليخلص العبيد من جور ملوكهم ورثى لعيشهم على السوق والتسر ومناهم بمال ورغد العيش^(٥) ، ونظمهم في جيش ضخم هدد الدولة العباسية وانهك قوتها مدة تزيد على أربعة عشر عاما (٢٥٥ - ٢٧٠ هـ / ٨٦٨ - ٨٨٣ م) ، حيث قضى على حركتهم في زمن الخليفة المعتمد^(٦) ، ومن ابرز فئات العاطلين ، العيادون والمسطار والمكدون ، وسأعرض لهم بشيء من التعریف

١- العيادون :

ولم تسميات متعددة في المصادر العربية^(٧) ، منها المشردون والفساق والدعار والرعام والطرارون والنوغاء والأسفل والسفهاء واللصوص واهل الطرق ، فقد

(١) جرجس زيدان : المتضليل الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٥٥ .

(٢) مؤلف غيره لـ : العيون ، المدائق في معرفة الحفائق ، ج ٣ ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٧٣ - ٢٧٦ .

(٤) الطبروي : ج ٩ ، ص ٤١ .

(٥) نفس المصدر ، ج ٩ ، ص ٤١٥ .

(٦) السامر : ثورة الزنج . س ١٣ - ١٥ .

الطبروي ، ج ٨ ، ص ٥٥١ .

روى عن احمد بن حنبل قوله : « رحم الله ابا الهيثم الحداد : لما مددت يدي الى العقاب ، واحرجت للسياط اذا أنا بانسان يجذب ثوي من ورائي ، ويقول لي : تعرفني ! قلت : لا ، قال انا ابو الهيثم العيار اللص الطرار ، مكتوب في امير المؤمنين اني ضربت ثمانية عشر الف سوط بالتفاريق ، وصبرت على طاعة الشيطان لاجل الدنيا ، فأصبر انت في طاعة الرحمن لاجل الدين » .

ومن تسمياتهم الشائعة « الفتيان » ، كقول شاعرهم :

ويقول الفتى ، اذا طعن الطعنة خدتها من الفتى العيار
والمتداول في تسمياتهم : العيارون ، وهم العراة الذين ظهروا في نهاية القرن الثاني الهجري ابان فتنة الامين والمأمون ، وحصار بغداد عام ١٩٧ هـ وقد بلغ عددهم آنذاك مائة الف .

.٢٠. د. الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ص ٦٨ .

.٢١. المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجواهر ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .

.٢٢. الطبری : ج ٨ ، ص ٤٦٥ .

.٢٣. المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجواهر ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .

.٢٤. الطبری : ج ١ ، ٤٥٨ .

وقد اقتصر لباس العيارين على « ازرة » او « مثزر^(٢) » يلفون بها اوساطهم^(٣) ، وفي الازمات والمعارك يجعلون في اعناقهم الجلاجل والصدف الاحمر والاصفر ومقاعد ولجها من مكانس ومذاب لهم عراة في اوساطهم المازر^(٤) ، وصفهم الشاعر عمر الوراق بقوله^(٥) :

عريان ليس بذى قميص
يغدو على طلب القميص
يعدو على ذي جوشن
يعمى العيون من النصيص
في كفة طراده حمراء تلمع كالفصوص
حرصاً على طلب القتال اشد من حرص الحريص
ويقاتل العيارون وفي رؤوسهم « دواخل من الخوض سموها الخود ، ودرقا من
الخوص والبواري قد قرنت بالحصى والرمل^(٦) » ، وفي ذلك يقول الشاعر
الاعمى :

(٢) « المثزر : قطعة التماثيل التي تستر العورة والتي تلبس من السرة الى اسفل » دوزى : المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ، ترجمة د . اكرم فاضل ، ص ٤٠ .

(٣) د . الدورى : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ص ٦٨ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .

(٥) الطبرى : ج ٨ ، ص ٤٦٥ .

(٦) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .

(٧) الطبرى : ج ١ ، ٤٥٨ .

الى الحرب كالاسود الضوارى
 عن البيض والتراس البوارى
 فتقى عريان ماله من ازار
 خوص اذا استلامت مغافرها
 الصفوف اذا ماعدت اساورها
 ساعد طرارها مقامرها
 يحشرها للقباه حاشرها
 لقد عانت فئات العاطلين ، الحerman والجوع والتشرد والاحتقار الاجتماعي
 وهذا مايفسر لنا تجمعهم في حركات مضادة وساخطة ، تعتبر حركة العيارين واحدة
 من تلك الحركات التي ما شهد القرن الثالث الهجري ما يماثلها وما هو اعنف منها ،
 وان كانت حركة العيارين تنفرد من بين تلك الحركات بطابعها السرى وباسلوبها
 الفوضوي الحاقد على الاغنياء والساخط على مثل وقيم المجتمع العباسي ولسان
 حالم يقول :

عليك ثوبان وأمي عاريةٌ فألق لي ثوبك يابن الزانية^(٢)
 لقد انظم العيارون في عصابات تصدت الى نهب الحوانات والأسواق وبيوت
 الاغنياء . وبعد ان انتهت فتنة الامين والمأمون التي دامت اربعة عشر شهرا ،
 استمروا في حركتهم ، مما اضطر القائد طاهر بن الحسين الى فرض الحصار
 الاقتصادي على بغداد ، وقد سلطوا خلال الفتنة وقاموا ببعض التعديات ، وجبوا

نفس المصدر . ج ٩ . ص ٣٤٦ .

مؤلف مجهول : العيون والخدائق في اخبار الحقائق ، ج ٣ ، ص ٣٣٣ .

الأسواق واباح لهم رؤسائهم النهب والسلب علانية^(١) .

ان تذمر العيارين من سوء احوالهم الاقتصادية ، وانتقادهم لنظام توزيع الثروة غير العادل ، جلبت لهم عطف الشعب الكادح الذي عانى ماعانوه ، فانضم اليهم اهل الحرف والباعة المتجلولون وصغار التجار الذين كسدت سوقهم وبارت بضاعتهم ، فقد ذكر ابن الأثير^(٢) : ان باعة الطريق واهل السجون والاوياش واهل السوق قد انخرطوا في صفوف العيارين وحاربوا ببسالة قبالة جيش طاهر بن الحسين .

وليس للعيارين جنس معين ، بل كانوا خليطا من عدة اجناس اكثراهم من غير العرب ، كما تدل اسماء رؤسائهم امثال نبوبيه وخالويه وديكويه ودويل^(٣) .
ونشط العيارون للمرة الثانية في فترة الحصار الثاني لبغداد عام (٤٥١ هـ / ٨٦٥ م) ، حتى كثر شغب الاتراك في سامراء .

وتجدير بالذكر ان الرأي العام البغدادي قد عاب على المعتصم اعتماده على الاتراك وبنائه سامراء مدينة لهم ، حتى ان احد الشعراء عيره قائلا^(٤) :
ايا ساكن القاطلوب بين الجرامقة^(٥) تركت بغداد الكباش البطارقة
وقد بلغ عددهم آنذاك خمسين الف عيار حتى انهم اذا تحركوا هلك بعضهم من كثرة عددهم وسرعة حركتهم ، فقد اعتمد عليهم المستعين ضد الاتراك الذين

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٧٢ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) الطبرى : ج ٩ ، ص ٣١١ - ٣٠٩ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٤ ، ص ٥٤ .

(٥) في لسان العرب ، ج ١٠ ، ص ٣٥ « الجرامقة قوم بالموصل اصلهم من العجم ، واجرمونق ، خف صغير وقل خف صغير يليس فوق الخف » وقد استعملها الشاعر في هذا الموضع استخفافا بالاتراك .

بaidu المعترض في سامراء ودارت بينهم معارك تمكنا من صد هجمات الاتراك على بغداد ، « وكان عليهم عريف يقال له نبتويه وبايدتهم الباري المقيرة وقد ثبتوا ، في حين ان اهل بغداد ولو الاذبار وتركوا قتلهم وجرحاهم^(١) » واستعان بهم المهدى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م^(٢) .

لقد كانت بعض حركات العيارين موجهة ضد السلطة علانية ، فقد ثاروا عام (٢٤٨ هـ / ٨٦٩ م) وافتتنوا مع الشرطة ، وصبووا عليهم الماء وطاردوهم في الشوارع واولع العيارون بأذى الخدم السود ايضا فكانوا يقولون لهم : « ياعقيق ! » وقد اتصف المتضدد لهؤلاء الخدم^(٣) . وقد اقتصر اذا هم هذا على الخدم الذين كانوا في بلاط الخليفة وحاشيته انتقاما من السلطة والمتفعين بها .

وفي سنة (٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) ، قاتل العيارون محمد بن عمرويه صاحب الشرطة في بغداد وكل من اراد بيعة ابن المعترض^(٤) .

اما اسلحة العيارين ، فكانت الحجارة والمقاليع والأجر المقطوع والبارية المقيرة والجعبة او المخللة والتراس من الباري ، واتخذوا الخوذ من الخوص والرماح من القصب والبوقات من القصب وقررون البقر ، وقد ذكر الطبرى^(٥) : ان العيارين استعملوا في حرب الاتراك الكافركوبات وهي بواري مقيرة فيها مسامير من الحديد وترأسهم نبتويه ونودى من اراد السلاح ، فوافاها العيارون من كل جانب ، فقسمه عليهم وتفرقوا على ابواب بغداد وقد قتلوا من الاتراك خمسين نفسا وقتل منهم عشرة .

(١) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ١٤٤ .

(٢) الطبرى : ج ٩ ، ص ٢٨٨ .

(٣) ابن الجوزي : المتنظم ، ج ٥ ، ص ١٧١ .

(٤) مسکوریه : تجارب الامم ، ج ٥ ، ص ٧ .

(٥) الطبرى : ج ٩ ، ص ٢٨٨ .

نظم العيارون انفسهم الى عشرات على كل منها (عريف) ، وعلى كل عشرة عرفاء (نقيب) ، وعلى كل عشرة نقباء (قائد) ، وعلى كل عشرة قواد (امير^(١)) (الرئيس) وتحت امرته عشرة امراء وهو الرئيس الاعلى للتنظيم العسكري العياري^(٢) .

ومن رؤساء العيارين ، حاتم الصقر وقد اشتهر في حوادث (١٩٧ هـ / ٨١٢ م^(٣)) ، وابو مسمار ، وفرج البغوارى ، ونبتوبه ، وخالوبه ، ودويل ، ودغال ، وابو ثلة ، وابو عصارة ، وديكوبه ، والمخربى وقد ذاعت شهرتهم في حوادث (٢٥١ هـ / ٨٦٥ م^(٤)) .

ب / الشطار

طائفة امتهنت اللصوصية ، وجاهرت بها واعتبرتها صناعة حلالا وسلامحا رادعا بوجه الاغنياء ، مبررين ذلك بالفقر الذي هم عليه والحاجة التي اضطرتهم الى السرقة ، بعد ان اسقطت ارزاقهم . يضاف الى ذلك ان الاغنياء في القرن الثالث المجري ، قد تساهلوا في دفع الزكاة حتى ان قسمها منهم امتنع عن دفعها ، وهذا وعلى حد زعمهم وجبت مهاجمتهم والسطو على اموالهم احراقا للحق ، وانصافا للضعفاء وانتصارا للدين الاسلامي الذي اعتبر الزكاة فرضا واجبا للفقراء في ذمة الاغنياء .. فقد كان ابن حدون وهو احد رؤسائهم المعروفين ، لا يتعرض لاصحاب البضائع

(١) مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق ، ص ٥٥ .

(٢) الطبرى : ج ٩ ، ص ٣٠٩ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٧٦ .

(٤) الطبرى : ج ٩ ، ص ٣٠٩ وما بعدها .

سورة البقرة : ٢٧٧ ، سورة التوبة : ٦١ .

القليلة التي تكون دون الالف الا اذا تشارك مع اخر ضعيف الحال ، وانه لا يفتش امرأة ولا يسلبها^{١٠} .

روى بعض التجار البغداديين : قال خرجت من بغداد اريد واسط فافقرني احد المتصوص واخذ كل ما املكه فسهل علي الموت وكنت اسمع ببغداد ان ابن حدون فيه فتوة وظرف وانه اذا قطع لم يعرض لاصحاب البضائع القليلة التي تكون دون الالف اذا اخذ من حاله ضعيفة شيئاً فاسمة عليه فترك شطر ماله في يديه ، وانه لا يفتش امرأة ولا يسلبها وحكايات كثيرة مثل ذلك ، فاطمعني ذلك فصعدت الى موضعه وكلمته بأمرني وما آلت اليه حالی ، فاجابني قائلاً : لعن الله السلطان الذي احوجنا الى هذا ، فإنه قد اسقط ارزاقنا فاحتاجنا الى هذا الفعل ، ولستنا فيها نعمل بمرتكبين امراً عظيماً مما يرتكبه السلطان ، ثم امر باحضار ما اخذ مني ، فاعطاني نصفه ، فقلت : ان الطريق فاسد وما ان اتجاوزه حتى يؤخذ هذا ايضاً ، فانفذ معه من يؤديني الى المأمن قال : ففعل ذلك^{١١} .

وظهر الشطار الى جانب العيارين كقوة مؤثرة في احداث بغداد ابان فتنة الامين والمأمون ، وكان لهم دور ملحوظ فيها لحق بها من هب ودب ، عبر عنه الشاعر الحربي احسن تعير بقوله :

يُحرقها ذاك وذاك يهدّها
ويشتفي بالنها شاطرها
والكرخُ اسوقها معطلةً
بيّن عياراتها وعائزها^{١٢}
ويمثل الشطار التنظيم السلمي في حين ان التنظيم الحربي قد عبر عن نفسه في حرقة العيارين من خلال انتظامهم في نظام الجند العشري الذي سبق ذكره^{١٣} ، وهم

١٠. ابا الحافظ : البخلاء ، ص ١٠٥ .

١١. التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ١١٩ .

١٢. الطبرى : ج ٢ ، ص ٤٥١ .

١٣. جرجي زيدان : التمدن الاسلامي ، ج ٥ ، ص ٥٢ .

في اوقات السلم يتظملون في جماعات ونقابات خاصة^{١٠}، وكل وحدة من هذه التنظيمات تضم عدداً من الفتيا يتولى امرتها الشيخ او الاب او القائد ويسمونه الكبير^{١١}.

وكان للفتيا او الفتوة قاضي يلي عليهم الآداب . كالقاضي ابن الفاتك^{١٢}.

فقد كانوا يجتمعون عنده وكان يسكن بغداد عند باب الكرخ ومن كلامه : (الساتي من لا ينبغي ان يكون محدثاً ولا مغالطاً ولا محابياً ولا حريضاً ولا منكراً ولا ملتكناً ولا محبيها ولا مشتغلاً بأمر غيره^{١٣}) .

ولعلي بن الجهم شعر في رجل اسمه المفضل يسكن بالكرخ كان يجتمع له جماعة الشطار تألف القيان^{١٤} .

نزلنا بباب الكرخ اطيب منزل^{١٥} على محسنات من قيام المفضل
اشرب بيده واغمز بطرفه ولا تخف^{١٦}
رقبيا اذا ما كنت غير مبخل^{١٧}
ودع عنك قول الناس اتلف ماله^{١٨} فلان فأضحي مدبرا غير مقبل^{١٩}
وقد انتظموا في كيانات واصبحت لهم خلايا وجماعات ، كالاحزاب وكانوا^{٢٠}
ينشرون دعوتهم بين الغلمان والصبيان والفتيا ، اوصل عثمان الخياط الشطار
اللصوص قائلة : « عليكم بالتخاذل الغلمان فان غلامك هذا اتفع من اخيك واعدل
لك من ابن عمك^{٢١} . واذا ما انظم اليهم عضو جديد اقاموا له حفلة ، شربوا فيها

١٠. الشعي : الصلة بين التصوف والتشيع ، ص ٤٢٠ .

١١. ابن العمار : الفتوة ، ص ١٩٢ .

١٢. المحافظ : الحيوان ، ج ٢ ، ص ٣٤٦ .

١٣. ابن العمار : الفتوة ، ص ١٧ .

١٤. ابن العمار : الفتوة ، ص ٢١ .

١٥. المحافظ : الحيوان ، ج ١ ، ص ١٦٨ .

الانتخاب في مكان بعيد عن اعين الناس^{١٠} . ويلبسون ملابس خاصة بهم ويأتزرون بمثغر على صدورهم يعرف بأذرة الشطارة، ويتشمرون بلثام او قناع يخفون وجوههم تحته وفي ذلك يقول عثمان الخياط : « دعوا لبس العمائم وعليكم بالقناع^{١١} ، والقلنسوة^{١٢} .

ويطلق على الشيخ من الشطار من عجز عن القيام بهام الشطارة : بالتواين^{١٣} . ففي زمن المعضد ، حدث ان نقب منزل صاحب عطاء الجيش وانحد ما فيه من مال فعمد صاحب الحرس وهو يومئذ موئس العجل إلى احضار التوابين والزمهم بتشخيص اللص الفاعل^{١٤} .

وللشطار حيل متنوعة وطرق متباينة في ممارسة اعمال اللصوصية ، وقطع الطرق ، فقد جلأوا إلى اخذ العلمان والنساء علانية من الطرق « فيأتون الرجل فيأخذون ابنته فيذهبون به فلا يقدر ان يتمنع عليهم وكانوا يسألون الرجل ان يقرضهم او يصلهم فلا يقدر ان يتمنع عليهم وكانوا يحبون المارة في الطرق والسفن ويختفرون بالساتين ، فقد خرجن يوما إلى قطربيل فانتهبوها علانية وانحدروا المتاع والذهب والفضة والغنم والبقر وادخلوها ببغداد وجعلوا يبيعونها علانية^{١٥} .

١٠. الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن (٤ هـ) ، ص ٨٣ .

١١. القناع « نوع من القماش يوضع على الرأس » دوزي ، المعجم المفصل باسمه الملابس عند العرب

ص ٣٠٣ .

١٢. القلنسوة « طاقية توضع تحت العمامة » دوزي ، المعجم المفصل ص ٢٩٦ .

١٣. التوابون : هم شيخون للخصوص ومفردهم التائب الذين كبروا وتابوا فإذا جرت حادثة علموا من فعل ذلك فدلوا عليه وقد يعمد بعضهم إلى الاتفاق مع اللصوص سرا ويقاسمونهم مايسرقونه » المسعودي مروج الذهب ص ٢٤٨ ، ج ٤ .

١٤. المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٤٨ .

١٥. مسكنويه : شمارب الاسم ، ج ٦ ، ص ٤٣٣ .

ومن الشطار من يعمد الى التخفي والتظاهر بظهور الغنى ابعاداً للشهبات فقد ذكر ان اللصوص قد عملوا عملاً عظيمة زمن المكتفي ، فاجتمع التجار وتقلعوا الى الخليفة الذي امر صاحب الشرطة في البحث عنهم ، فقصد زقاقاً خالياً في بعض اطراف بغداد فرأى على بعض ابواب دور الرزق شوك سمكة كبيرة يقدر ثمنها بدينار مع ان احوال اهل الزقاق لا تتحمل شراء مثل هذه السمكة ، فشك في الامر واستدرج عجوزاً في الكلام طلب منها ماء فسألهما : من يسكن هذه الدار ؟ واما الى التي عليها عظام السمك ، فقالت والله ماندرى الا ان فيها خمسة شبان اعفار كأنهم تجارة ، وقد نزلوا منذ شهر لازرائهم يخرجون منها الا كل مدة طويلة ، وانا نرى الواحد منهم يخرج في الحاجة ويعود سريعاً ، وهم طول النهار يجتمعون فيأكلون ويشربون ويلعبون بالشطرنج والند ، وهم صبي يخدمهم واذا كان الليل انصرفوا الى دار لهم في الكرخ ويدعون الصبي في الدار يحفظها اذا كان سحر بليل جاءوا ونحن نائم لانعقل بهم وقت مجئهم ، فتأكد للواي ان هذه صفة اللصوص فكشف عنهم^(١) .

وهذه القصة التي اوردها ابن الجوزي ، مع طرائفها تكشف لنا عن جوانب اجتماعية واقتصادية ، فهي الى جانب كشفها ، عن ان فقراء بغداد كانوا يتجمعون في محال معينة ويسكنون دوراً بسيطة ولا يأكلون من الطعام الا ما كسد ورخص تكشف عن عادات واساليب اللصوص وطرق معيشتهم ، من ذلك انهم لا يسكنون داراً او بحلاة الامانة قصيرة وليس لهم علاقات اجتماعية مع الناس ، اذ قلماً يخرجون في وضح النهار الا في قضاء حاجة ، واد ابرحوا الدار عادوا اليها سريعاً ، ويقضون نهارهم في اللعب والشرب ، ولا يمارسون عملهم الا في الليل بعيداً عن محل سكناتهم ابعاداً للتسبيبة .

(١) ابن الجوزي الانذكياء ، ص ٤٢ .

ومن المتصوص كان يعمد الى السرقة نهارا جهارا ، فاذا فطن له ، وجاء صاحب الدار باغته : انه صديق زوجته وانه من بعض غلمان القواد ويقول له : استر علي وعلى نفسك . انكشف مرة احدهم عندما دخل دارا فيها عجوز لها اكثر من تسعين سنة فادعى تلك الدعوى فقال له صاحب الدار : ياكشحان ليس في الدار الا امي وها تسعون سنة^{١٠} ومنهم من يمحف في الدار حفرة عند دخوله الدار ويطرح فيها جوزات فاذا قبض عليه ادعى انه يقامره وانه ليس بليص^{١١} ، ومن الشطار من يعمد الى السرقة من مؤسسات الدولة ، كما حدث ذلك عام (٢٣١ هـ / ٨٤٥ م) « فقد نقب بيت المال الذي في دار العامة في جوف القصر وأخذوا اثنين واربعين الفا من الراهم »^{١٢} .

ومع ان اعمال الشطار تعتبر في نظر المجتمع خروجا على اعرافه وتقاليده ، وسلوكها اجراميا فقد نسبت لهم بعض المثل الاخلاقية ، قيل لهم تعرفوا عليها ، ذكر الملاحظ وصية عثمان الخياط للشطار والمتصوص^{١٣} : « اياكم اياكم وحب النساء وسماع ضرب العود وشرب الزبيب المطبوخ وعليكم بالمخاد الغلمان ، فانهم انفع لكم من اقاربكم وعليكم بنبيذ التمر » . ونسب الى ابن حدون قوله : « ان من فيه فتنة وظرف لا يفتح امراة ولا سلبها^{١٤} » . وقال قاضيهم ابو الفاتك : « الفتى لا يكون نشالا ولانشافا ولا مرسلا ولا لكتاما ولا مصماصا ولا دلاكا ولا مقررا ولا

^{١٠} التنوخي : نثار المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

^{١١} ابن الجوزي : اخبار الظراف والتماجنين ، ط ٢ ، من ٦٤ . / ايضا التنوخي : نثار المحاضرة ج ١ ، ص ٧٩ .

^{١٢} الطبری : ج ٩ ، ص ١٤١ .

^{١٣} الملاحظ : البخلاء ، ص ٢٤٨ .

^{١٤} التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ١١٩ .

مغربلاً ولا مخلقاً ولا مسوغًا ولا ملغى ولا محضرا^{١٠} . وهو يعني بذلك لا يكون الفتى نشالاً ولاكسولاً ولا مدللاً في حام ولا مراوغًا ولا بكاء ينقاد للعاطفة . . . الخ^{١١} ، ومن صفاتهم أيضاً الوفاء بالعهد ومساعدة الفقراء وأكرام الضيف والعنفة واحترام المرأة والانخلاص للصديق وكف الأذى والصبر والجلد والشهامة واغاثة المنكوب^{١٢} .

ج / المكدون :

الكدية في اللغة « حرفة السائل الملحق وشدة الدهر»^{١٣} . يقال اكدى اذا الح في المسألة وهو مكد اي سائل شحاذ وهم المكدون اي الشحاذون . وهم عند الجاحظ : طائفة متحدة في المتنزع والهوى مولعون بالرحلة والهجارة ، وبعد ذلك سموا بالساسانيين او بني ساسان ، ويصفهم بأنهم عرفوا «خدع الكاهن وتدعيس العراف ، والى ما يذهب الخطاط والعياف ، وما يقول أصحاب الاكتاف وعرفوا التنجيم والزجر والطرق والتفكير»^{١٤} ، وهذه الافكار والغيبيات نجدتها واضحة في العقلية الهندية مما يدل على ان اصلهم هندي^{١٥} .

والكدية لمعنى الاستجداء ، كما تفيد بمعناها اللغوي الساذج ، بل ان هذا الاستطلاع وخاصية في القرن الثالث وما بعده قد اخذت معنى اصطلاحياً معقداً متعدد الوجوه كثير الدلالة ، فاصبحت تتضمن معنى الاحتيال للمحصول على المال ! بمختلف الوسائل والاساليب غير المشروعة من استخدام القوة والاستلال بالعنف

١٠. الجاحظ : البخلاء ، ص ٦٧ .

١١. يمكن مراجعة البخلاء للجاحظ ، ص ٧٦ - ٧٨ ، للوقوف على فهم هذه التعبيرات جيداً .

١٢. ابن الجوزي : تلبيس ابييس ، ص ٣٧٨ .

١٣. الفيروز ابادي : القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٣٨٤ .

١٤. الجاحظ : البخلاء ، ص ٤٧ .

١٥. نفس المصدر ، ص ٤٣ .

والغلبة الى استغلال غفلة الجماهير وغرائز الرحمة والرقة .

ذات مرة تبرم احد الشباب من صنعة الكدية ، وشكراً ذلك الى شيخ مكド ، غضب الشيخ وقال : « للکدية رجال فعمالک ولها ، او ما علمت ان الکدية صناعة شريفة وهي محيبة لذرينة صاحبها في نعيم لا ينفذ فهو على الدنيا ومساحة الارض وخليفة ذو القرنين الذي بلغ المشرق والمغرب حيثما حل لا يخاف من البوس يسير حيث يشاء يأخذ اطاييف كل بلدة^(١) » .

ان شيوخ الکدية في مجتمع ما ، تدل على تردي الاحوال الاقتصادية يلتجأ اليها الفقراء والمحتججون للحصول على الطعام والمال ، وقد يتوارثها الابناء عن الآباء والاصدقاء عن الاقران . فقد اوصى مكد ابنه قائلًا : « واعلم ان الارتكاض بابها ، والنشاط جلبها والفطنة مصباها ، والقحة سلاحها ، فلنج كل لج وانتجع كل روض ، والق دلوك في كل حوض ولا تسام الطلب ولا تحمل الدأب ، فقد كان مكتوباً على عصا شيخنا ساسان : من طلب جلب ومن جال نبال^(٢) » والوصية طويلة حدد فيها قائلتها شروطاً واصولاً لابد من اتيانها لكل مكد ، وهي تدل على ماهذه الصنعة من رواج وانتشار في القرن الثالث الهجري .

لقد رافق انتشار الکدية ادب يعرف (بادب الکدية) عبر عن نفسه بالشعر الجيد والنشر البليغ على لسان بعض الادباء الذين زاولوا الکدية وعانوا مصاعبها وخبروا مداخلها واسرارها ، وهذا يفسر صدق وعدوية وجمال هذا التعبير .

ومن اشهر شعراء الکدية ، الاحنف الكعبري ، وابن الحجاج ، وابو دلف الخزرجي والاخير كان كثير الملح والظرف مشحوذ المدية في الکدية ، وله قصيدة رائية في مئة وتسعين بيتاً او تزيد سماها « مناكاة بني ساسان^(٣) » وللإحنف الكعبري شعر

(١) البيهقي : المحاسن والمساوئ ، ص ٥٨٠ .

(٢) مقامات الحريري : المقامات الساسانية ، ص ٥٧٤ - ٥٧٧ .

(٣) اختارت من هذه القصيدة الطويلة بعض الایات كما ذكرها الشعاليي : في بقية الدهر ، ج ٣ ، ص ٣٥٥ .

يصف الكدية واسرارها والمكدين واحوالهم^(١).
لقد شاعت الكدية في القرن الثالث الهجري شيئاً يُصبح معه المكدون طائفة
متخصصة عن بقية فئات العامة ، وسبب ذلك لشيوخ تردي الاحوال المعيشية وتفاقم
الازمات المالية وارتفاع الاسعار وقلة المشاغل واسقاط الارزاق عن كثير من كان
يستحقها .

ويستعمل المكدون اساليب مؤثرة وطرق شاذة ووسائل دعائية تجلب انتباه
الناس وتستدر عطفهم وشفقتهم ، حتى يتذلّوا ما تجود به ايديهم ، وهم في ذلك حيل
مختلفة ذكر شطراً منها الباحظ في البخلاء^(٢) ، والبيهقي في المحسن والمساوی^(٣) ،
والتنوخي في نشور المحاضرة^(٤) ، والحريري في مقاماته^(٥) ، والحمداني في مقاماته

تعربت كغصن الباقي بين السورق والخضر
وشاهدت اعاجيباً والواناً من الدهر
على اني من القوم الباقي ساليل بني السفر
بني سasan والخامسي الحمداني من سالف الدهر

(١) ومنها :

على اني بحمد الله في بيت من المجد
بإخوانيبني ساسان اهل الجد والجد

(٢) الباحظ : البخلاء ، ص ٥١ وما بعدها .

(٣) البيهقي : المحسن والمساوی ، ص ٥٨٣ - ٥٨٥ .

(٤) التنوخي : نشور المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٣٥٨ وموضع آخر .

(٥) مقامات الحريري : ص ٩٧ ، ٢٥٩ ، ٥٧٤ ، وغيرها .

(٦) مقامات الحمداني : ص ١٠ ، ٣٧ ، ٥٤ ، ٧٩ .

ايضاً) ، والتوحيد في بعض كتبه (٢) ، ولا مجال للذكر هذه الحيل والتسميات التي يمكن الرجوع إليها من مصادرها لمن أراد الاستزادة .
 لنحن الناس كل الناس في البر وفي البحر
 أخذنا الجزية المثلث من الصين إلى مصر
 لنا الدنيا بما فيها من الإسلام والكفر
 نصطاف على الشلح ونشتهر بلد الشمر
 وكما أولع المكدون بالسفر والانتقال من مكان إلى آخر طلباً للمال فقد أولعوا
 بزاولة الكدية في الأماكن التي يتجمع فيها الرأي العام ، تجدهم يتسلكون في
 الطرقات والشوارع قائمين نائمين متکيفين لمقتضى الحال وما يشير عطف
 الناس ، وتجدهم يبحلقون في عيون الناس بالأسواق يمحضون الشارى والبائع ويسلّل
 لعابهم لهذه المادة الغذائية أو تلك ، ومنهم من يلتتصق ببابوا الحمامات يسألون
 داخليها وخارجها .

ويحرص المكدون على اظهار حيلهم في المناسبات الدينية والدينوية المفرحة
 والمحزنة على حد سواء ولعل أكبر تجمع لهم يكون في مواسم الحج ، يندسون بين
 الحجاج ، يتعلّقون بأثياب هذا ، ويستجدون ذلك ووسائلهم في ذلك توزيع التواب
 والدعاء على الناس بلا حساب . روى الأصممي انه شاهد سائلاً متعلقاً في استار
 الكعبة وهو ينشد : (٣)

لهم ارض خراسان فقاشان الى الهند
 الى الروم الى الزنج الى البلغار والسندي
 (الشعالي : بيتمية الذهب ، ج ٤ ، ص ١١٧ .

(٧) التوحيدى : الامتناع والمؤانسة ، ج ٣ ، ص ١٠٠ .
 .. البيهقي ، المحسن والمساوى ، ص ٥٨٥ .

يارب اي سائل كما ترى مشتمل شمالي كما ترى
وشيختي جالسة فيما ترى والبطن مني جائع كما ترى

فما ترى ياربنا فيما ترى

والى جانب الكدية لها بعض العاطلين من الناس الى وسيلة التطفيل وهي تعني
لغويا «دخول الولائم من غير دعوى» ، والعرب تسمى الطفيلي : الراش
والوراش^{١٠} . وينسبها الفيروز ابادي الى ابن زلال الكوفي الذي يدعى طفيلي
الاعراس او العرائس وكان يأتي الولائم بلا دعوة^{١١} .

والطفيل كالكدية يعني طلبا وسؤالا ، ولكن بصيغة اكثر قبولا واقل شيوعا وانتشارا .
المكدي كثيرا ما يستعمل الحيلة المخزنة ويظهر فاقته وتردي حاله بأدب وشعر او بطرق
اخري ، في حين ان المتطفل يستعمل طرقا ساخرة ومضحكة للحصول على الطعام
والمال بصورة غير مباشرة .

وفي القرن الثالث الذي نحن بصدده ، زاد انتشار التطفيل ، واصبح
المتطفلون فئة تميز عن اقرانهم العاطلين من الناس . او صى طفيلي العرائس ابنه عبد
الحميد قائلا :^{١٢} .

لتجزعن من الغريب ولا من الرجل البعيد
وادخلْ كأنك طابخ بيديك مفرفة الحديد

١٠. ابن منظور : لسان العرب ، ج ١١ ، ص ٤٤٠ . وفي مختار الصحاح للرازي : ص ٣٩٤ الوراش
نقط .

١١. الفيروز ابادي : القاموس المحجط : ج ٤ ، ص ٧ .

« وطفيل العرائس رجل من اهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يأتي الولائم دون ان يدعى
لما » - ابن منظور : لسان العرب ، ج ١١ ، ص ٤٤٠ .
١٢. ابن الجوزي : الاذكياء ، ١٣٤٣ .

متديلاً فوق الطعام تدلي الباز المصيود
لتلف مافوق الطعام كلها لف الفهدود
واطروح حيائاك انا وجه الطفيلي من الحديد
والقصيدة طويلة تدور حول الطعام ووصف انواعه وما الى ذلك مما عرف به
الطفيليون .

٤ - الخدم والرقيق :

ويحصل على ذكورهم واناثهم ، اسودهم وابيضهم ، عن طريق البيع والشراء
والاسر في الحروب ، او ضمن واردات الدولة وهدايا الخلفاء والاثرياء^(١) ، ففي سنة
(٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) وردت الى المعتمض بالله هدية بمئة خادم وخمسين جارية^(٢) .
واهدى صاحب المغرب الى المكتفي سنة (٢٩١ / ٩٠٣) هدايا لها قدر جليل فيها
مئة خادم ومئة جارية^(٣) ، وضم بلاط المكتفي بالله عشرة الاف خادم ، وببلغ عددهم
زمن المقتدر احد عشر الف خادم^(٤) .

ومن الرقيق من يأتي الى مركز الخلافة العباسية ضمن واردات الدولة ، كالذى
حدث سنة (٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) ، عندما امتنع اهل الصعيد بمصر من دفع ما كان
مفروضاً عليهم وهو في كل سنة خسمائة نفر من العبيد والخواري^(٥) ، ولعل طرق
الاسر في الحروب والشراء والبيع من اكثر الطرق شيوعاً وجلباً للرقيق ، ففي وقعة

(١) بدري محمد نهد : العامة ، ص ١٨ ، ٢٧ .

(٢) ابن الاتير : الذخائر والتحف ، ص ٤٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٧ .

(٤) الصابي : رسوم دار الخلافة ، ص ٨ . الفخرى في الأداب السلطانية ص ٢٠٩ .

(٥) ابوالمحاسن : التجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .

عمورية سنة (٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م) « كان ينادي على الرقيق خمسة عشرة عشرة ، والمتاع الكثير جملة واحدة » ، وهذا فقد عجبت بهم قصور الخلفاء والأمراء والآثرياء . وامتلأت بهم قطائع وأماكن بغداد حتى نسبت بعضها إلى الرقيق كدار الرقيق من جهة باب الشام^١ ، وباب النخاسين في بداية شارع الكرخ الذي يتجمع فيه باعة الرقيق .

وكان من نتائج ازدهار تجارة الرقيق المربيحة ، انتشار الأسواق لبيعهم في بغداد والبصرة ونواح آخرى ، وقد عرفت مثل هذه الأسواق بـ « أسواق النخاسين » .

ومع سوء الاحوال الاجتماعية والاقتصادية التي كان عليها الرقيق عموماً ، فان بعضها منهم قد لقي حظوة عند الخلفاء العباسيين مما أغضب الناس ، نظر ابو عيسى الوراق^٢ ، الى خادم خرج من دار الخليفة بنجاشي تقاد بين يديه بجماعة تركض حواليه ، فرفع رأسه الى السماء وقال : « اوحدك بلغات والسنة وادعوك بحجج وادلة وانصر دينك بكل شاهد وبينة ثم امشي هكذا عاريا جائعا ومثل هذا الاسود يتقلب في الحز والوشي والخدم والخشم والخاشية والغاشية »^٣ . ومن الرقيق من أصبحن امهات اولاد عند الخلفاء العباسيين ، ومنهن من تدخلن في السياسة كمراجل ام المأمون وهي امة فارسية ، وماردة ام المعتصم وهي امة تركية ، وقراطيس ام الواثق ، وشجاع ام المتوكل^٤ ، وقبحة زوجة المتوكل

١. الطبرى : ح ٦٩ ص ٦٩ .

٢. اليعقوبى : البلدان ، ص ١٦ .

٣. اليعقوبى : البلدان ، ص ١٣ .

٤. هو ابو عيسى محمد بن هارون الوراق البغدادي من رؤساء المتكلمين الذين يظهرون الاسلام ويبطئون الزندقة^٥ . ابن النديم : الفهرست ص ٤٧٣ . وقد توفي بالرملية سنة ٢٤٧ . المسعودي : مروج الذهب ،

ج ٤ ، ص ٥٥ .

٥. التوحيدى : الموائل والشوائل ، ص ٢١٣ .

٦. النهي : دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٣٦ .

والسيدة ام المقتدر ”.

وتصرف بعض الخدم تصرفات لا تخلو من الغرور والعجزة ، اساعات الى سمعة اسيادهم وملاكيهم ، فقد ذكر التنونخي^{٢٠} : ان احد خدم الموقق خر وترنج من شدة السكر ، فصادفة احد القضاة ، فاعتدى عليه واهانه اقبح اهانة ، فشاع خبره بين الناس وطالبو الموقق وضع الخد على غلامه هذا .

ويبلغ من شدة تذمر الرأي العام البغدادي من هؤلاء في اواخر القرن الثالث الهجري : « ان العامة اغريت بالصياح بن رأوا من الخدم السود : ياعقيق صب ماء واطرح دقيق ، ياعاق ياطويل الساق ” » ، فكانوا يغضبون من ذلك ، « فوجه المعتصد خادما اسود عشيقة الجمعة من سنة (٢٨٤ هـ / ١٨٩٧ م) برقعة الى ابن حدون النديم ، فلما بلغ الخادم رأس الجسر من الجانب الشرقي صاح به صائح العامة : ياعقيق ا فشتم الخادم الصائح ، فاجتمعت جماعة من العامة على الخادم فنكسموه وضربوه وضباعت الرقعة التي كانت معه ” » .

وتجذر بالذكر ان هذه النقمـة لاتنطبق على كل الرقيق والخدم ، وذلك ان كثيرا منهم ظلوا يعيشون في ذل وفاقة ، يباعون بأبخس الائمان في اسواق النخاسين ، حتى بلغ ثمن الغلام منهم ثلاثين دينارا ” ” ، مما جلب لهم عطف الرأي العام الاسلامي ، فقد ذكر عن المأمون ، قوله وهو يوصي احد اقاربه : « ارفق بهم فانهم بشر مثلك ” ” .

٢٠. رحة الله : الحالة الاجتماعية في العراق ، ص ٢٥ - ٢٦ .

” ” . التنونخي : نشوار المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

” ” . المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٦٠ .

” ” . الطبرى : ج ١٠ ، ص ٥٣ .

” ” . ابن الجوزي : المتنظم ، ج ٥ ، ص ١٥٩ .

” ” . ابن طيفور : بغداد ، ص ٥٢ .

ومن طريف الاخبار ما رواه البيهقي^(١) : من ان احد الخدم قد تعرض للضرب من قبل سيده بسبب ضياع دجاجة ، فانتصف له احد الجيران وكان يتعاطى الشعر ، فكتب ابياتا في رقعة وشدتها في رجل دجاجة والقى بها على جاره وفيها :

يَا ذَيْ مِنْ أَجْلِ دَجَاجَةِ اَظْهَرَ لِعَالَمِ اَخْلَاقَةَ
الَّتِي عَلَى الْغُلْمَانِ مِنْ اَجْلِهَا بِالْضَّرْبِ وَالتَّعْذِيبِ اَرْوَاقَهُ
رَفَقاً قَلِيلًا بِعُقُوبَاهُمْ فَانْهُمْ لَمْ يَعْقِرُوا النَّاقَةَ^(٢)
وَهَكُذا ظَلَ الرَّقِيقُ مُسْلُوِيًّا لِحُرْيَةِ الشَّخْصِيَّةِ ، وَظَلَّتْ مُشَكْلَتُهُمْ وَاحِدَةً مِنَ
الْمُشَاكِلِ الْمُهَمَّةِ الَّتِي عَانَ مِنْهَا الْمُجَتَمِعُ اِسْلَامِيًّا عَامَّةً ، وَمُجَتَمِعُ الْقَرْنِ الْثَالِث
الْمُهْجَرِيِّ خَاصَّةً مَعَ اَنَّ اِسْلَامَ حَضَّ عَلَى فَكِ رَقَابِهِمْ^(٣) :

(١) البيهقي : *المحاسن والمساوي* ، ص ٥٧٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٧٤ .

(٣) يقوله تعالى « اما الصدقات للقراء وفي الرقاب »
سورة التوبة الآية ٦٠ .

الفصل الثالث

عوامل تدهُّم الرأي العام في القرن الثالث

الهجري

- اولاً - العوامل الاقتصادية:
- ١ - الغلاء، وارتفاع الأسعار.
 - ٢ - الفاقلة وندرة الأقوات.
 - ٣ - تأثر الارزاق وشغب الجند.

- ثانياً - العوامل السياسية والاجتماعية والفكريّة،
- ا - التدهُّم من النفوذ الأجنبي.
 - ٢ - انحلال النظام الإداري.
 - ٣ - طرق التوليفة والعزل.
- ب - اساليب جبالية الخراب.
- ٤ - الفتن والازمات:
- ا - المركبات السياسية والاجتماعية.
 - ب - المنازعات الفكرية والدينية.

اولاً : العوامل الاقتصادية :

١ - الغلاء وارتفاع الاسعار :

يواجه الباحث في احوال المجتمع العباسي الاقتصادية في القرن الثالث المجري صعوبة في الحصول على مادة كافية ، ونصول وافية يعتمد عليها ، وحق في حالة توفرها فأنها تكون متباينة في بطون مصادر التاريخ الاسلامي ، مع ان المشاكل الاقتصادية كانت شغل الاكثيرية من الناس الشاغل ، في حين ان هذه المصادر قد اسهبت في ذكر ترف الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة والخاشية .

الملحوظ ان المصادر الاسلامية تجمع على ان المجتمع العباسي شهد في الازمات والفتنة غلاءً فاحشاً وبخاصة في المواد الغذائية . فالاسعار بصورة عامة لم تكن ثابتة بل كانت تتأثر بالاوضاع السياسية ، كحدوث الفتنة والمنازعات الدينية والعنصرية والاطماع الشخصية التي شهد القرن الثالث المجري منها العديد حتى اصبحت سمة واضحة له . كما تأثرت هذه الاسعار ، بوفرة الانتاج ونظام الري ومقدار الخراج وبالآفات الزراعية التي تحل بالبلاد والفيضانات والأوبئة والكوارث الطبيعية الأخرى ، واحتكارات التجار لبعض المواد الغذائية التي كثيرة ما كانت تؤدي الى ارتفاع الاسعار بصورة مباشرة . ويرافق ظاهرة الغلاء وارتفاع اسعار المواد وال حاجات عادة سخط وشكوى تعبّر عنها الطبقات المسحورة واصحاح الدخل المحدود بطرق واساليب مختلفة تُظهر المعارضة كالشعب والتذمر ، وقد تلجأ الى الثورة التي تمثل ذروة السخط والنقمـة التي ينطوي عليها الرأي العام .

سأقصر بحثي هذا على ذكر اسعار المواد الغذائية وال حاجات الضرورية الأخرى ، لما لها من اهمية باعتبارها القوت الرئيس للناس كافة ففي سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٢م) « غلا السعر بيـغداد والبصرة والكونـة حتى بلغ سعر القفـيز من

الخطة اربعين درهما الى الخمسين بالقفيز الملجم^(١) » ، اي حوالي دينارين للقفيز الواحد من الخطة^(٢) الا ان هذا السعر كثيرا ما كان عرضة للتغير بسباب الظروف البيئية والاحوال السياسية ، فقد « انقطعت الميرة وقلت الاموال وغلت الاسعار ببغداد وسر من رأى ، حتى كان القفيز بمائة درهم^(٣) » اي ان القفيز الواحد من الخطة بيع بـ (٤ - ٥) دنانير ، وكان ذلك في سنة (٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م) ابان الفتنة بين المستعين والمعتز ، فشكى الناس هذا الغلام الفاحش ، وطالب الرأي العام بانهاء هذه الوضاع الشاذة مما كان له اثر كبير في قبول المستعين الصلح مع أخيه المعتز . وفي سنة (٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م) « اشتتد الغلاء في عامه بلاد الاسلام ، فانجل من اهل مكة كثيرا ورحل عنها عاملها الذي كان بها ، وبلغ كر^(٤) الخطة ببغداد عشرين ومائة دينار ودام ذلك شهورا^(٥) » وفي المتظم^(٦) : « بلغ كر الخطة ببغداد خمسين ومائة دينار » و

(١) الطبرى : ح ٢ ، ص ٥٩٦ .

ابن طيفور : بغداد ، ص ٧٣ .

« القفيز الملجم يساوي عشرة مكاكيك » - الطبرى ، ح ٨ ، ص ٢٠٤ .

« المكوك يساوي ثلاثة كيالج والكيلجة وزن ستمائة درهم » - الحوارزمي :

مفاتيح العلوم ، ص ١٢ . وعليه وبحساب بسيط فإن المكوك = ١٨٠٠ درهم ، والقفيز = ١٨٠٠٠

درهم . ويساوي المكوك في واسط والبصرة (٢٤٠٠) درهم ، والقفيز = ٢٤٠٠٠ درهم .

(٢) الدينار يساوي من ٢٠ - ٢٥ درهما ، خلال القرن الثالث المجري .

(٣) الباقوري : تاريخ الباقوري : ج ٢ ، ٤٩٩ .

(٤) الكر العراقي في بغداد والكرفة يساوي ستين قفيزا .

- مفاتيح العلوم للحوارزمي ص ١٢ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٧٢ . في الطبرى ج ٩ ، ص ٣٤٦ . وفي البداية والنهاية : ج ١١ ،

ص ٩ .

(٦) ابن الجوزي : المتظم ، ج ٥ ، ص ٢١ . السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٦٤ .

« كُر الشعير عشرين ومائة دينار ^(١) » حتى ان الناس من الفقراء والمعدمين « اكلوا الخزنوب من شدة الجوع ^(٢) » .

ولما حاصر اسماعيل بن يوسف الذي يدعى النسب الى الامام علي (رض) مكة سنة (٢٥١هـ / ٨٦٥م) « هلك اهلها جوعا وعطشا ، فيبيع الخبز ثلاث او اق ^(٣) بدرهم ، واللحم الرطسل باربعة وشربة الماء بثلاثة دراهم ^(٤) ». ولو قيس ذلك بفترة اخرى من بها المجتمع العباسي زمن المتوكل على الله (٢٣٢ / ٨٤٦ - ٢٤٧ / ٨٦١) لظهور مدى الغلاء الفاحش الذي شهدته مجتمع المدينة في ازمة الحصار ، فقد روى التنوخي ^(٥) : انه لما تقلد ابر جعفر محمد بن منصور القاضي كور الاخواز من قبل المتوكل اول دفعه ووردها . احب ان يطوف عمله فقدم ايذج وهي بلدة من كور الاخواز ، ونزل عند رئيس البلد فيها ، فانخلع له داراً في دوره فلما كان بعد اسبوع استدعاني فقال لي : كيف سعر الخبز عندكم ، فقلت : محسنون رطلا بدرهم .

يتضمن من ذلك ان (٦٠٠) اوقية من الخبز بيعت بدرهم ، في حين ان ثلاثة او اق من الخبز بيعت بدرهم واحد بمكة زمن الفتنة والغلاء الفاحش الذي ارتفعت فيه الاسعار مثي مرّة عما هو في اماكن اخرى وفي ظروف

(١) الطبرى : ج ٩ ، ص ٥١٠ .

(٢) ابن الجوزي : المنظم ، ج ٥ ، ص ٢٦ .

(٣) « الرطل يساوي ١٢ اوقية ، والارقية تساوي ١٢ درهما » . ابن الاخوه

القرشي : معالم القرية في احكام الحسبة ، ص ٨٠ ، ولما كان الرطل البغدادي = ١٣٠ درهما ، فالارقية = ١١ درهما .

(٤) ابن الجوزي : المنظم ، ج ٥ ، ص ٢٦ .

(٥) التنوخي : نثار المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٩ .

اعتيادية . وهذا يؤكد على ان اسعار المواد الغذائية لم تكن ثابتة بل تتباين من مكان ويحسب الظروف السياسية والاحوال الاقتصادية والطبيعية ، فقد تبرم العامة مرة وصاحوا وضجوا لغلاء القوت وعوز الطعام حتى لما بعضهم الى أكل النخالة فمناهم احد الوزراء قائلا : « والله لانظرن للعامة وللفقراء بمال اطلقه من الخزانة وارسم ببيع الخبز ثمانية بدرهم ويصل ذلك الى الفقراء في كل محلة^(١) » . وقيل لمديني : « كيف رأيت البصرة ؟ قال : خير بلا و الله ، للجائع والمفلس والعزب ، اما الجائع فيأكل من خبز الارز والصحناء^(٢) . حتى يشبع بفلس . واما العزب فيتزوج من شاء بدانقين^(٣) » . « وبيع فيها طبق رطب بدانقين^(٤) » . في حين ان ما يسد شهية رجل من الرطب في الكوفة بلغ ثمنه درهما^(٥) .

اما اللحوم فشأنها شأن غيرها من المواد الغذائية الاخرى تتأثر بالاحوال العامة ، فقد بيع رطل اللحم باربعة دراهم في الغلاء بمكة^(٦) ، في حين بيع الجدى الجيد بدرهرين في الظروف الاعتيادية^(٧) . وذكر ابن الجوزي^(٨) : انه قد بيع في البصرة كبش بخمسة عشر درهما وهو يساوي ثلاثة درهما ، جاء ذلك

(١) التوحيدى : الامتناع والمؤانسة ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

(٢) الصحناء : ادام يتحلى من السمك الصغار » . التوحيدى : الذخائر والبصائر ، ج ٤ ، ص ٩٣ .

(٣) التوحيدى : الذخائر والبصائر ، ج ٤ ، ص ٩٣ .

(٤) الجاحظ : البيخلاء ص ١٣٣ .

(٥) شهاب الدين الحفاجي : شفاء الغليل فيها في كلام العرب من الدخيل ، ص ١١٨ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٠ .

(٧) الشوكبي : نثار المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٩ .

(٨) ابن الجوزي : اخبار الظراف والتماجن ، ص ٩٥ .

خلال محاورة شعرية بين ابي نواس واحد الاعراب^(١) . وروى التنوخي^(٢) : ان ثمن مقدار من اللحم يكفي رجلين جائعين في سر من رأى يساوي درهما . ويبيت في جند يسابور عشر افراخ بدرهم^(٣) . وفي بعض كور الاحوال « ثلاثة دجاجات بدرهم^(٤) » . وبيع البازنجان ببغداد وغيرها من المدن (٦٠) واحدة بقيراط^(٥) . وذكر : ان سرى السقطي - احد كبار مشايخ الصوفية ، وكانت له دكان يتجر فيها - باع كرا من اللوز بتسعين دينار^(٦) . في حين ان الكمر من الخنطة بيع بحوالي مئة دينار^(٧) .

(١) ونص المحاورة كما اوردها ، ابن الجوزي : اخبار الظراف والمتماجنين ، ص ٩٤ ، « ذات يوم في ايام العشرين خرج ابو نواس يريد شراء اضاحية فلما صار الى المربي اذا هو بأعرابي قد دخل شاة له يقدمها كبش ،

فقال ابو نواس :

ایا صاحب الشاة التي قد يسوقها
بكم ذاكم الكيش الذي قد تقدم؟

فقال الاعرابي :

أبيعك ان كنت من يريده
ولم تلك مزاها بعشرين درهما

فقال ابو نواس :

اجدلت رعاك الله رد جوابنا
لماحسن اليانا ان اردت التكرما

فقال الاعرابي :

احط من العشرين خمسا فائني
اراك ظريفا فأليضه مسلما

(٢) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ٥٥ .

(٣) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠ .

(٥) ابن الجوزي : اخبار الحمقى والمغفلين ، ص ١٥٥ .

« القيراط يساوي نصف دائق » . الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص ١٧ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٣ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٧٢ .

فإذا انتقلنا من اسعار المواد الغذائية الى الاسعار الاجنبية وجدنا ان هذه الاسعار كسابقتها تأثرت بالاوضاع العامة للمجتمع ، ومن ذلك الملابس التي تباینت اسعارها تبعاً لنوعيتها وجودتها ، فالملابس الاعتيادية ، كانت اسعارها رخيصة كالثياب القطنية ، فقد «مات لابن مقرن غلام ، فحضر لهم اعرابي قبراً بدرهمين ، فلما اعطوه الدرهمين ، قال : دعوهما حتى يجتمع لي عندكم ثمن ثوب^(١)» وذلك لأن المتعارف عليه في ثمن حفر القبور « هو ثلاثة دراهم وعند الحاجة بدرهم واحد^(٢)». في حين ان احد الغلمان قد اشتري ثوباً بعشرة دنانير . فقد روى ابن الجوزي^(٣) : « ان ابا العيناء^(٤) . دفع لغلام له عشرين ديناراً ، على ان ينفقها على صناع يبنون له داراً وبعد مدة رفع الغلام حساباً بعشرة دنانير وزعها على البناء ، اما الباقى فقد اشتري به ثوباً ». والذي يمكن استنتاجه من هاتين الروايتين اللتين ذكرهما الجاحظ وابن الجوزي ، ان هناك نوعين من الثياب ، منها ما تكون مصنوعة من مواد غالبة ونادر كالحرير والخز ، بلغ ثمن الواحد منها عشرة دنانير او زيد ومنها ما تكون عاديّة قطنية او صوفية اشتري الواحد منها بنصف دينار او زيد قليلاً . وبائع احد رجال الفضل بن سهل عمامة له «بثمانية عشر درهماً ، اشتري بها طعاماً له وعلفها لدوابه^(٥)» .

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٥٦ .

(٢) الاصفهاني : الاغاني ، ج ٣ ، ص ١٣٤ .

(٣) ابن الجوزي : اخبار الظراف والمتماجبين ، ص ٧٠ .

(٤) هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الماشي الملقب بابي العيناء ، اديب فصيح من الظرفاء اشتهر بنوادره وادبه ، ولد بالاهواز عام ١٩١ هـ وتوفي بالبصرة عام ٢٨٣ واصله من اليمامة ، ابن خلكان :

وفيات الاعيان ج ١ ، ٥٠٤ .

(٥) الجهشياري : نصوص ضائعة من الوزراء ، ص ٣١ . التبواني : الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ٦ .

اما بالنسبة للمواد الالخرى فان اسعارها قد تبأينت من مكان لآخر ،
قدم بغدادي البصرة يطلب معاشا قال : « وجئت الى بقال هناك على باب الخان
الذى نزلته فأعطيته دانقا واخذت منه ورقة ودواة ، وجلست اكتب رقعة الى
رجل بغدادي اعرفه يسكن البصرة ، فاستحسن البقال خطى ورأى رثائة ذلي ،
فسغلني عنده على نصف درهم في كل يوم مع طعامي وكسوتي ، مقابل ضبط
حسابه ، فلما كان بعد شهر جعل رزقي في كل يوم درهما لما ظهر له امانى
وحرصي ^(١) » .

ودفع لبناء بنى حائطا استغرق بناؤه نصف نهار عشرين درهما ^(٢) . مما يدل
على ان اجرة بناء ملدة يوم واحد في الاحوال الاعتيادية لا تقل عن عشرين
درهما ، اما اجرة عمال البناء الآخرين فيختلف حسب مهاراتهم وتسلسلهم في
سلم العمل .

ذات مرة دفع لحمال غلام ، درهرين اجرة حمولة نقلها الى منازل قوم ^(٣) .
وشكا حال حالي الى المأمون قائلا : « ان لي حمارا اكتسب عليه كل يوم اربعة
دراهم ، انفق على الحمار درهما وعلى درهما وادفع الباقى لشريك لي ^(٤) » .
انتشر بيع الغلمان والجواري في اسوق النخاسين التي راجت في المدن
الاسلامية الكبيرة ، كما تباع السلع ، ففي البصرة التي عرفت باسواقها
الرخيصة الاسعار ^(٥) ، « بيع غلام يساوى ثلاثة دينار بثلاثين دينارا ^(٦) » . في

(١) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ١٧١ .

(٢) التوحيدى : الامتناع والمؤانسة ، ج ١ ، ص ٢٨ .

(٣) المعنداى : المقامات ، المقامات الصيميرية ، ص ٢١٣ .

(٤) ابن الجوزى : اخبار الحمقى والمنغولين ، ص ١٣٨ .

(٥) التوحيدى : الذخائر والبصائر ، ج ٤ ، ص ٩٣ .

(٦) ابن الجوزى : اخبار الظراف والمتماجنين ، ص ٧٠ .

حين بيع غلام اخر في بغداد بمئة دينار^(١) . واستأجر صناعي يعمل الكيزان في البصرة دارا بخمسة دراهم في الشهر وهي تساوي خسمائة درهم^(٢) .

٢ - الفاقة وندرة الاقوام :

يلاحظ الباحث في القرن الثالث المجري بوضوح ظاهرة تردي الوضائع الاقتصادية ، خلال فترات قصيرة ابرزها فترة العشر سنوات (٢٧٩ - ٨٩٢ / ٢٨٩ - ٩٠٢) وهي خلافة المعتصم بالله ، التي وصفت بالرخاء والاستقرار السياسي فقد « سكنت الفتنة وصلحت البلدان وارتقت بالحروب وهذا المرج وسالمه كل مخالف^(٣) » ، ورخصت الاسعار حتى كان يكفي عيشة عائلة عشرة دنانير في الشهر الواحد^(٤) . وما عدا هذه الفترات القصيرة ، فقد تميز القرن الثالث المجري بالفاقة والعزوز ، وتذمر الرأي العام الذي اظهر السخط والشغب وصف احدهم نفسه قائلا : « فقير كده الجوع وغريب لا يمكنه الرجوع والجوع قد بلغ معي مبلغا واتمنى رغيفا على خوان^(٥) ». وشكراً لـ ابي المؤمن حاله قائلا : « ان مصابب الدهر واعاجيب الايام ومحن الزمان قد صدّتني فانخدت مني ما كانت الدنيا اعطتني فلم يسبق لي ضياعة الا خربت ولا نهر الا اندثر ولا منزل الا تهدم ولا مال الا ذهب وقد أصبحت لا املك سبدا ولا لبدا وعلي دين كثير ولـ عيال وأطفال وصبية صغار وانا شيخ

(١) الجهشاري : نصوص ضائعة من الوزراء ، ص ٤٦ .

(٢) الترمي : نثار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٦٨ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٣٢ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٥٠ .

(٥) مقامات المدائني - المقامات المجاعية - ص ١٢٧ .

كبير قد قعدت بي المطالب وكبرت عنى المكاسب وبي حاجة الى نظر امير المؤمنين
وعطفه^(١) .

ويبلغ الفقر ذروته والقحط مداء ايسام الفتنة ، ففي عام
(١٩٧ هـ / ٨١٢ م) ، لما حاصر طاهر بن الحسين بغداد وضع التجار عنهم
ومنع من حمل الاوقات وغلت الاسعار ، حتى اضطر الامين الى بيع الاموال
سدأ للرمق^(٢) برفاق خروج بابك الخرمي سنة (٢٠٤ هـ / ٨١٩ م) « قحط
عظيم وبلاء شديد ببلاد الشرق عامة وخراسان خاصة^(٣) » . وفي سنة
(٢٥١ / ٨٦٥) « تماوت اهل مكة جوعاً وعطشاً ، وغلت اسعار المواد
الغذائية حتى مات بعضهم من شدة ما ألم بهم^(٤) » . ولما ضعف امر صاحب
الزنج « انقطعت عنه الميرة فبلغ الرطل من خبز البر عشرة دراهم فأكلوا الشعير
واصناف الحبوب حتى بلغ ان احدهم يأكل صاحبه اذا انفرد به والقوى يأكل
الضعيف ثم اكلوا لحوم اولادهم ونبشوا المقابر^(٥) » والرواية لا تخلو من المبالغة
والتهويل مما يجعلها روايات مشكوكاً فيها .

ازاء هذا الوضع المعاشى السيء ضجج الناس بالشكوى وبالغوا في
وصف حالم وحاكم الشعراء ذلك بشعر يعبر عن تلك الاحوال ، فقد قال
احدهم وهو يصف فقره^(٦) :

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٦ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٧٦ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٣١ .

(٤) الطبرى : ج ٩ ، ص ٣٤٧ . الكامل : ج ٧ ، ص ١٦٦ . البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٠ .

(٥) الطبرى : ج ٩ ، ص ٦٣١ . الكامل : ج ٧ ، ص ٣٨٣ .

(٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٣٦ .

فَلَقْدَ أَهْزَلْتُ حَتَّى مَحْتَ الشَّمْسُ خِيَالِي
مِنْ رَأْيِ شَيْئاً مَحَالاً فَإِنَّ عَيْنَ الْمَحَالِ
وَلَقْدَ افْلَسْتُ حَتَّى حَلَّ أَكْلِي لِعِيَالِي

وَوَصَفَ آخَرَ عِيَالَهُ قَائِلاً^(١) :

لَيْسُوا بِذِي تَمِيرٍ وَلَا ارْزٌ
عَدَاوَةُ الشَّاهِمِينِ لِلْلَّوْزِ
وَاجْدِبُوا مِنْ لَبِنِ الْعَنْزِ
فَلَوْ رَأَوْا خَبِيزًا عَلَى شَاهِقٍ لَأَسْرَعُوا لِلْخَبِيزِ بِالْجَمْزِ
وَمِنَ النَّاسِ مِنْ عَمْدِ الْقِرَاءَةِ عَلَى الْقَبُورِ يَوْمًا لِيَحْصِلَ عَلَى رَغِيفِ
خَبِيزٍ^(٢) وَمِنْ طَرِيفِ الْقَوْلِ مَا قَيْلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَعْقُوبَ ، « مَا شَتَهَيَ إِنْ تَكُونُ ؟
قَالَ : اشْتَهَيَ إِنْ أَكُونَ دَابَةً تَأْكِلُ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ^(٣) » . وَقَيْلَ لِاعْرَابِي « لَوْ كُنْتَ
خَلِيفَةً كَيْفَ كُنْتَ تَصْنَعُ ؟ قَالَ : كُنْتَ اسْتَكْفِي بِشَرِيفِ كُلِّ قَوْمٍ نَاحِيَتِهِ ، ثُمَّ
اَخْلَوْ بِالْمَطْبِخِ فَأَمَرَ الطَّهَاءَ فَيَطْعَمُونَ التَّرِيدَةَ وَيَكْثُرُونَ الْعَرَاقَ فَابْدَأْ فَأَكْلَ لِقَاهَامَ
إِذْنَ لِلنَّاسِ فَإِيْ ضَيْعَ يَكُونُ بَعْدَ هَذَا^(٤) » ، وَقَيْلَ لِاعْرَابِي : « مَا اسْمُ الْمَرْقِ
الَّذِي عَنْدَكُمْ ؟ قَالَ : السَّخِينُ ، قَالَ : فَإِذَا بَرْدٌ ؟ قَالَ : لَانْدَعِهِ بِيَرْدٍ^(٥) ».
وَقَالَ آخَرُ : « شَيْئَانَ لَا يَشْبَعُ مِنْهَا بِبَغْدَادِ : السَّمْكُ وَالرَّطْبُ^(٦) » .

(١) جِرْوِينَامُ : شِعَارَاءُ عَبَاسِيُونَ ، ص ١٤٦ .

(٢) ابْنُ الجُوزِيِّ : اخْبَارُ الظَّرَافِ وَالْمَتَمَاجِنِينَ ، ص ١٣١ .

(٣) التَّوْحِيدِيُّ : الْبَصَائرُ وَالذَّخَائِرُ ، ج ٣ ، ص ٥٥٦ .

(٤) التَّوْحِيدِيُّ : الْأَمْتَاعُ وَالْمَؤَانِسَةُ ، ج ٣ ، ص ٣٥ .

(٥) الْجَاحِظُ : الْبَيَانُ وَالتَّبَيَّنُ ، ج ٣ ، ص ٥٦٢ .

(٦) التَّوْحِيدِيُّ : الْأَمْتَاعُ وَالْمَؤَانِسَةُ ، ج ٣ ، ص ٨٤ .

اقتصر طعام الفقراء على ما هو بسيط ورخيص ويأتي في مقدمتها الخبز حتى قيل فيه : « انه قوام اهل الارض واصل الاقوات وامير الاغذية^(١) » ، امثلة العامة : « كسيرة خبز بملح الى ان يدرك الشواء ، وفي ذلك قال ابو نواس^(٢) .

فكان خبزاً بملح قبل الطعام أكلنا
وذكر الجاحظ^(٣) : ان عشاء الاكراة لا يتعدى ارزًا اسود غير منخول بالشلابي ومن شدة الفاقة وندرة الخبز ، ان خادمًا اسود اشتغل عند ابي العتاهية مقابل رغيفين من الخبز كل يوم ، فلما شكا الخادم زاده ابو العتاهية آخر^(٤) .
ويعتبر الدقيق والسوق والتمر من ارخص انواع الطعام واشدتها املاء للمعدة في وقت معا ، ولذلك اولع بها العوام والفقراء وخاصة في منطقة البصرة حيث يعتبر التمر انتاجا محليا زائدا عن حاجة الاستهلاك الداخلي والخارجي ، وقد كان طعاما رئيسا يوزع يوميا على الزنج بلا ثمن مقابل اتعابهم وعملهم المرهق^(٥) والسوق يصنع من طحين الحنطة ، او الشعير المحمر المخلوط بالتتمر^(٦) ، وكان وجة غير جيدة ومازالت معروفة وشائعة بين السود في البصرة حتى يومنا هذا وقد ورثوها عن اسلافهم^(٧) . وصفه ابن البيطار بقوله :

(١) الجاحظ : البخلاء ، ص ١٢٦ .

(٢) الشعالي : ثمار القلوب ، ص ٦٠٨ .

(٣) الجاحظ : البخلاء ، ص ١٢٩ .

(٤) الاصبهاني : الاغاني ، ج ٣ ، ص ١٣٣ .

(٥) السامر : ثورة الزنج ، ص ٣١ - ٣٢ .

Dozy , supplement aux dictionnaires Arabes I b , p. 706 (٦)

(٧) السامر : ثورة الزنج ، ص ٣٢ . وهناك شرح واف للسوق في هامش ثورة الزنج ، ص ٤٧ .

«السوقان . . . سوق الخطة وسوق الشعير وهو جميرا ينفخان ويقطنان
النزول من المعدة»^١ ووصفه الجاحظ بأنه : «عدة المسافر وطعم العجلان
وغذاء المبكر وبلغة المريض ويسر فؤاد الحزين ويرد من نفس المحدود وجيد في
التسمين ومنعوت في الطب وقاره يجلو البلغم وملتوته يصفي الدم وان شئت
كان شرابا وان شئت كان طعاما وان شئت فثيردا وان شئت فخبيصا»^٢ واذاك
يسمي عصيدة وفيها قال جعifer الموسوي :

وماء عصيدة حراء تحكي اذا ابصرتها ماء الحلوق
تزل عن الدهاء ترسلا وتجري في العظام وفي العروق
اما هريسة فأكلة شائعة وطيبة تباع في الأسواق عند الصباح الباكر^٣
وتشتريها العامة مبكراً ، ويسهل عملها في البيوت ، وهي طعام السوقين
والشغالة على حد قول عبد الله اليزيدي^٤ . تغني بها شاعر بغدادي قائلًا^٥ :
ان هريسة اهواها وتعجبني وبالمبطة قلبي جد مفتون
وان ذكرت سواها حاج لي طرباً وإن اق بعده لونان يكفيني
ومن طريف المصادرات ، ان ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري
(٢٧٦هـ / ٨٨٩م) مات بعد أكلة هريسة^٦ .
اما اللحم فقد ندر استعماله لدى الفقراء بالقياس الى المواد الغذائية^٧

١: ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية ، ج ٢ ، ص ٤٥ .

٢: القالي : الامالي ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .

٣: التوحيدى : الامتناع والمؤانسة ، ج ٣ ، ص ٨٣ .

٤: ابن الجوزي : المتنظم ، ج ٧ ، ص ٤٨٧ .

٥: الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ١١ ، ص ١٧٨ .

٦: التوحيدى : الامتناع والمؤانسة ، ج ٣ ، ص ٧٥ .

٧: ابن المطر الأزدي : حكاية أبي القاسم البغدادي ، ص ٧٥ .

٨: الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ١٠ ، ص ١٧٠ .

الاخري . قيل لابي العتاهية : انك شحيح على نفسك لاتشتري اللحم الا من عيد الى عيد ، فقال : لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحما وتوابلة وما يتبعه بخمسة دراهم^(١) . ويبلغ من شدة اعتزاز العرب باللحم : ان جعلوه غذاء لضيوفهم الذين يحرصون على اكرامهم ، فمن اقوالهم السائرة : « اطعم الضيف لحما وخبز حنطة وماء باردا^(٢) » . وقال بشر الحافي (ت ٢٢٧ هـ / ٨٤١ م) : اي لاشتهي شواءً منذ اربعين سنة ، وكانت عائلة بشر المكونة منه ومن امه واخته اذا استطاعت ان تحصل على اللحم فانها تقسمه على يومين وتعمل منه طبيخا^(٣) . وكان البوابون في قصور الخلفاء والوزراء ، يأكلون الباقياء يستعيضون بها عن اللحم لندرته وارتفاع سعره^(٤) .

٣ - تأخر الارزاق وشغب الجندي :

تمخصوص التطور الحضاري الاسلامي عن ظهور طبقة من الموظفين والجندي ترتبط بالسلطة الحاكمة ارتباطا معاشيا برواتب واعطيات يومية او شهرية محدودة ، تتأثر زيادة او نقصانا بمعيشة الخليفة ويطانته ، ويظهر ذلك بصورة جلية وواضحة عند الجندي المرتزقة التي كان الجيش العباسي جله منهم .

ويتوقف الفتوحات الاسلامية وانعدامها زمن بعض الخلفاء - هذه الفتوحات التي كانت تدر على المحاربين غنائم ومقانيم مادية ، اضافة الى انها عامل هو وسد فراغ بالنسبة لهم - شهد القرن الثالث الهجري القرن التاسع الميلادي العديد من حوادث الشغب وعلامات السخط والتدمير التي كثيرة ما يقوم

١ - الاصبهاني : الاغانى ج ٣ ص ١٣٣ .

٢ - الترجيبي : الامتناع والمؤافحة ج ٢ ص ٦٩ .

٣ - بدري محمد فهد : العامة ص ٩٩ .

٤ - التنوخي : نثار المحاضرة ج ١ ص ٢٣ .

بها الجند ، وفي بعض الاحيان العامة من الناس مطالبين بزيادة ارزاقهم واعطياتهم او عدم تأخيرها عن موعدها المقرر ، فقد تتأخر هذه الارزاق اذا كانت خزينة الدولة خاوية او لامور اخرى يرثاها الخليفة او الوزير ، ففي سنة (١٩٨ هـ / ٨١٣ م) بعد مقتل محمد الامين بخمسة ايام ، طلب اصحاب طاهر بن الحسين من الجندي ارزاقهم ، ولم يكن في يده مال . فضلاً به امره فأحرقوا بعض الابواب وشهروا السلاح^(١) ، فأستدانت طاهر مبلغاً قدره «عشرين الف دينار من سعيد بن مالك ، صرفه كأرزاق اربعة اشهر للجند فقال بعض البناء^(٢) :

آل الامير - قوله وفعاله حق - بجمع معاشر الزعاري
ان هاج هائجهم وشغب شاغب من كل ناحية من الاقطار
حق يُنیخ عليهم بعظيمه تدع السديار بلاقتع الآثار
وفي سنة (٢٠٠ هـ / ٨١٥ م) شغب الجندي من الحرية والبغداديين
بالحسين بن سهل لانه وعدهم ان يعطفهم الارزاق فلم يف بوعده ، وبعث الى
علي بن هشام واي بغداد من قبله : « ان ماطل الجندي من الحرية ارزاقهم ومنهم
لاتعطيهم^(٣) » وارتقت اصواتهم مطالبين برحيل الحسن عن العراق ،
« وصبروا اسحاق بن موسى بن المهدى ، خليفة للمؤمنين ببغداد ، فاجتمع
أهل الجانين على ذلك^(٤) ». وبعد حرب ثلاثة ايام ، اجابهم على « الحسين
درهم لكل رجل ينفقونها في شهر رمضان^(٥) » فاعطى قسماً وماطل آخرين ،

(١) مسکویه : تجارب الامم ، ج ٦ ، ص ٤١٦ .

(٢) الطبری : ج ٨ ، ص ٤٩٧ . الخراج في الدولة الاسلامية لمحمد ضياء الدين الرئيس ، ص ٤٥١ .

(٣) مسکویه : تجارب الامم ، ج ٦ ، ص ٤٢٩ .

(٤) ابن الاثیر : الكامل ، ج ٦ ، ص ٣١٦ .

(٥) الطبری : ج ٨ ، ص ٥٤٤ .

فلجماؤا الى العنف ثانية وشدوا على علي فطردوه من بغداد^(١) .
 وكثيرا ما كان الخليفة يعمد الى صرف العطايا والارزاق بعد كل حادث
 منهم ، ارضباء او مكافأة لهم ، من ذلك ان ابراهيم بن المهدى لما بايعه اهل
 بغداد للخلافة سنة (٢٠١ هـ / ٨١٦ م) ، وعد الجناد ان يعطيهم ارزاق ستة
 اشهر^(٢) الا انه دافعهم وماطلهم ، فأظهروا الشغب فأعطائهم « مائتى درهم
 لكل رجل وكتب لبعضهم الى السود بقيمة ما لهم حنطة وشعير^(٣) فخرجوا في
 قبض ذلك ولم يروا بشيء الا انتهبوه ، واستولوا حتى على نصيب الاهالى^(٤) .
 في حين ان بعض اهل بغداد راسلوا حميد بن عبد الحميد على مبايعة المؤمنون
 وخليع ابراهيم « على ان يعطي كل رجل من جند بغداد خمسين درهما^(٥) » فلما
 قدم حميد بغداد اخذ البيعة للمؤمنون « ووعدهم على رزق شهرين لتمام ستة اذا
 فرغ من اعطائهم هذه الاربعة الاشهر فرضوا بذلك^(٦) » الا ان حميدا اساء
 معاملة الناس ونخفض الارزاق فتدمر الرأي العام البغدادي حتى صار « حميد
 وكانته عبد الكرييم ملعنة في محل بغداد في مجالسها وطرقها^(٧) فامر المؤمنون للناس
 بتمام ارزاقهم ، مع انه كان بأمس الحاجة الى المال « وليس في بيت المال
 درهم^(٨) » .

(١) مسکویہ : تجرب الامم ، ج ٦ ، ص ٤٣ .

(٢) الطبری : ج ٨ ، ص ٥٥٥ .

(٣) ابن الاثیر : الكامل ، ج ٦ ، ص ٣٤١ .

(٤) ضياء الدين الرئيس : الخراج في اندونه الاسلامية ، ص ٤٥٤ .

(٥) الطبری : ج ٨ ، ص ٥٧٠ .

(٦) ابن طيفور : بغداد ، ص ٢ .

(٧) الجاحظ : ثلاث رسائل ، ط ٢ السلفية بمصر ، ص ٤٩ .

(٨) الجهشباری : نصوص ضيائعة من كتاب الوزراء والكتاب ، ص ٢٥ .

اتخذ الجندي من الشغب وسيلة لزيادة ارزاقهم ، او للحصول على عطايا اضافية بعد كل بيعة او حدث هام ، وكان شغل الولاة والقادة الشاغل رصد هذه التحركات قبل وقوعها ومعالجة اسباب التذمر قبل استفحال الامر ، كتب احدهم الى المؤمنون وقد توجس في جنده خيفة : « كتابي يا امير المؤمنين ومن قبله من الاجناد والقواعد في الطاعة والانقياد على احسن ما يكون عليه طاعة جند تأخرت ارزاقهم واختلت احوالهم^(١) » فأجابه الخليفة الى صرف ارزاقهم واستحسن هذا الصنيع منه .

لما مات طاهر بن الحسين (٢٠٧هـ / ٨٢٢م) في خراسان وشب الجندي بها فانتهبو بعض خزائنه وسلاحه ومتاعه فقام بأمرهم سلام الابرش الخصي ، واعطاهم رزق ستة اشهر^(٢) ، ولما بُويع المتكفل للخلافة وضع العطاء للجندي لثمانية اشهر فأمر للاتراك برزق اربعة اشهر وللجندي الشاكرية والهاشميين برزق ثمانية اشهر وللمغاربة برزق ثلاثة اشهر^(٣) . وتذمر الجندي الاتراك (٢٤١هـ / ٨٥٥م) . لما دخل المتكفل دمشق ، فقد ذكر المسعودي^(٤) : ان المتكفل استشار اصحابه في ذلك فأشاروا عليه بصرف الارزاق عليهم وعلى عيالهم .

ولعل من اعنف المشاغبات التي استأثرت باهتمام الرأي العام في بغداد وسامراء ، شغب العامة (٢٤٩هـ / ٨٦٣م) في عهد المستعين ، فقد اجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء بالنفير وانضممت اليها الابناء

(١) الثعالبي : خاص الخاص ، ص ٨ .

(٢) ابن طيفور : بغداد ، ص ٧٣ .

(٣) الطبرى : ج ٩ ، ص ١٥٥ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١١٥ .

والشاكريه تظهر أنها تطلب الارزاق^(١) ، ففتحوا سجن نصر بن مالك وانخرجوا من فيه من الخراسانيين والصعاليك واهل الجبال^(٢) . وفي سامراء « وثب نفر من الناس لا يعرف من هم^(٣) » وفعلوا مثل ما فعل العامة في بغداد والقوس على وصيف الخادم - وهو من قادة الاتراك - قدرا مطبوخا^(٤) .

اما الهاشميون من بني العباس الذين كانوا ببغداد فقد صاحوا بالمستعين وشتموا محمد بن عبد الله شتى قبيحه وقالوا : قد منعنا ارزاقنا وتدفع الاموال الى غيرنا من لا يستحقها ونحن نموت هزا وجوعا ! فإذا دفعت اليها ارزاقنا والا قصدنا الى الابواب ففتحناها ودخلنا الاتراك ، فليس يخالفنا احد من اهل بغداد ، فبدل لهم « رزق شهر واحد فرفضوا^(٥) » وانضم اليهم الجندي وكثير من العامة وشكوا سوء الحال التي هم فيها من الضيق وغلاء السعر وشدة الحصار فضمن لهم ابن طاهر « رزق اربعة اشهر فانصرفوا^(٦) » ولما بُويع المعتز بالخلافة « امر للناس برزق عشرة اشهر فلم يتم المال ف ساعطوا شهرين لقلة المال عندهم^(٧) » ولو توفر المال بيد المعتز لقدر له ان يحكم فترة اطول ولعدل الاتراك عن خلعه فقد قالوا له : « اعطنا ارزاقنا حتى نقتل لك صالح بن وصيف^(٨) » ،

(١) الطبرى، ج ٩ ، ص ٢٦١ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ١٢٢ .

(٣) الطبرى : ج ٩ ، ص ٢٦٢ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٦٣ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٣٢٧ .

(٦) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ١٥٨ .

(٧) الطبرى : ج ٩ ، ص ٢٨٤ .

(٨) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٦ .

فاستنجد المعز بامه قبيحة على ان تعينه على ضائقته ، فلم يجد عندها المال الكافي^(١) ، فاجتمع الاتراك والفراغنة على خلعه « ودخل عليه جماعة من اهل الكرخ والدور من خلفاء القواد فقتلواه^(٢) » ونفس هذه الجماعة تحركت متذمرة على المهدى سنة (٢٥٦ / ٨٦٩ م) وطالبته بأرزاقيها فلم يجيبهم^(٣) . فاستنجد المهدى بالفراغنة والمغاربة والاتراك الذين بايعوا على الدرهمين والسوق^(٤) . الا ان الاتراك مالوا الى ابناء جنسهم فهزموا المهدى وقتلوه^(٥) .

هذه الشكوى المتكررة التي لم يخل منها عهد من عهود بنى العباس في القرن الثالث الهجري كانت ظاهرة عامة تندد بالاصلاح وتحسين الاوضاع الاقتصادية اول الامر واذا لم تجد لها اذنا صاغية تلجم الى اساليب العنف ، وفي بعض الاحيان الى تغيير موقع السلطة كخلع الخليفة ، او تنحية الوزير ، كما ان هذه الشكوى لا يمارسها معارضو السلطة وحدهم ، بل قد تصدر من جند الخليفة نفسه كما حدث سنة (٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م) ، اذ شغب اصحاب ابي العباس على صاعد بن مخلد وزير الموقف وطلبو الارزاق فقاتلهم الى ان وضع لهم العطاء^(٦) .

ومع صفة الشعب الجماعي الذي دلت عليه الاحداث فان هناك بعض الحالات الانفرادية التي قام بها فرد او جماعة من الافراد ففي سنة (٢٤٩ هـ /

(١) الطبرى : ج ٩ ، ص ٣٨٩ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ١٩٥ .

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٦٣ .

(٤) الطبرى : ج ٩ ، ص ٤٥٨ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٤١١ .

٨٦٣ م) شغب جماعة من المغاربة في سامراء وانتهت منازل العامة ^(١) ودخل صديق الفرغاني سنة (٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م) دور سامرا فتهبها ، وانخذ اموال التجار منها وافسد وكان صديق هذا ينفر الطريق ويحميه ثم صار يقطنه ^(٢) . ومن الجند من يلتجأ إلى اساليب غير الشغب للخروج من ضائقته المالية ، روى التنوخي ^(٣) : ان احد الجند الاتراك تأخر رزقه في ايام المكتفي فساقت حاله ، ورثت هيئته حق لزم الجلوس عند خباز كان بالجانب الشرقي في بغداد ، يعطيه في كل يوم خمسة ارطال خبزا يتقوت بها هو وعياله ، فاجتمعت عليه للخباز شيء فضيق به صدر الخباز ، فاضطرب الجندي للجلوس في شوارع بغداد يسأل الناس حاجته .

وقد يلتجأ الخليفة نفسه في بعض الاحيان إلى اعطاء الجندي ارزاقا او عطايا ليستميل بها قلوبهم ، فقد اعطى المكتفي جنده رواتب بلغت مائة الف دينار لما عزم على عماربة القرامطة في الشام ^(٤) . ونجد ما يشابه ذلك فيها فعله ابو احمد بن المتسوكل . فقد جمع الموالي والعلماء والجنود وعرض لهم واعطاهم الارزاق ليهضمهم على حرب الزنج ^(٥) .

(١) الطبرى : ج ٩ ، ص ٢٦٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٤٢٧ .

(٣) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ٣١ .

(٤) الطبرى : ج ١٠ ، ص ١٠٣ .

(٥) الطبرى : ج ٩ ، ص ٢٦٧ .

ثانياً : العوامل السياسية والاجتماعية والفكرية

١ - التدمر من النفوذ الاجنبي :

ان طبيعة الاسلام المفتوحة للعناصر غير العربية والتي دخلت فيه طوعاً وكرهاً ، اصبحت بحكم عالمية الدعوى الاسلامية^(١) من رعايا الدولة ، لهم ما للعرب بأعتبارهم مسلمين ، هذه الطبيعة التي انطلقت منها الدين الجديد والتي اخرجها الفتح الاسلامي الى حيز التنفيذ ، مهدت الطريق لدخول العناصر الاجنبية الفارسية والرومية والتركية .

ان عملية الامتزاج بين الامم الفاقعة والمفتوحة بدأت في عهد عمر بن الخطاب كالامتزاج الثقافي والعرقي والاقتباس الحضاري ، واستمرت هذه العمليات زمن الامويين الذين حاولوا اعترافاً مسيرة التطور الاجتماعي الذي يستلزم تمتين الروابط الحضارية بين الشعوب الاسلامية عربية وغير عربية . انها اطوار لا ينفرض طور الا كان هناك بديل له اكثر تطوراً . وهكذا فان تربة المجتمع العربي كانت تزداد خصوصية في صالح العناصر الاجنبية بـ تتبع الزمن ، وقد قدر للتربة العباسية ان تحظى ثمار ذلك البذار الاسلامي ، وقد عجلت في نضوجه بعض اجراءاتها كالانتقال بالعاصمة من دمشق الى بغداد القريبة من مركز الفرس في خراسان ، فكان من مردودات ذلك اشتراك الاعاجم في حكم الدولة ، فقد تسنموا منصب الوزارة وهي من حيث الاهمية تأتي بعد الخليفة ، واستمر نفوذهم اتساعاً وظهرت اطماعهم الفارسية مما حدى بالخلافاء الى التخلص منهم كالذي حدث لابي مسلم الخراساني زمن المنصور وللبرامكة زمن الرشيد . وبرزوا كعامل فعال في اسناد الخليفة وتشييده لما

(١) كما في قوله تعالى : « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن اکثر الناس لا يعلمون » سورة سباء

حدثت الفتنة بين الامين وانبيه المأمون ، فقد ناصروا المأمون الذي كان اول الامر في خراسان^(١) . ومنهم جيشه الذي حاصر بغداد بقيادة طاهر بن الحسين^(٢) ، فلما دخلوها تسلطوا على اهلها ونكلوها باتباع الامين ومناصريه واخذدوا منهم الاموال ، فقد اشترطوا على احمد بن سلام دفع مبلغ عشرة الاف درهم والا ضربوا عنقه . قال احمد بن سلام : فبعثت الى وليلي فاتساني بها فدفعته الى طاهر^(٣) .

وغالى الفرس بأنسبهم وفخر احدهم قائلا : « الانصار انصاران : الاوس والخزرج نصروا النبي (ص) في اول الزمان واهل خراسان نصر واورثته في آخر الزمان ، غذانا بذلك اباونا وغذونا به ابناءنا وصار لنا نسبا لانعرف الا به ودينا لانوالي الا عليه^(٤) » . وقال آخر : « نحن اصحاب اللحى وارباب النبي واهل الحلم والمعاجا واهل الشخانة في الرأي والبعد في الطيش ولستنا كجند الشام المتعرضين للحرم والمتنهكين لكل محروم^(٥) » ، ولعل فيها اظهerte مناظرة الاشرين سنة ٢٢٥هـ / ٨٣٩م دليلاً على اطماعهم واتصالاتهم السرية فقد كشف المازيار صاحب طبرستان ان الاشرين كتب اليه يطلب مناصريه ضد العرب ليعود الدين الى ايام العجم^(٦) .

ضياع المجتمع الاسلامي في القرن الثالث الهجري القرن التاسع

(١) ابن طيفور : بغداد ، ص ١ .

(٢) الفخرى : الاداب السلطانية ، ص ١٧٣ .

(٣) الطبرى : ج ٨ ، ص ٤٨٨ .

(٤) البلاحتى : الرسائل ج ١ ، ص ١٥ .

(٥) نفس المصدر ، ص ١٩ .

(٦) الطبرى : ج ٩ ، ص ١٠٩ .

الميلادي بعناصر رئيسة ثلاثة هم : العرب والفرس والاتراك ، ومع ان التراث الاسلامي كان مشتركا بينهم ، كل منهم يفخر به علينا ، فان لهم اطماءا واحلاما قومية يعملون للوصول اليها سرا . وبعبارة اخرى رأى عام اسلامي يضم في ثياته آراء متباعدة عربية واجنبية ، وكل ييدي تذمرا ويحاول السيطرة والتسلط على حساب العنصر العربي .

يعود الفضل بتکاثر عدد الاتراك الى المعتصم الذي عمد الى جمع عدد منهم بالشراء من بخارى وسمرقند وفرغانة واشروسنه وغيرها من بلاد تركستان وما وراء النهر فاجتمع له منهم اربعة الاف^(١) ، ولما افضت الخلافة اليه امعن في شرائهم حتى بلغت عدتهم ثمانية الاف مملوك وقيل ثمانية عشر الفا ، البسهم انواع الديباج ومناطق الذهب ، وميزهم عن سائر جنوده .^(٢)

لقد تکاثر عدد الاتراك في عشرينيات القرن الثالث الهجري حتى ضاقت بهم بغداد وتذمر الناس منهم ، فكثيرا « ما تجد الواحد بعد الواحد قتيلا في الارياض والمدروب وذاك انهم كانوا يركبون الدواب ويتراکضون في طرق بغداد وشوارعها فيصدمون الرجل والمرأة ويدوسون الصبيان » . فثارت ثائرة العرب من اهل بغداد « فكانوا ينكسونهم عن دواهم وينحرجون بعضهم

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٥٣ .

(٢) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ . ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٧٤ ، ان عددهم قد بلغ سبعين الفا بعد ان ول المعتصم الخليفة .
مؤلف مجهول : العيون والحدائق ، ج ٣ ، ص ٤٨١ ..

.. ترى جهادية القرغولي في كتابها الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في سامراء ص ٢١ ، ان وجود الاتراك كفرقة عسكرية جديدة في عناصرها ، متميزة في مظهرها ، بدوية في تصرفها ، في وسط متحضر كبغداد قد خفف من حدة التنافس بين العرب والفرس ووحد شعور العنصرين ضد الاتراك .

ويقتلونهم سرا ويلقون بهم على قارعة الطريق^{٢٠} . وتكررت مثل هذه الحوادث اكثر من مرة والبغدادية يصرحون بالشکوى علينا ، اعترض احد شيوخهم المعتصم وهو في موكيه بعد صلاة العيد ، قائلا له : « يا ابا اسحاق .. فابتدره الجندي ليضربوه ، فاشار اليهم المعتصم فكفهم عنه ، فقال للشيخ مالك ! قال : لاجزاك الله عن الجوار خيرا ! جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج فاسكتتهم بين اظهرنا فایتمت صبياننا وارملت بهم نسواننا وقتلت بهم رجالنا»^{٢١} والمعتصم يسمع ذلك كله وقد كظم همه وصمم على وضع حل نهائي مثل هذه المشاكل ، فلم يجد احسن من ان يبني مسكنرا لاجناده الاتراك يعزفهم فيه ، وبذلك يتجنب الناس الفتنة ويبعدهم عن بغداد مركز الخصارة ، كي لا تفسد طباعهم ويقل ولاؤهم وتذهب عصبيتهم وشجاعتهم وهي صفات رغبت المعتصم فيهم ، واشترط لمسكره هذا سلامه الموقع قائلا : « فان رأينا من عساكر بغداد حادث كنت بنجوة وكنت قادرًا على ان اتيهم في البر وفي الماء»^{٢٢} .

وجد المعتصم في سامراء ما يحقق له كل ذلك قصدها سنة (٨٣٥هـ / ٢٢٠م) وبنى فيها اول الامر قصره ومن حوله بيوت الجندي حتى اصبحت مدينة تسر كل من يراها ولذلك قيل لها سر من رأى^{٢٣} وجعلتها عاصمة الدولة العباسية فأغاض ذلك الناس وخاصة اهل بغداد الذين وجدوا فيه انتصارا للاتراك وضررها لتقاليد بني العباس ، عبر احد الشعراء عن ذلك

٢٠. مسكنه : تحارب الامم ، ج ٦ ، ص ٤٧٨ .

٢١. الطبرى : ج ٩ ، ص ١٨٠ .

٢٢. الفخرى : الاداب السلطانية ، ص ١٨٨ .

٢٣. تاريخ البغدادى : ج ٢ ، ص ٤٧٣ .

ايا ساكن القاطول بين الجرامقة ترکت بغداد الكباش البطارقة
لقد تعاظم عدد الاتراك وامتد نفوذهم الى كل جوانب الحياة ، حتى
الخلافة تطاولوا عليها وجعلوها منصبا يولون من يشاءون فسرعان ما ينصبون
خليفة ومن ثم يعزلونه او يقتلونه لسبب او لآخر تبعا لمصالحهم الخاصة ، ويتبع
ذلك عادة تفكك في مؤسسات الدولة ، وفوضى في الحياة العامة ، وتذمر يعبر
عنه الرأي العام الاسلامي بطريقة او باخرى ، كالتأكيد على قدسيّة الخلافة
الاسلامية على سبيل المثال .

لا ينكر ان الخلفاء العباسيين منذ خلافة المعتصم ، قلدوهم اعلى
المناصب ومنحوهم اوسع الصلاحيات ويرور الايام تعاظم نفوذهم ، واصبح
يرقى الى مرتبة الخليفة نفسه ان لم يتعده فعليها في بعض الاحيان فقد كان ايتاخ
مع المتوكل في مرتنته ، واليه الجيش والمغاربة والاتراك والاموال والبريد
والمحجابة ودار الخلافة .. وال الخليفة نفسه غير راضٍ عن ذلك ولكنه في الوقت
نفسه غير قادر على ان يعمل شيئا او يصرخ بعدم رضاه فكثيرا ما يكتب تذمره .
في احدى الليالي خر المتوكل فعربد على ايتاخ واظهر تذمره منه ففهم ايتاخ على
قتله فلما كان اليوم التالي اعتذر وصبره الخليفة امير كل بلد يدخله وخلع
عليه .. هذا ظاهر الامر وفي السر اتصل المتوكل باسحاق بن ابراهيم واتفق
معه على الایقاع بآيتاخ فقبض عليه وعلى ولديه ، وألقوا في الحبس جميعا ومات
آيتاخ فيه سنة ٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م ..

١.. المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٥٤ .

٢.. ابن الاثير : الكامل : الكامل ج ٧ ، ص ٤٣ .

٣.. الطبری : ج ٩ ، ص ١٦٧ .

٤.. ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٤٧ .

خطط الاتراك لقتل المتوكل بعد ماحدث لايتاخ ، فقد اتفقوا مع ابنه المتصر ، وكان على خلاف مع ابيه المتوكل في بعض الامور كاحتجاجه على سياسة كره آل البيت ^٦ ، ولأن المتوكل لما مرض جعل الامامة في الصلاة لأخيه المعز بتحريض من الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان ^٧ .

استغل الاتراك هذه الخلافات فأوغرروا صدر المتصر على ابيه واتفقوا معا على قتله فكان لهم ما ارادوا وجعلوها في المتصر ^٨ . فلما شاع الخبر في سامراء ، شغب الجندي والعوام وغيرهم من الغوغاء وتجمعوا بباب العامة وقد اخذ السخط والذمر منهم مأخذا ، حتى ان المتصر خرج لهم بنفسه وصاح بهم : ياكلاب فاخذهم جنده وتدافعوا حتى مات البعض منهم من الزحمة والدوس ^٩ .

وموت المتصر سنة (٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م) ، اختلف الناس ، فريق بايع المستعين احمد بن المعتصم يمثله الامراء والمماليك وجمهور الجيش ، وآخر بايع المعز جلهم من العوام وسواه الناس وكانوا يهتفون « يامعتر زي يامتصور ^{١٠} » ، وقد اقتل الفريقان اياما ، وشاعت الفتنة ، وانتهت اماكن كثيرة من بغداد الى ان استقر الامر للمستعين سنة (٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م) ، فكان لا حول له ولا قوة بين الامراء الاتراك وفيه قيل ^{١١} :

١٠. الفخرى : الأداب السلطانية ، ص ١٩٢ .

١١. ابن الأثير : الكامل ج ٧ ، ص ٩٦ .

١٢. تاريخ البغدادي : ج ٢ ، ص ٤٩٢ .

١٣. الطبرى : ج ٩ ، ص ٢٣٩ .

١٤. الطبرى : ج ٩ ، ص ٢٥٦ .

١٥. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢ .

١٦. السيرطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٥٨ .

خليفة في قفصٍ
بين وصيفٍ وبغا

يقولُ ما قالَ له
كما تقولُ البيغا

لم يرض هذا الحال المستعين ولا لم يجد مخرجاً في التقليل من نفوذهم
والانتصاف لشکوی وتدمير الناس ، وهو نفسه قد توجس الخيفة منهم وما
حدث لاسلافه مائل بين عينيه ، لذلك كله هرب الى بغداد ، فانقسم الاتراك
على انفسهم فريق معه وآخر طلب منه العودة الى سامراء^{٢٠} ، معتذرین عن
بدامنهم ، فقال لهم : « انتم اهل بغي وفساد واستغلال للنعم ، المترفعوا الى
في اولادكم فالحقتهم بكم وهم نحو من الفي غلام وفي بناتكم فأمرت بتصييرهن
في عداد المتزوجات وهن نحو من اربعة الاف امرأة من المدركون والمولودين !
وكل هذا قد اجبتكم اليه ، وادررت لكم الارزاق .. ومنت نفسي لسلتها
وشهوتها ، كل ذلك ارادة لصالحكم ورضاكم واثتم تزدادون بغياً وفساداً وتهدا
وابعاداً^{٢١} » .

وازاء هذا التمادي والغي تدمير الناس فاجتمعـت العامة ببغداد تناصر
المستعين وانقسم الاتراك الى احزاب^{٢٢} ، فعمد بعضهم وجلهم من اتراك
سامراء الى خلعه ومبايعة المعتزابي عبد الله بن محمد المتوكـل بعد ان اخرجـوه من
السجن سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م^{٢٣} . وجردوا الجيوش لخصار بغداد التي
« اشتـد فيها البلاء والقحط حتى اكل اهلـها الجيف وقتلـ منهم ما يقربـ من

٢٠. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٣ ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٩ . مطبعة الشبكـي
بمصر ، ص ٢٤ .

٢١. الطبرـي : ج ٩ ، ص ٢٨٣ .

٢٢. احمد امين : ظهر الاسلام ، ج ١ ، ص ٢٠ .

٢٣. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٨ .

الالفين»^١ ، وشاع في بغداد ان محمد بن عبد الله بن طاهر قد خلع المستعين وبایع المعز ، فاجتمعت العامة حداء داره فشتموه اقیع شتم ودخلوا دهليز داره وأرادوا احراقه فلم يجدوا نارا^٢ ، وقد حاول ابن طاهر ان يتخلص من هذه التهمة واعتذر الى الخليفة ولكن العامة لم تقنع بذلك^٣ ، وفي الغد عاودت العامة شغبها حول دار ابن طاهر الى ان خرج اليهم المستعين قائلا لهم : « ان محمد بن عبد الله بن طاهر لم يخلع ولم اتهمه ووعدهم ان يصلی بهم الجمعة فانصرفوا »^٤ .

كتب المعز بالله الى ابي احمد يلومه للنقصير في قتال اهل بغداد قائلاً :

لامر المنايا علينا طريق	وللدهر فيه اتساع وضيق
فهذا قتيل وهذا جريح	وهذا حريق وهذا غريق
وهذا قتيل وهذا تليل	وآخر يشدحه المنجنيق
هناك اغتصاب وثم انتهاب	ودور خراب وكانت تروق

لقد صدق حدس العامة في اتهامهم لابن طاهر بالتواطؤ مع المعز ، « اذ انه لما تفاقم الامر واشتد الحال وضاق المجال وجاء العيال وجهد الرجال جعل ابن طاهر يظهر ما كان كامنا في نفسه »^٥ ، الى ان تجرأ وقال للمستعين « لا بد

١. اللهي : العبر في خبر من غير ، ج ٢ ، ص ٢ .

٢. ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ١٥٨ .

٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٨ .

٤. ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ١٥٩ .

٥. الطبرى : ج ٩ ، ص ٣١٦ .

٦. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٩ .

لَكْ مِنْ خَلْعِهَا طَائِعًا أَوْ مُكْرِهَا فَأَجَابَ إِلَى الْخَلْعِ^{١٠} » وَفِي ذَلِكَ قَالَ الشَّعْرَاءُ شِعْرًا كَثِيرًا فِي ذَلِكَ قَوْلُ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي الْجَنْوَبِ فِي قَصْيَدَةٍ طَوِيلَةٍ^{١١} :

ان الامور الى المعتر قد رجعت
والمستعين الى حالاته رجعا
قد كان يعلم ان الملك ليس له
وانه لك لكن نفسه خدعا

وَفِي سَنَةٍ (٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م) قُتِلَ الْمُسْتَعِينُ عَلَى يَدِ سَعِيدِ بْنِ صَالِحِ
الْحَاجِبِ وَقَدْ احْتَرَأَ سَهْ وَحْمَلَهُ إِلَى الْمُعْتَزِ بِاللهِ وَتَرَكَ جَسْتَهُ مَلْقَاهُ عَلَى الطَّرِيقِ حَتَّى
تُولِيَ دُفْنَهَا جَمَاعَةً مِنَ الْعَامَةِ^{١٢} . وَقِيلَ فِي ذَلِكَ شِعْرٌ يَنْسِبُ إِلَى الْبَحْتَرِيِّ عَرَضَ
فِيهِ بِالْأَتْرَاكِ وَبِالْحَالِ السَّيِّئَةِ الَّتِي آتَتْ إِلَيْهَا الْخِلَافَةُ^{١٣} :

لَهُ دُرُّ عَصَابَةٍ تُرْكِيَّةٍ رَدُّوا نَوَابِ دِرَهْمِ بِالسَّيْفِ
قَتَلُوا الْخَلِيفَةَ اَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَكَسَوْا جَمِيعَ النَّاسِ ثُوبَ الْخُوفِ
وَطَغَوْا فَأَصْبَحُ مَلْكَنَا مُتَقَسِّمًا وَامْأَمَنَا فِيهِ شَبِيهَ الضَّيْفِ
تُولِيَ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِهِ اخْرُوَهُ الْمُعْتَزُ بِاللهِ ابْوَعَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ
الْمُتَوَكِّلِ^{١٤} . وَلَمْ يَكُنْ حَظَهُ أَحْسَنُ مِنْ اَسْلَافِهِ ، فَالْفَتَنَةُ عَلَى اَشْدَهَا ، وَتَلَمِرُ
الرَّأْيِ الْعَامِ عَلَى التَّفَوُذِ التُّرْكِيِّ ، وَصَلَ حدَ الْيَأسِ ، روَى اَنَّهُ لَا جَلْسٌ عَلَى
سَرِيرِ الْخِلَافَةِ قَعْدَ خَوَاصِهِ وَأَحْضَرُوا الْمَنْجَمِينَ وَقَالُوا لَهُمْ : اَنْظُرُوا كُمْ يَعِيشُ؟

^{١٠}. ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ١٦١ .

^{١١}. المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٦٩ .

^{١٢}. نفس المصدر ، ص ١٦٤ .

^{١٣}. نفس المصدر ، ص ١٦٩ .

^{١٤}. الفخرى : الأداب السلطانية ، ص ١٩٦ .

وكم يبقى في الخلافة ؟ وكان بالمجلس بعض الظرفاء فقال : انا اعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته فقالوا : فكم تقول انه يعيش وكم يملّك ؟ قال : ما اراد الاتراك^{١٠} . والرواية على ظرافتها تدل بما لا يقبل الشك على الحال التي آلت اليها الخلافة العباسية تحت النفوذ التركي اذ اصبح الخليفة آلة بيد الامراء والاتراك^{١١} ممك شاءوا عزلوه وجاءوا بآخر وهكذا ، بايعوا المعتز وسرعان ما شغبوا عليه مطالبين بأرزاهم ، فلم يكن بيده مال يصرفه لهم ، فأجعوا على خلعه وقتله شر قتله^{١٢} ، وادعوا انه خلع نفسه واشهدوا على ذلك بعض اتباعهم^{١٣} . فاكثر الشعراء في خلعه وقتله من ذلك قول احدهم^{١٤} :

بَكَرَ التُّرْكُ نَاقِمِينَ عَلَيْهِ كَرِيمُ الْأَخْلَاقِ غَيْرُ جَزُوعٍ لَمْ مَا بَيْنَ سَامِعٍ وَمُطْبِعٍ	خَالِعِيهِ أَفْدِيهِ مِنْ خَلْوَعِ قَتْلَوْهُ ظَلَمًا وَجُورًا فَالْفَوْهُ أَصْبَحَ التُّرْكُ مَالِكِ الْأَمْرِ وَالْعَا
---	--

وقال في ذلك آخر^{١٥} :

حِينَ اهْدَوُا إِلَيْهِ حَتْفَا مَرِيجَا سِيُوفًا لَا تُسْتَبِلُ الْجَرِيجَا	قَتْلَوْهُ ظَلَمًا وَجُورًا وَغَدْرًا أَيْهَا التُّرْكُ سُوفَ تَلْقَوْنَ لِلَّدْهَرِ
---	---

وقال آخر^{١٦} :

اَذْ رَأَتْ سَيِّدُ الْاَنَامِ خَلِيلًا اَظَهَرُوا ذَلَّةً وَابْدَوُا خَضْرَوْعًا	اَصْبَحَتْ مَقْلَتِي تَسْخُّ الدَّمْسَوْعًا وَيَنْوَعْمَهُ وَعَمَّ اَبِيهِ
--	---

^{١٠}. نفس المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

^{١١}. الذهبي : العبر في خبر من غبرج^٤ ص ٩ .

^{١٢}. الفخرى : الأداب السلطانية ص ١٩٧ .

^{١٣}. المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٩٧ .

^{١٤}. المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٩٧ .

لقد أله الرأي العام الإسلامي في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي مفاسيم التولية والخلع وحيل القتل التي مارسها الامراء والاتراك ، وما حدث للمعتزل بالله نجده قد تكرر على المهتدى بالله فقد نصبوه خليفة وتعاطف الناس معه وقووا عنده فكرة الضرب على ايدي الامراء الاتراك ولكن لم يفلح ، فقد ثقلت وطأته عليهم فأستطالوا خلافته وسموا ايامه^{١٠} . فتأمروا على قتله ، وقد ذكر الطبرى : انه قد انهزم قبلة الاتراك والسيف في يده مشهور ، وهو ينادي : يامعاشر المسلمين انصرموا خليفتكم الى ان قتل على يد احد الاتراك^{١١} .

وصف احد الاتراك الاحوال تحت نفوذهم قائلاً : « ولنا بغداد بأسرها تسكن ماسكنا وتتحرك ما تحركنا والدنيا كلها معلقة بها وصائرة الى معناها فإذا كان هذا امرها فجميع الدنيا تبع لها وبالتالي تبع لنا^{١٢} » . وبما لا جدال فيه ان دخول العناصر الاجنبية وازدياد نفوذهم وسلطتهم ، كان عاماً سلبياً عجل في انهيار الدولة العباسية .

٢ - انحلال النظام الاداري :

آ / طرق التولية والعزل :

تعرضت مؤسسات الدولة العباسية لضعف متزايد منذ اللحظات الاولى لقيامها ، وذلك للتناقض الحاصل بين سلطة الخليفة من جهة وسلطة الوزير والولاة والموظفين الآخرين من جهة أخرى ، فالدولة بوضعها الانقلابي الذي

١٠. نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ١٨٣ .

١١. الطبرى ، ج ٩ ، ص ٤٥٨ .

١٢. الباحظ : الرسائل ، ج ١ ، ص ٢٨ .

جاء على اعقاب سقوط السلطة الاموية ، لم تتمكن من تحديد صلاحيات و اختصاصات الوظائف والمناصب المستحدثة ، وخاصة الزمنية منها التي لم تعهدتها الدولة الاسلامية من قبل كالوزارة مثلاً « التي لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها الا في دولة بنى عباس فأما قبل ذلك فلم تكن مقتنة القواعد ولا مقررة القوانين بل كان لكل واحد من الملوك اتباع وحاشية فإذا حدث أمر استشار بدوى الحجا والاراء الصائبة فكل منهم يجري وزير فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة وسمى الوزير وزيراً وكان قبل ذلك يسمى كاتباً ومشيراً^(١) .

لقد جعل بنو العباس الوظائف الحساسة كالوزارة في الفرس مكافأة لهم لدورهم البارز في قيام الدولة العباسية وقد تقلدتها زمرة الخليفة العباسي الاول ابو سلمة الخلال وهو فارسي من اهل همدان^(٢) .

ان اشراك العنصر الفارسي في الحكم ، وتقلدهم منصب الوزارة وهو منصب حساس يأتي في الاهمية بعد الخلافة ، كان سابقة خطيرة تركت آثاراً سلبية على المجتمع العربي ، فهذه الخطوة والخطوة مهدت السبيل للدخول العناصر الاجنبية الفارسية والتركية ومن ثم سيطرتها على مؤسسات الدولة الاخرى ، وكانت بحق عاماً سلبياً عجل في تداعي الدولة العباسية .

لقد فوض بعض الوزراء صلاحيات واسعة جداً جمعت في يده خطقي السيف والقلم حتى ان جعفر بن يحيى ، دعى بالسلطان ايام الرشيد^(٣) . ومع كل هذه الصلاحيات التي تدل على الثقة فإن الخلاف سرعان ما يدب بينها وينتهي الامر بالوزير الى العزل ، وقد يؤدي به ذلك الى السجن او القتل ، ولا

(١) الفخري : الاداب السلطانية ، من ١٢١ .

(٢) المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٢٩٣ .
٣. ابن خلدون : المقدمة ، من ٢٣٨ .

ادل على ذلك من مقتل البرامكة وبيني سهل وبيني وهب ^١ وغيرهم ومرد ذلك : ان الوزارة منصب حديث العهد بالنسبة للمجتمع الاسلامي ، لم تكتمل اسسه ولم تتحدد صلاحياته ، ولا ينسجم مع فكرة التفويض الاهلي التي كفلت للخليفة سلطات دينية و زمنية لاحصر لها . اضافة الى ما هؤلاء الوزراء من اطماع قومية واحقاد شعوبية ضد العنصر العربي والدولة العباسية .

وبحين تسلط الاتراك في الرابع الثاني من القرن الثالث الهجري ، ضعف مركز الوزارة وانتقلت السلطة الفعلية الى الجيش ^٢ ، وتخلى ذلك فترات قوية فيها سلطة الوزير وكانت لبعضهم ادوار بارزة في تسيير دفة الحكم ، ولكن ذلك لم يخلصهم من غضب الخلفاء لاتهامه الامور . ومنذ اواخر القرن الثالث الهجري ازداد نفوذ الوزراء بضعف معاصرتهم من الخلفاء ، وقويت المنافسة على منصب الوزارة وكان يصعب هذه المنافسة تفشي الدس والرشوة ووصل الحال الى ان الفوز بهذا المنصب يكون من يدفع للخليفة مبلغا اكثرا من غيره ، فقد روى ^٣ : ان الحاقداني وزير المقدار بالله كان كثير العزل والتولية ، قيل انه ولد في يوم واحد تسعه عشر ناظرا للحكومة واحد من كل واحد رشوة فانحدروا واحدا واحدا حتى اجتمعوا جميعهم في بعض الطريق فقالوا كيف نصنع ؟ فاتفقوا على جعلها في آخرهم عهدا بالوزير وفي ذلك قيل ^٤ :

**وزير لايميل من الرقاعة يولي ثم يعزل بعد ساعة
ويسلني من تعجل منه مال ويبعد من توسّل بالشفاعة**

١. ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ ، دار الكتب المصرية : ١٩٢٩ .

٢. صبحي الصالح : النظم الاسلامية ، ص ٢٩٩ .

٣. الفخرى : الاداب السلطانية ، ص ٢١٥ .

٤. الفخرى : الاداب السلطانية ، ص ٢١٥ .

اذا اهل الرشا صاروا اليه فاحظى القوم اوفرهم بضاعة
وسخر الرأي العام من الوزراء كادنى صنعة ، فقد روى التنوخي^{١٠} :
« انه اجتمع الناس مرة على قراد معلم في شارع الخلل ، فيقول المعلم للقرد :
تشتهي ان تكون بزازا ؟ فيقول نعم ويؤمئ برأسه . فيقول تشتهي ان تكون
عطارا ؟ فيقول نعم ، برأسه ، فيعدد الصنائع عليه في يوميء برأسه فيقول له في
آخرها : تشتهي ان تكون وزيرا ؟ في يوميء برأسه لا ويصيح ويعدو من بين يدي
القراد فيضحك الناس » .

وبأنتهاء القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ، « تعطل رسم الخلقة
وصار الامر للملوك العجم ، واستنكروا من مشاركة الوزراء في اللقب لأنهم
خول لهم فتسموا بالامارة والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى بأمير
الامراء او بالسلطان وتركوا اسم الوزارة الى من يتولاها للخلفية في خاصته » .
لم يفتقرب الارتكاب السياسي على الوزارة بل تعداها الى مؤسسات الدولة
الاخري ، فقد تنحصر في نفر من الناس بسبب قرابتهم من الخليفة ، كالذى
ذكر عن المأمون حيث ول ابنته العباس الجزيرة والثغور والعواصم ، وولى اخاه
ابا اسحاق المعتصم الشام ومصر وامر لكل واحد منها ولعبد الله بن طاهر
بخمسمائة الف درهم^{١١} وشهد محمد بن يقطين وهو على حرس ذى اليمين
(طاهر ابن الحسين) على ان بعض الناس تولوا وظائف لا يستحقونها ولا دراية
لهم بها ، بقوله : ما اعجب اشياء احدثها الامير يعني ذا اليمين من توليته
سعید ابن الجنید دیوان الخراج وهو بستانی وبادات البقر احذق منه بالكتابة ،
ولى ابا زید دیوان التوقيع والخاتم وهو لا يحسن الكتابة قليلا ولا كثيرا . فلما

^{١٠}. التنوخي : نثار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

^{١١}. ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٣٩ .

^{١٢}. ابن الاتير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٤٠٩ .

قيل له : لماذا لا تحكى ذلك للامير ؟ قال : ما هو شيء اقوله انا وحدي .. .
والعبارة الاخيرة تدل على ان الرأي العام تناقل هذه الاحداث ، وابدى تذمره
وسخطه منها .

لقد ساءت الاحوال العامة وارتباك النظام الاداري في العصر العباسي
خلال القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ، فالوزير يتولى الوزارة عاما او
عامين ثم يعزل او يستقيل ، وله عدة ملايين من الدنانير فضلا عن الضياع
والمباني وقد اكتسب هذه الثروة بالرشوة ونحوها من اسباب المظالم ^{١٠} ، ففي سنة
(٢٢٩ م / ٨٤٣ هـ) صادر الخليفة الواثق بالله كتاب الدواوين فاخذ من احمد
ابن اسرائيل ثمانين الف دينار ، ومن سليمان بن وهب كاتب ايتاخ اربعمائة
الف دينار ، ومن الحسن بن وهب اربعة عشر الف دينار ، ومن احمد بن
الخصيب وكتابه الف الف دينار ، ومن ابراهيم بن رباح وكتابه مائة الف
دينار ^{١١} . وذلك لظهور خياناتهم واسرافهم في امورهم ، واكتنازهم الاموال ،
واخدهم الرشاوى ، فامر بمحاكمتهم فانقضى حالم فضيحة بلغة ^{١٢} . وقد
نسب التنوخي على لسان سليمان بن وهب شعرا قاله في حبسه منه ^{١٣} :

ياخي لو ترى مكانى في الحبس
ومالي وزفري وعويلي
وعشارى اذا اردت قياما
وقدعوا فى مثقلات الكبول
لرأيت الذى يغمىك فى الاع
سداء اذ يسلكوا جيعاً سبلي

لقد عبر الشعراء عن نقامة الرأي العام على الفوضى الادارية التي

^{١٠} لابن طيفور : بغداد ، ص ٥٩ .

^{١١} جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ، ج ٤ ، ص ١٩٠ .

^{١٢} الطبرى : ج ٩ ، ص ١٢٥ .

^{١٣} ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ، ص ٣٠١ .

^{١٤} التنونى : الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ١٥٠ .

وصلت اليها الدولة ولعل اصدق شعر في هذا الصدد مقالة ابن المعتز^{١٠} :
 كم تائه بولاية ويعزله يعود البريد
 سكر الولاية طيب ومحارها صفع شديد
 وقد اظهر الناس استهانة بالوظائف وسخرية من بعضها لقصر عمر مثل
 هذه الوظائف ومن طريف ما روى : ان احدهم ولي النفاطات فأظهرتها ،
 فقال فيه صديق له شاعر^{١١} :

لعمري لقد اظهرت تيما كاما
 توليت للفضل بن مروان منبرا
 بحفظ عيون النفط احدث نخوة
 فكيف به لو كان مسكا وعنبرا
 وظاهرة الرشوة وجمع الاموال سواء بالنسبة للوزير او بالنسبة للعامل
 الذي بها يستطيع الوصول الى الولاية ، ظاهرة تدل على تدهور الاوضاع
 السياسية ، وضعف سلطة الخلفاء بسبب سيطرة الاتراك والعناسير الاجنبية
 الانجلي وصراعها المستمر على السلطة ، وصف احد الشعراء هذه الاوضاع
 وكأنه يريد ان يقنع نفسه والآخرين من كثرة العزل والتولية قائلا^{١٢} :

لاتجزعن فكل وال يعزل وكما عزلت ففي قريب يعزل
 ان كنت تنكره فاين الاول ان الولاية لاتدوم لواحد
 وكذا الزمان بما يسرك تارة وبما يسوءك مرة يتبدل
 ب / اساليب جباية الضرائب :

ومن عوامل التذمر التي حفل بها القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي
 سوء طرق جباية الخراج ، والضرائب الفادحة على الباعة واهل الاسواق في
المدن ، والاعتداء على الفلاحين ، ونهب غلامتهم فان بعض العمال كان يبعث

^{١٠}. البيهقي : *المحاسن والمساويه* ، ص ١٦٨ .

^{١١}. نفس المصدر السابق .

^{١٢}. البيهقي : *المحاسن والمساويه* ، ص ١٦٩ .

رجاله الى القرى « فيأتون الى البيدر فيقسمونه كما يشاؤون و اذا تذمر الفلاح
شتموه وحلقوا لحيته وضربوه وقد لايرضيهم ذلك فيغتصبون الضياع برمتها »^{١٠}.
ومن مشاكل سوء جبائية ضريبة الخراج ، انها تجبي في غير مواعيدها مما
يجدد حيفا يصيب الزراع وال فلاحين ، ولذا فانهم طالبوا السلطة بتنظيم وقت
مناسب لجبايتها او تطبيق ما يعرف بنظام الكبس الفارسي الذي حدد ميقات
البدء في جبائية الخراج يوم النيروز^{١١} ، وهو وقت مناسب لنضوج الشمر وجني
الحاصل . لاحظ المتوكل ذلك بنفسه في احدى جولاته ، ان الزرع مایزال
اخضر وان الغلال لم تدرك فقال لبعض مرافقيه : مادام الزرع لم يدرك فمن اين
يعطي الناس الخراج ؟ فأصدر اوامره بالعمل بنظام الكبس فاخر الجبائية الى
متتصف حزيران بعد ان كانت تؤخذ في نيسان^{١٢} ، وقد استحسن الرأي العام
هذا الاجراء وخاصة الفلاحون وحمدوا للخليفة عمله هذا ، ولكن سرعان ما
وقف العمل بهذا النظام بعد مقتله وعادت فوضى الجبائية كما كانت . وفي سنة
(٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) زمن المعتصم اعيد العمل به ثانية وقد جعله في الحادي
عشر من حزيران بعد ان كان قد تقدم شهرين كاملين الى الحادي عشر من
نisan^{١٣} .

من ذلك يتبين ان معظم خلفاء بني العباس ابان القرن الثالث الهجري
الناسخ للميلاد لم يحددوا وقتا معينا لجبائية الضرائب ، وبخاصة الخراج منها بل

١٠. الصابي : تاريخ الوزراء ، ص ٩٢ .

١١. صبحي الصالح : النظم الاسلامية ، ص ٣٩٠ .

١٢. البيرولي : الاثار الباقية عن القرون الخالية ص ٣١ . وفي ص ٣٣ اورد البيرولي بيتا من الشعر عن علي

بن عبي المترجم في قوله : يوم نيروز لها يوم واحد لا يتاخر
من حزيران يواقي ابدا في احد عشر .

١٣. نفس المصدر السابق .

ان بعضهم كثيرا ما يلجأ الى اجراءات اضطرارية وجبايات مجحفة في حق الزراع « وفرض لها قدرها معلوما على الائمان في الاسواق وعلى اعيان السلم » وهو في ذلك مضطرب لسد نقص بيت المال ، او لتعطية مصاريف بلاطه وحشمه وخدمه واعطياته وهداياه . ففي سنة (٢٨٤ هـ / ١٩٧ م) امر المعتصد بالله باستخراج خراج المواد لستين في سنة واحدة ^١ ، وكثيرا ما يعبر الناس عن ثقل الضرائب وسوء جبائيتها ، بالشغب والوثوب على هذا العامل او ذاك فقد شكا اهل الرى ثقل الخراج الى المأمون فحط منه ^٢ ، ولما تظلم مجاوروهم وطالبو شمولهم بالحط والتخفيف ، رفض وحاربهم وجبا منهم سبعة آلاف الف درهم بعد ان كانوا يتظلمون من الفي الف درهم ^٣ . وشكى الفلاحون ثقل ضريبة الخراج زمن المهتمي قائلين له : « فما معنى اخذنا لسنة لم نبني ^٤ بعمارتها » . وفي سنة (٢٦٦ هـ / ١٩٧٩ م) ، ثب اهل وادى القرى على عامل اسحاق بن محمد فقتلوه ومن معه من العمال ^٥ ، وذلك لثقل الضرائب بها ، وسوء جبائية خراجها .

ذكر التنوخي ^٦ : ان عاما للكوفي طالب اهل الخراج بخراجه فتغير عليه فامر بحرق بابه فاتصل الخبر بال الخليفة فقبض على العامل فضربه على باب المسجد الف سوط . واذاء هذا الظلم فان بعض الناس كان ينتصف لنفسه

١. ابن خلدون : المقدمة ص ٢٨٠ .

٢. الصابي : تاريخ الرزراه ص ١٣ .

٣. مسکوریه : تجارب الامم ، ج ٦ ، ص ٤٦٠ .

٤. ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٣٩٩ .

٥. الطبری : ج ٩ ، ص ٤٠٨ .

٦. ابن الاثیر : الكامل ، ج ٧ ، ص ٣٣٥ .

٧. الترشی : نشور المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٤ .

ولابناء جلدته في سوء معاملة عمال الخراج لهم ، بطرق انتقامية اكثر عملية من مجرد التزمر والشكوى ، كاللجوء الى القتل . فقد روى صاحب الفرج بعد الشدة^{١٠} : ان عملا للخرج اخذ خراجا من بعض الاكرة بالقهر والصفع فشكوا هذا الفلاح ما اصابه الى ابن عمه واحرين من اقاربه ، وتمروا جميعا على قتل هذا العامل .

ووجدت الحركات المناوئة للسلطة العباسية في الظلم الفادح الذي اُثقل كاهل الفتات الكادحة ، سبيلا لاستقطاب تأييد الرأي العام ، كالذى حصل في حركة الزنج والقرامطة والبابكية وغيرها من الحركات التي ظهرت بالعدل وانصاف المظلومين واضمررت باطلا يوصل بها الى غايات دنية لحمتها وسداتها حقد شعوي يشكك بالترااث العربي الاسلامي من خلال تقويض الدولة العباسية .

٣ - الفتنة والازمات :

ان من عوامل تدمير الرأي العام في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي كثرة الفتنة والمنازعات والخصومات السياسية ، والثورات الاجتماعية ، والحركات الدينية والفكيرية ، التي اضعفت بنية المجتمع العباسي ، وفرقت بين الناس ومنها من جلبت عليهم الويل والثبور وعظامها الامور .

آ - الحركات السياسية والاجتماعية :

اولى هذه الفتنة التي شهدتها القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي هي الفتنة بين محمد الامين و אחيه عبد الله المأمون على امر الخليفة ، وقد رافق هذه الوحشة ، نزاع قومي بين العرب والفرس ، وانقسم الرأي العام العباسي الى

^{١٠}. التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ١١٢ .

فريقين : فريق يؤيد الامين وجله من اهل بغداد ، وفريق آخر مع المأمون وجله من الفرس من اهل خراسان الذين انظموا في جيش ، قاده طاهر ابن الحسين وهرثمة بن اعين ، حاصروا به بغداد الى ان ضيّق الامر بالامين عدة وعثادا وما لا ومناصرين ، وضعف جنده عن القتال الا باعنة الطريق والبراءة واهل السجون والابواش والطرازين ، فكانوا ينهبون اموال الناس^(١) . وهو اسلوب يفتقر الى النظام ويعتمد المطامع والمغاذم اساسا ، مما جلب نقاوة الرأي العام البغدادي على هذه الاعمال والقائمين بها بما فيهم الامين نفسه الذي حمله اهل بغداد تبعه اشعال الفتنة بخلعه المأمون وتولية ابنه موسى مع انه صغير السن ولقبه : الناطق بالحق^(٢) . فقد سخر الناس من هذه التولية فقال احد الشعراء^(٣) :

اضاع الخليفة غُشَّ الوزير
وفسقَ الامير وجهلَ المشير
كذاك لعمري خلاف الامور
فهذا يلدوس وهذا يلداس
وابعجَبَ من ذاًذا انسنا
واعجبَ من ذاًذا انسنا
ومن ليس يحسن غسل استه
وماذان لولا انقلاب الزمان
في العِيرِ هذا او في النَّفِيرِ
لقد آل امر الامين الى القتل الشنيع على يد رجل من العجم يقال له
خيري ويه غلام لقرش الدنداني مولى طاهر^(٤) . فكان مقتله طعنة اصابت الرأي
 العام البغدادي المتمثل بكل مناصري الامين من السود الاعظم من الناس

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٧٢ .

(٢) المسعودي : التبية والاشراف ، ص ٣٠٠ .

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٩٨ .

٤- مسکریه : تمارب الامم ، ج ٦ ، ص ٤١٥ .

والعيارين والشطار واهل السوق ، حتى اشاعت العامة من العرب بان الامين لم يقتل وانه حيٌ وانه سيتتصـر لاتباعه^{١٠} ، واكثر الشعراـء في رثائه والتأسف عليه وذم اعدائه وقاتلـيه من آل طاهر وغيرهم^{١١} .

لم ينتهـ الامر عند مقتل الامين بل ان الجنـد من اصحاب طاهر بن الحسين طالبوا بأرزاـقـهم ووثبوا بهـ ولم يكنـ في يدهـ مـا فـضـاقـ بهـ الحالـ حتى هـربـ وانتهـبـوا مـتـاعـهـ واحـرقـوا بـابـ الانـبارـ الذيـ عـلـىـ الخـنـدقـ وـبـابـ البـسـتانـ وـشـهـرـواـ السـلاحـ وـنـادـواـ : يـامـوسـيـ يـامـنـصـورـ وـهـماـ ولـدـاـ مـحـمـدـ الـامـينـ^{١٢} .ـ ماـ يـدـلـ عـلـىـ تـذـمـرـهـمـ وـاحـتجـاجـهـمـ عـلـىـ مـاـ حلـ بـآلـ مـحـمـدـ الـامـينـ ،ـ وـمـاـ آـلـ يـهـ حـاـلـمـ بـعـدـ مـقـتـلـهـ ،ـ وـاستـمـرـ ذـلـكـ إـلـىـ أـنـ اـمـرـ لـهـ طـاهـرـ بـرـزـقـ أـرـبـعـةـ أـشـهـرـ^{١٣} .ـ

لم يقتصر التذمر على بغداد وحدها بل امتد الى مناطق اخرى ، فقد اظهر الخلاف للامامون في سنة (١٩٨ هـ / ٨١٣ م) ، نصر بن شبيث من بنى عقيل يسكن كيسوم شمالي حلب ، وكان في عنقه بيعة الامين وله فيه

^{١٠} الطبرـيـ : جـ ٨ـ ، صـ ٥٠٠ـ .

^{١١} من رثاءـ الحـسـينـ الضـحاـكـ
اذاـ ذـكـرـواـ الـامـينـ نـعـيـ الـامـينـ
فـواـ اـسـفـاـوـانـ شـمـتـ الـاعـادـيـ
تـعـقـدـ عـزـ مـتـصلـ بـكـسـرـىـ
وقـالـ عـمـرـ الـوـراقـ وـهـوـ يـبـيـكـيـهـ وـيـبـحـوـ طـاهـرـاـ :
مـنـ ذـاـ اـصـابـكـ يـاـ بـغـدـادـ بـالـعـيـنـ
يـامـنـ بـخـوبـ بـغـدـادـ لـيـمـعـرـهاـ
وـقـالـ عـمـرـ الـوـراقـ وـهـوـ يـبـيـكـيـهـ وـيـبـحـوـ طـاهـرـاـ :
لـمـ تـكـوـنـ زـمـانـاـ قـرـةـ الـعـيـنـ
اـهـلـكـ نـفـسـكـ مـاـ بـيـنـ الـطـرـيقـيـنـ
(ـ الطـبـرـيـ ،ـ جـ ٨ـ ،ـ صـ ٥٠٣ـ)

^{١٢} مـسـكـوـيـهـ : تـجـارـبـ الـأـمـمـ ،ـ جـ ٦ـ ،ـ صـ ٤١٧ـ .ـ

^{١٣} الطـبـرـيـ : جـ ٨ـ ،ـ صـ ٤٩٦ـ .ـ

هوى ، فلما قتل اظهر نصر الغضب وتغلب على ما جاوره واجتمع عليه خلق كثير من الاعراب ، وقويت نفسه وعبر الفرات الى الجانب الشرقي وحدثه نفسه بالغلبة على المؤمن^١ ، فتوجه اليه عبد الله بن طاهر وحاصره سنة (٢٠٩ هـ / ٨٢٤ م) بكيسوم وضيق عليه مدة خمس سنين الى ان طلب الامان وارسل الى المؤمن سنة (٢١٠ هـ / ٨٢٥ م)^٢ . والامر الجوهرى في حركة نصر انها حركة قومية اتصف للاميين باعتباره عربياً وقد عبر نصر عن ذلك بقوله : « ان هواي في بني العباس وانما حاربهم حسماة على العرب لأنهم يقدمون عليهم العجم^٣ » ، وقوله في ابن طاهر : « ويل عليه هو لم يقوى على اربعمائة ضفدع تحت جناحه يعني الزط ، كيف يقوى على بجلبه العرب^٤ » .

وفي الكوفة اخذ التدمير اسلوباً آخر ، فقد خرج فيها سنة (١٩٩ هـ / ٨١٤ م) ، محمد بن ابراهيم بن اسماعيل الذي يدعى النسب لآل البيت ، ويدعو الى الرضا من آل محمد وقد ناصره مدبر امره ابو السرايا واسمه السري بن منصور^٥ ، وسبب خروجه كما ادعى انتصافه لطاهر بن الحسين بعد ان صرف امره الى الحسن بن سهل بتأثير من الفضل بن سهل وزير المؤمن المتحكم بأمره^٦ . مما اغضببني هاشم في العراق وهاجت الفتنة في الامصار وتبينت آراء الناس ، وقد قتل ابو السرايا سنة (٢٠٠ هـ /

١. ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٩٧ .

٢. نفس المصدر ، ص ٣٩١ .

٣. نفس المصدر ، ص ٣٠٨ .

٤. نفس المصدر ، ص ٣٨٩ .

٥. تاريخ اليعقوبي : ج ٢ ، ص ٤٤٥ .

٦. مؤلف مجهول : العيون والخدائق في اخبار الحقائق ، ج ٣ ، ص ٣٤٥ .

٨١٥ م) ، فطيف برأسه في العسكر ويعث بجسده الى بغداد فصلب نصفين^{٢٠} . وخرج في اليمن سنة (١٩٩ هـ / ٨١٤ م) ، « ابراهيم بن موسى بن جعفر العلوى مظهاً الخلاف للمأمون وقد قتل خلقاً وسباً واخذ الاموال فسمى ابراهيم الجزار^{٢١} » .

وظهر في نفس السنة بمكة الحسين بن المحسن الافطس ، « وكان قد خرج من قبل ابي السرايا ، فأمر بثياب الكعبة فُجردت حتى بقيت حجارة مجردة ثم كساها بشوين وجه بها ابو السرايا من خرزقيق مكتوب عليه اسم ابو السرايا داعية آل محمد اما كسوتها القديمة فقد قسمت بين اصحابه العلوين واخذ جميع ما كان في خزانة الكعبة من مال وصادر الناس وكبس عليهم منازلهم حتى افقر خلقاً^{٢٢} » ، واخرج من بها من ولد العباس واتباعهم بعد ان اخذ جميع مالهم وهرب اكثراً الناس ويبلغ بهم الطمع « الى ان حُكوا الذهب الخفيف الذي في اسفل اساطين المسجد الحرام وقلعوا الحديد الذي على شباك المسجد^{٢٣} » ، ولا بلغتهم مقتل ابو السرايا ، بايعوا محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بالخلافة وسموه امير المؤمنين فأقام شهراً ليس له منها الا الاسم فلم يلبثوا الا يسيراً حتى اقبل اسحاق بن موسى اليهم فقاتلهم حتى هزمهم^{٢٤} وفي بغداد عمد المأمون الى مبايعة علي بن موسى الرضى لولاه العهد وذلك سنة (٢٠٢ هـ / ٨١٧ م) ^{٢٥} ولقبه

٢٠. مسکویه : تجارب الامم ، ج ٦ ، ص ٤١٤ . الفخری في الأدب السلطانية ، ص ١٧٨ .

٢١. مؤلف مجهول : العيون والحدائق ، ج ٣ ، ص ٣٤٧ .

٢٢. مسکویه : تجارب الامم ، ج ٦ ، ص ٤٢٥ .

٢٣. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٤٥ .

٢٤. مؤلف مجهول : العيون والحدائق ، ج ٣ ، ص ٣٤٩ .

٢٥. الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٦ ، ص ١٤٢ .

بالرضي وامر الناس بلباس الخضراء ، وترك السواد ما حدا بأهل بغداد منبني العباس الى مبادرة منصور بن المهدى ولقبوه بالمرتضى^١ . ولما نسغت عن الامر بايع اهل بغداد ابراهيم بن المهدى الاسود ولقبوه بالبارك^٢ ويقال سمي الرضي^٣ . ومن بعده ابن أخيه اسحاق بن موسى بن المهدى^٤ .
 وعظم على الناس امر ترك السواد والتخاذل لباس الخضراء شعارا جديدا ، ووجدوا فيه دسيسة فارسية اوحي بها الى المؤمنون الفضل بن سهل^٥ ، وقالوا لانرض بالمجوسى ابن سهل حتى نطرده^٦ . واجمع الرأى العام الاسلامي سواء منهم من كان في بغداد او في خراسان ومناطق اخرى على كره لبس الخضراء^٧ ، وقالوا للمؤمنون : « تركت لباس اهل بيتك ودولتهم ولبست الخضراء^٨ » . وبالفعل رضي المؤمنون لطالب الرأى العام وعدل عن التخاذل اللون الاخضر شعارا للدولة وخلع على قواده السواد وذلك سنة (٢٠٤ هـ / ٨١٩ م)^٩ .

١.. ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٢ ، ص ٢ . النبراس في تاريخ بنى العباس للكلبي ، ص ٤٦ .

٢.. الذهبي : العبر في تاريخ من غير ، ج ١ ، ص ٣٣٥ .

٣.. الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٦ ، ص ١٤٢ .

٤.. مسکوریه : تماریب الامم ، ج ٦ ، ص ٣٥١ . الكامل لابن الاتیر ، ج ٦ ، ص ٣٢٦ .

٥.. الطبری : ج ٨ ، ص ٥٥٥ .

٦.. العین والحدائق : ج ٢ ، ص ٣٥٢ .

٧.. السيرطي : تاريخ المخلفاء ، ص ٣٠٧ .

٨.. ابن طبلور : بغداد ، ص ٢ .

٩.. الطبری : ج ٨ ، ص ٥٧٥ .

تجبرد الرأي العام للنكير على الفساق والشطار الذين آذوا الناس اذى
 شديدا واظهروا الفسق وقطع الطرق واخذ الغلمان والنساء علانة ، فكانوا
 يجتمعون فيأتون الرجل فيأخذون ابنه فيذهبون به فلا يقدر ان يمتنع^(١) ،
 ويختبئون فيه بالمال او بذهب الولد ، ويأتون القرى وينهبون ما قدروا عليه من مال
 ومتعة راول من تطوع لقتاهم « رجل من ناحية الانبار يقال له خالد الدريوش
 فدعاه جيرانه واهل بيته واهل محلته على ان يعاونوه على الامر بالمعروف والنبي
 عن المنكر فاجابوه الى ذلك وشد على من يليه من الفساق والشطار فمنعهم مما
 كانوا يصنعون^(٢) » . وبعده قام « رجل من اهل الحرية يقال له سهل بن سلامه
 الانصاري من اهل خراسان يكنى ابا حاتم ، فدعاه الناس الى الامر بالمعروف
 والنبي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه وعلق مصحفه في عنقه ثم بدأ
 بتجريمه واهل محلته فأتاه خلق كثير^(٣) » ، وكان في الاسواق وارياضها ومنع كل
 من يخفر ويجببي المارة وقال : « لاخفارة في الاسلام^(٤) » .
 وفي سنة (٢٠٢ هـ / ٨١٧ م) ظفر ابراهيم بن المهدى بسهل بن سلام
 المطوع فحبسه ، لاجتماع عامة اهل بغداد حوله^(٥) .
 اشغل الرأي العام الاسلامي سنة (٢١٠ هـ / ٨٢٥ م) بأمور ثلاثة .

(١) الطبرى : ج ٨ ، ص ٥٥١ .

(٢) الكامل : ج ٦ ، ص ٣٢٤ .

(٣) الطبرى : ج ٨ ، ص ٥٥٣ .

(٤) الكامل : ج ٦ ، ص ٣٢٥ .

(٥) الخفارة انه كان يأتي الرجل بعض اصحاب البساتين فيقول : بستانك في خفري ، ادفع عنه من اراده

بسوه لي في عنقك كل شهر كذا درهما ، الطبرى ، ج ٨ ، ص ٥٥٢ .

(٦) ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ص ٣٤٥ .

فقد قبض فيها على ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب الامام المعروف بابن عائشة وعمر بن ابراهيم الافريقي ومالك بن شاهي ، وغيرهم من كان يسعى لبيعه ابراهيم بن المهدى وكانوا قد اعدوا ، ان يقطعوا الجسر اذا خرج الجندي يتلقون نصر بن شبت^(١) ، فأودعوا سجن المطبق ، ثم انهم شغبوا فيه وارادوا نقض السجن والخروج وانهم دسوا في حرق سوق العطارين والصيارة والصفارين واسواق اخرى في بغداد^(٢) . فأمر المأمون بضرب اعناقهم وصلب ابن عائشة فكان اول عباسي صلب في الاسلام^(٣) . والامر الآخر الذي شغل الرأي العام الاسلامي هو زواج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل لكثره ما صرف على هذا الزواج من مبالغ قدرت بما يزيد على خمسين مليون درهم^(٤) ، والحدث الثالث هو ان احد جند الخليفة قد قبض على ابراهيم بن المهدى وهو متخفيا في زي امرأة^(٥) ، فكان ذلك مدعاه للسخرية والتذمر .

شهد القرن الثالث الهجري حركة بابك الخرمي التي اغارها الرأي العام الاسلامي جل اهتمامه ، وتعاطف معها نفر من الناس لسبب او لآخر ، في حين نقمت عليها جماعة العامة وجمهور المسلمين في بغداد وخارجها ووجدوا فيها خروجا على الدين وضربا من الكفر ، كما وجدت فيها السلطة العباسية دعوة الى الانفصال وتحريضا على تقويض دعائيم اركانها ، واعتبرها العرب رغبة في اعادة ملك فارس . والبابكية : « طائفة من الناس بايعوا رجلا يقال له

(١) الطبرى : ج ٦ ، ص ٣٩٠ .

(٢) ابن طيفور : بغداد ، ص ٩٧ .

(٣) الكامل : ج ٦ ، ص ٣٩٢ .

(٤) ابن طيفور : بغداد ، ص ١١٥ .

(٥) الترشى : الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ٤٨ .

بابك الخرمي ، وكان خروجه في بعض الجبال بناحية اذربيجان في ايام المعتصم ^{٢٠٣} او قبل ذلك ^{٢٠٤} .

والحركة مع انها كما قلنا ، طموح فارسي في تصور العرب ومجاهرة بالانفصال في نظر السلطة العباسية ، ودعوة اباحتية ذات جذور وثنية في رأي المسلمين ، فان قطاعات لا يأس بها من الرأي العام الاسلامي وغير الاسلامي قد تعاطفت مع هذه الحركة ، فالامم الاخرى من غير العرب ولا سيما الفرس ، وجدت فيها خلاصا من الحكم العربي يتبع لهم اعادة امجادهم السالفة .

والامبراطورية الرومانية رأت فيها عامل هدم وضعف للدولة العباسية ، وفرصة قد تمنحهم النصر والغلبة وحصر المد الاسلامي . وهذا واضح في مساعدة امبراطور الروم توفيل بن ميخائيل لبابك . فقد بادر توفيل هذا الى « الایقاع بأهل زبدهم فاسرهم وضرب بلدتهم وسيبي من المسلمات اكثر من الف امرأة » ^{٢٠٥} وذلك عندما ساءت احوال خليفة بابك على يد الجندي العباسى . ويرى الطبرى ^{٢٠٦} : « ان هذا الموقف المعادى رسخ في ذهن المعتصم حرب الروم وفتح حصون عمورية بعد الانتهاء من حرب بابك مباشرة » .

١٦٠. الغزالى : فضائح الباطنية ، ص ١٤ .

١٦١. ذكر ابن الجوزي في كتابه : تلبيس ابليس ، ص ١٠ : « ان خروج البابكية كان سنة ٢٠١ هـ » ، اما المسعودي في كتابه : التنبيه والاشراف ص ٣٠ فقد اعتبر « خروجه سنة ٢٠٠ هـ في خلافة المأمون » .

١٦٢. ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٤٧٩ .

١٦٣. الطبرى : ج ٩ ، ص ٦٧ .

استهوت مبادىء البابكية^(١) ، الدينية والاجتماعية ، عددا من الناس : كما استأثرت باهتمامات قطاعات من الرأي العام الساخط على بعض مظاهر الظلم الاجتماعي والتزمن الدين ، وصمهم الغزالي بالاباحية بقوله^(٢) : « ان لهم ليلة يجتمع فيها رجالهم ونسائهم ويطفئون سرجمهم وشمعوهم ، ثم يتناهبون النساء ، فيشب كل رجل الى امرأة فيظفر بها ويزعمون ان من استولى على امرأة استحلها بالاصطياد ، فان الصيد من اطيب المباحثات » . كما عرفوا بالمرونة والتساهل في اقامة الشعائر والفرائض فهم « يتظاهرون باتيانها ولكتهم لا يصلون في السر ولا يصومون في شهر رمضان ولا يرون جهاد الكفارة^(٣) ». ولما تعاظم امرهم وجه المعتصم « العساكر لمحاربتهم وقبله فعل المأمون سنة (٢١٢ هـ / ٨٢٧ م)^(٤) » ، وكان آخرها « الجيش الذي ارسله المعتصم سنة (٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م) بقيادة الاشين الذي التقى بجيش بابك سنة (٢٢٢ هـ / ٨٣٦ م) ، فهزمه هزيمة منكرة واخذ بابك اسيرا الى المعتصم سنة (٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م) الذي امر بقطع اطرافه وصلبته^(٥) » .

المتابع للأحداث في زمن المعتصم يجد ان خطر الخرمية كان يحدق بالدولة ، وان المعتصم نفسه قد احتاط لهذا الخطر ببنائه سامراء ، قال مرة لابي

(١) « والبابكية ينسبون اصل دينهم الى امير كان لهم في الجاهلية اسمه شروين ويزعمون ان اباهم كان من الزنج وامه بعض بنات ملوك الفرس ويزعمون ان شروين كان افضل من محمد ومن سائر الانبياء » .

- البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٩ . وكذلك لضائع الباطنية للغزالى ص ١٥ - ١٦ .

(٢) الغزالى : فضائع الباطنية ، ص ١٥ .

(٣) البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٩ .

٤٠. ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٤٤١ .

٥٠. المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٥٥ .

الوزير احمد بن خالد : « اشتري بناحية سامراء موضعاً ابن فيه مدينة ، فاني اتخوف ان يصبح هؤلاء الخرمية صيحة فيقتلوا غلمني » . والخرمية وصفهم ابن الاثير « اصحاب ليل » .

وتعتبر حركة الزنج التي قام بها العبيد السود المسخرون للعمل في اقطاعيات البصرة في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ، من الثورات التي استأثرت بأهتمام الرأي العام الاسلامي مدة تزيد على اربع عشرة سنة (٢٥٥ / ٨٦٨ - ٢٧٠ / ٨٨٣) ، وقد دعا لها علي بن محمد الذي ظهر في فرات البصرة مدعياً النسب الى الامام علي (رض) ، وتنقل في البحرين وبغداد وسامراء والبصرة ، وفيها عمد الى راية كتب فيها بحمرة وخضرة الآية : « ان الله اشتري من المؤمنين انفسهم واماولهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله » ، والخذلها شعاراً له ، وكتب اسمه واسم أبيه وعلقها في رأس مرادي وخرج في السُّجَرِ يدعو العبيد السود لمساندته ، فكان اول من اجتمع عليه العبيد الشورجيون « وآخرون وقد جمعهم وكان منهم جيشاً كبيراً هدد به السلطة العباسية .

١٠. الطبرى : ج ٩ ، ص ١٧ .

١١. ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٤٥٩ .

١٢. السامر : ثورة الزنج ، ط ٢ ، ص ٧٢ . ومواضيع اخرى من الكتاب .

١٣. الطبرى : ج ٩ ، ص ١١ .

١٤. سورة التوبة : الآية ١١١ .

١٥. الشورج نوع من الاملاح تقطعي اراضي العراق السبخة ، والعبيد الشورجيون طائفة من الزنج انتشرت حول انهار البصرة وعملتهم جمع الشورج في اكواخ .

السامر : الزنج ، ص ٣٤ .

لقد قاسى الزنج وجند الدولة العباسية الامرين ، حتى ان بعض المؤرخين ، قدر عدد من قتل من كلا الطرفين بـ « الف الف وخمسة الف »^١ ، ولا يهمنا معرفة عدد من قتل بالضبط بقدر ما تهمنا الآثار والنتائج السيئة المتمثلة في الاضرار المادية كالقتل الجماعي والتخريب الشوائي ، وما اصاب الزراعة والتجارة من شلل تترتب عليه عجز في موارد بيت المال وارتفاع في الاسعار وقلة في الاقوات^٢ .

تابع الرأي العام الاسلامي الاحداث التي رافقت حركة الزنج ، وعاشهما بعض الناس وتضرروا منها . في حين عصرت قرائح المجاهين منهم في سب وشتم الزنج واصحابهم ، هذا الشاعر يحيى بن محمد الاسلامي يقول : لما وصله نبأ مقتل صاحب الزنج^٣ :

اقول وقد جاء البشير بوعية اعزت من الاسلام ما كان واهيا
جزى الله خير الناس للناس بعدما ابيح حمام خير ما كان جازيا
وقال يحيى بن خالد مادحا الخليفة ومبركا الانتصار^٤ :
يابن الخلائف من ارومة هاشم والغامرين الناس بالفضائل
افنيت جمَّ المارقين فأصبحوا متلدين قد ايقنوا بزوال
صار الموفق بالعراق فافتزع من بالغارب صولة الابطال

١، ابوالمحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٤٨ . وفي كتاب الفخرى في الآداب السلطانية ،

ص ٢٠٣ ، ذكر عدد القتل بالفلي الف وخمسة الف انسان .

٢، السامر : ثورة الزنج ، ص ١٧٦ .

٣، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٤٤ .

٤، الطبرى : ج ٩ ، ص ٦٦٤ - ٦٦٥ .

وقال اخر يعرف الزنج ساخراً^{٢٠} :
 اين نجوم الكاذب المارق ما كان بالطب ولا الحاذق
 لم تنته حركة الزنج وافكارهم بمقتل صاحبهم وانخذال امرهم ، فقد
 كان لهم بواسطه سنة (٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م) حركة مضادة ، اذ تجمعوا
 وصاحوا : انكلاي يا منصور ! وكان انكلاي والمهلبي وسليمان بن جامع
 والشعراني والحمداني من قواد الزنج ، محتبسين في دار محمد بن عبد الله بن
 طاهر بمدينة السلام ، فلما سمع الموفق بشعبهم ، امر احد غلمانه بضرب
 اعنق زعمائهم المحبوسين^{٢١} .

والباحث في حركات القرن الثالث الهجري الاجتماعية ، لا يغفل
 واحدة من كبريات تلك الحركات التي شغلت المجتمع الاسلامي لوقت طويل
 وعرفت بحركة القرامطة^{٢٢} . واستأثرت باهتمام الرأي العام آنذاك الذي
 انقسم ازاءها بين مؤيد يجد في نحلتهم تساعداً وعدلاً ، ومعارض رماهم
 باللحاد والتآثر بآراء ومذاهب زرادشت ومزدك الفارسية^{٢٣} .

١٠. نفس المصدر ، ج ٩ ، ص ٦٦٤ .

١١. ابن الائير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٤٢١ . الطبرى ، ج ١٠ ، ص ١١ .

١٢. لسميتهم بالقرامطة قولهان : احدهما نسبة الى رجل من خوزستان قد قدم سواد الكوفة ونزل على رجل
 يقال له كرميحة لحمرة في عينيه وهو بالنطية حاد العينين ، والقول الثاني نسبة الى رجل من دعاتهم يقال له
 حدان بن قرمط وهو من سواد الكوفة ويصل الى الزهد ، وقد اخذ تعاليمه من احد دعاة الباطنية .

ابن الجوزي : تلبيس البليس ، ص ١٠١ .

الطبرى : ج ١٠ ، ص ٢٣ - ٢٥ .

١٣. ابن الجوزي : المتنظم ، ج ٥ ، ص ١١٠ .

تسلل القرامطة الى اهوية الناس بطرق وبرامج مغربية ، فقد منوا الناس بأصلاح احوالهم الاقتصادية السيئة ووعدوهم بتوفير الحياة السعيدة والعيش الرغيد وهذا واضح في زعم داعييهم وهو في الكوفة بقوله : « وغرضي ان ادعوا اهلها من الجهل الى العلم ومن الشقاوة الى السعادة وان استنفدهم من ورطات الذل والفقر واملتهم ما يستغنون به عن الكد والتعب »^{١٠} .

وقد بالغ القرامطة في فرض الضرائب العديدة على اتباعهم التي كانت تُحمل الى « بيت الجماعة » وتوزع منه الاموال على المحتاجين من القرامطة حتى لم يبق بينهم فقير »^{١١} .

استمر القرامطة يخرجون هنا وهناك ويدعون لدعوتهم في العراق وبلاط الشام ومصر وبلاط الحجاز ، وكانت تلحق بهم الضربة تلو الضربة على يد جند الخلافة العباسية ، ويرافق ذلك عادة اضرار تصيب السكان الآمنين والمرافق العامة ، فكثيرا ما يرحل الناس عن منازلهم وقراهم اذا سمعوا بقدوم القرامطة كالذى حدث في سواد الكوفة سنة (٢٨٩ هـ / ٩٠١ م) . ولا تخلو حركتهم من اسلوب العنف وهذا ما يؤخذ عليهم الى جانب امور اخرى ، من ذلك ان احد رؤسائهم المدعو ذكره بن مهرويه القرمي ، قد اوقع بقافلة خراسانية تزيد الحج وقتل منهم زهاء عشرين الف رجل واخذ منهم مالا بقيمة الف دينار^{١٢} وذلك سنة (٢٩٤ هـ / ٩٠٦ م) . مما جلب نسمة الرأي العام

١٠. النزالى : فضائح الباطنية ، ص ١٣ .

١١. بندي جوزى : من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، ص ١٦٣ .

١٢. المسعودى : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٧ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٨٦ .

١٣. ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٥٤٩ .

الاسلامي عليهم وطالب الكثير من المسلمين الخليفة بالانتقام منهم .
لم ينته امر القرامطة بـأنتهاء القرن الثالث المجري التاسع الميلادي بل
استمر بعض منهم يدعون لدعوتهم في حين واصل الخلفاء العباسيون على
ملاحقتهم ومطاردتهم .

ب / المنازعات الفكرية والدينية :

تعتبر مخنة القرآن ، من المسائل المهمة التي شغلت الرأي العام الاسلامي
فترة من الزمن وقد بدأت في عهد المؤمن واستمرت في ايام المعتصم والواثق الى
ان « نهى المتوكل عن القول بخلق القرآن والجدل في الكلام »^{١٠} . فقد عمد
المؤمن اول دخوله ببغداد الى جمع الفقهاء واهل العلم فأجتمع اليه منهم اربعون
رجالا ، وجلس يسائلهم في مسائل الشريعة والخلافة ، وتواترت مثل هذه
المناظرات والمناقشات مما يدل على انه « اباح الكلام واظهر المقالات »^{١١} .
وظهر بآراء تختلف آراء علماء اهل السنة وجمهور كبير من العوام ، كالقول
بأفضلية الامام علي (رض) على غيره من الخلفاء ، وهذا الهوى عند المؤمن
ظاهر في توليته العهد لعلي بن موسى الرضا العلوي^{١٢} ، الذي وجد فيه
العلويون ومن شايعهم من المسلمين ، عملاً محموداً يصلح أن يكون أساساً
للتفاهم مع العباسيين .

لقد كان هذه المناظرات نتائج سلبية ادت الى انقسام الرأي العام
الاسلامي وظهور المجادلات الكلامية والمناقعات الدينية ، واستمر هذا الحال

١٠. السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٣٨ .

١١. الخضري : عاضرات في تاريخ الامم الاسلامية - الدولة العباسية - ص ٢١٠ .

١٢. الطبری : ج ٨ ، ص ٥٥٤ .

مدة تزيد على الأربع سنوات الى ان عمد المأمون الى فرض سلطاته وعمم رأيه في ان القرآن مخلوق^{٢٠}.

عندما كتب المأمون الى اسحاق بن ابراهيم والي بغداد من قبله كتابا فيه آيات وأدلة ترجع ماذهب اليه من ان القرآن مخلوق ، وامرها بأمتحان القضاة والمحاذين والفقهاء في ذلك^{٢١}. وارد الخليفة بهذا ان يستطلع رأي الناس ، وبالفعل جمع اسحاق نفرا منهم كبشر بن الوليد وعلي بن ابي مقاتل واحمد بن حنبل وابي الحسين الزبادي وآخرين ، فأجابوا جميعا ان القرآن غير مخلوق ، وان أمينا امير المؤمنين بشيء سمعنا واطعنا كما قال علي بن ابي مقاتل^{٢٢}. ولنأخذ ثوذاً لاجاباتهم .

قال اسحق لبشر بن الوليد « ماتقول في القرآن ؟ فقال : قد عرفت مقالتي لامير المؤمنين غير مرة : قال فقد تجدد من كتاب امير المؤمنين ماترى ، فقال : اقول القرآن كلام الله ، قال : لم اسألتك عن هذا ، مخلوق هو ؟ قال : الله خالق كل شيء ، قال : مالقرآن شيء ؟ قال : هو شيء ، قال فمخلوق ؟ قال ليس بخالق ، قال : ليس اسألتك عن هذا ؟ مخلوق، هو ؟ قال : ما احسن غير ماقتلت وقد استعهدت امير المؤمنين الا اتكلم فيه وليس عندي غير ماقتلت لك^{٢٣} ». فأخذ اسحاق بن ابراهيم رقعة ، كانت بين يديه فقرأها عليه ووقع عليها بشر ، ومثل ذلك فعل مع الآخرين وارسل اجاباتهم الى المأمون كما طلب^{٢٤}.

٢٠. مؤلف عبهرل : العيون والمحاذيق ، ج ٣ ، ص ٣٧٦ .

٢١. تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٤٦٨ .

٢٢. ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٤٢٥ .

٢٣. الطبرى : ج ٨ ، ص ٦٣٧ .

٢٤. السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣١٠ .

كتب المأمون كتابا آخر الى عامله ببغداد : « ان اشخاص سبع نفر منهم محمد بن سعد كاتب الواقدي وابو مسلم مستجلي يزيد بن هارون ويجي بن معين وشهير بن حرب ابو خيثمة واسماعيل بن داود واسماعيل بن ابي مسعود واحد بن الدوزي فاشخصوا اليه فامتحنهم وسألهم عن خلق القرآن فأجابوا جميعا ان القرآن مخلوق فأشخصهم الى مدينة السلام »^{١٠} .

وبعد تسعه ايام ورد كتاب المأمون بالردد على واحد من المعارضين كجا جاء في اجابتهم المحررة في كتاب اسحاق الى المأمون »^{١١} . والملحوظ على اجابات المأمون اسلوب العنف ، والامر باستعمال القوة فيمن نفى التشبه وقال بعدم الخلق فقد جاء في رده على بشر بن الوليد « فإن لم يتتب فأضرب عنقه وابعث الي برأسه »^{١٢} . وعند ذلك اجاب القوم كلهم ، ان القرآن مخلوق الا اربعة وهم : احمد بن حنبل ومحمد بن نوح والحسن حماد سجاده وعبدالله بن عمر القواريري ، فقيدهم وأرصلهم ليبعث الى المأمون فأجاب في اليوم الثاني سجاده وفي اليوم الثالث القواريري واصر احمد بن حنبل ومحمد بن نوح وأمر بارسالهما الى طرسوس فلما كانوا في بعض الطريق بلغهم موت المأمون فردوه الى الرقة ثم اذن لهم بالرجوع الى بغداد »^{١٣} .

استمر المعتصم والواثق في القول بخلق القرآن وامتحان الناس على ذلك فقد امر الواثق بأمتحان اهل الثغور ومن خالف ضرب عنقه »^{١٤} . واشترط لمن يفدى من المسلمين من كان بيد الروم امتحانا ، فمن قال : القرآن مخلوق

^{١٠} ابن طيفور : بغداد ص ١٨٧ .

^{١١} الطبرى : ج ٨ ، ص ٦٤١ .

^{١٢} الكامل : ج ٦ ، ص ٤٢٧ .

^{١٣} ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٧٤ .

^{١٤} مسکوریه : ثمارب الام ، ج ٦ ، ص ٥٣٢ .

فودى به واعطى ديناراً ومن أبى ذلك ترك بيد الروم ..

الذى يهمنا في مخنة القرآن ، انعكاساتها وآثارها على الناس زمان بنى العباس ، فقد تحرك بيغداد سنة (٢٣١ هـ / ٨٤٥ م) قوم مع احمد بن نصر بن مالك بن الهيثم المخزاعي وجده مالك بن الهيثم احد نقباء بنى العباس .. ، وسبب ذلك ان احمد بن نصر كان يغشاه اهل الحديث واظهر الممانعة والخلاف لمن يقول بأن القرآن مخلوق، وناصره في ذلك رجل يعرف بابي هارون السراج وآخر يقال له طالب .. . وانهما اعطيا كل رجل ديناراً واتعدوا مع اصحابهم ليلة الخميس ثلاثة خلت من شعبان ليضرروا بالطبل فيها ويثيروا على الواثق وكان احدهما في الجانب الشرقي من بغداد والآخر في الجانب الغربي .. ، فقد اتفق ان اعطيما فيمن اعطيا رجلاً من بنى اشرس دنانير يفرقانها في جيراهم فانتبذ بعضهم نبيداً واجتمع عدّة منهم على شربه فلما ثملوا ، ضربوا بالطبل ليلة الاربعاء قبل الموعد بليلة فأكثروا ضرب الطبل فلم يحبهم احد فأنكشف امرهم واعترف احدهم وهو عيسى الاعور ، فصيروا في الحبس وحمل ستة منهم الى الواثق وهو بسامرا .. .

ومن نتائج هذه المحنة ماوراء التنوخي .. : « من ان احد المعتزلة في البصرة قال : ان القرآن مخلوق بحضور الغوغاء من العوام ، فوثبوا عليه وحملوه الى نزار الضبي والى البصرة ، فحبسه ، فاجتمع المعتزلة على ذلك وتجمع منهم .. الطبرى : ج ٩ ، ص ١٤٢ .. .

.. ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٠ .. .

.. تاريخ المغوري : ج ٢ ، ص ٤٨٢ .. .

.. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٣٠٤ .. .

.. ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٢١ .. .

.. التنوخي : نسوار المحاصرة ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ .. .

اكثر من الف رجل ويكروا الى باب الامير ، وقال زعيمهم اسماعيل الصفار البصري المعتزلي : اعز الله الامير ، بلغنا انك حبست رجلا لانه قال : ان القرآن مخلوق وقد جئناك ونحن الف وكلنا يقول : ان القرآن مخلوق ، وخلفنا من هذا البلد اضعاف عدتنا يقولون بمقالتنا فاما حبست جهينا مع اخينا او اطلقه معنا ، فاستجاب لهم الوالي لتجنب حدوث الفتنة .

ومن المسائل الدينية التي شغلت الرأي العام واستثارت باهتمامه ونقمته احيانا ، موقف السلطة العباسية من العلميين الذين كانوا كثرة وفي الكوفة في الكرخ ببغداد ، ونواحٍ اخرى^١ ، وقد حاول المأمون ارضائهم والتقرب اليهم عندما عهد بالخلافة من بعده الى علي بن موسى الرضا^٢ ، في حين ان المتوكل قد جاهرهم العداء ونكل بهم وبذلك خالف سيرة اسلافه من العباسيين ، فتلدر من سياساته هذه العامة من اهل بغداد ولاسيما الشيعة الذين جاهروا في شتمه والتعریض به على الحيطان والمساجد^٣ .

وقد يكون هذا العداء الذي ابدأه المتوكل ضد العلميين بين الاسباب التي ادت الى مقتله على يد ابنه المتتصر وان كان بعض المؤرخين قد عزاه بالتخصيص الى البطانة المنحرفة التي احاطت به^٤ .

ويذهب ابن الاثير^٥ الى ان هذه السيئة قد غطت جميع حسنات المتوكل وفي مقدمتها نبيه الناس عن القول بخلق القرآن^٦ . ولما استخلف المتتصر سنة

١. جرونيلام : حضارة الاسلام ، ص ٢٤٢ .

٢. مسکویہ : تمارب الایم ، ج ٦ ، ص ٤٣٦ .

٣. السیوطی : تاریخ الخلفاء ، ص ٣٤٧ .

٤. ابن الطقطقی : الفخری في الاداب السلطانية ، ص ١٩٢ .

٥. ابن الاثیر : الكامل ، ج ٧ ، ص ٥٦ .

(٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) «كُف عن مطاردة آل أبي طالب والبحث عنهم واجاز زيادة قبر الحسين وقبور آل البيت الأخرى وأمر برد فدك إلى ولد الحسن والحسين وأطلق أوقافهم ومنع التعرض لشيعتهم»^{١٠}، وقد لقيت هذه الإجراءات هوى ورضى عند أهل بغداد ولاسيما الشيعة منهم. وقد عبر عن ذلك يزيد بن محمد المهلي بقوله^{١١} :

ذ مساوا زمانا بعدها وزمانا
ولقد بررت السطالية بعدما
بعد العداوة بينهم اخوانا
ورددت الفة هاشم فرأيتمهم
أنست لي لهم وجدت عليهم
حق نسوا الاحقاد والاضنانا
لو يعلم الاسلاف كيف برأيتمهم
لرأوك القتل من بها ميزانا
ومن جاهر بعدائ للسلطة العباسية ، ابو الحسين يحيى بن عمر العلوى
كها يدعى النسب^{١٢} ، الذي خرج الى الكوفة زمن المتوكل ، وفيها اجتمع عليه
جميع الاعراب فأحتوى على بيت ماما ، وفتح سجنها وانحرج من فيها ثم انه
خرج الى سوادها وتبعته جماعة من الزيدية^{١٣} ، كما تولاه أهل بغداد من العامة
وغيرهم من ينسب الى التشيع واصحبوه اكثر من كل من خرج قبله من أهل
البيت ، وايده الجزارون والمساجين من الحرمية^{١٤} . وهكذا فقد حظيت حركة
أبي الحسين برضى بعض المسلمين ، حتى ان احدا من الجزارين لم يحب الى
طلب اخراج المعدنة والغلصمة من جسده ، وتوعدوا من يقدم على ذلك^{١٥} .

^{١٠} المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٣٥.

^{١١} نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ١٣٦.

^{١٢} الطبرى : ج ٩ ، ص ٢٦٦.

^{١٣} مسکوره : لمبارب الامم ، ج ٦ ، ص ٥٩.

^{١٤} ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٥.

^{١٥} الطبرى : ج ٩ ، ص ٢٩٩.

ويقتله والتمثيل به ، عم الحزن في نفوس الناس ، واظهر العوام والخواص السخط والتذمر ، فقد دخل داود بن الهيثم ابو هاشم الجعفري على محمد بن عبد الله وهو في مجلسه يتقبل التهاني ، وقال له : ايهما الامير : انك لتهنا بقتل رجل لو كان رسول الله (ص) حيا لعزي به فلم يرد عليه محمد بشيء فخرج داود وهو يقول^{١٠} :

يابني طاهر كلوه مريئا
ان لَّمْ النَّبِيَّ غَيْرَ مَرِيَّا
ان وَتَرَا يَكُونُ طَلَبَهُ اللَّهُ
لَّمْ لَوْتَرْ نَجَاهَهُ بِالْحَرَى
وقال آخر^{١١} :

بَكْتُ الْحَيْلَ شَجُورًا بَعْدَ يَحْيَىٰ وَبِكَاهَ الْمَهْنَدُ الْمَصْقُولُ
وَبَكْتُهُ الْعَرَاقُ شَرْقًا وَغَرْبًا وَبِكَاهَ الْكِتَابُ وَالتَّنْزِيلُ
وَهُنَاكَ أَحَدَاثٌ مُخْلِيةٌ أَسْتَأْثَرَتْ بِأَهْتَامِ النَّاسِ فِي الْمَسَايِقِ الَّتِي وَقَعَتْ
فِيهَا ، مِنْ ذَلِكَ ظَهُورُ رَجُلٍ بِسَامِرَاءِ سَنَةَ (٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م) يُقالُ لَهُ مُحَمَّدُ
بْنُ فَرْجِ النَّيسَابُورِيِّ الَّذِي زَعَمَ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ^{١٢} . وَكَانَ يَتَرَدَّدُ عَلَى
خَشْبَةِ بَابِكَ وَهُوَ مُصْلُوبٌ ، وَقَدْ اتَّبَعَهُ عَلَى هَذِهِ الْفَضَّلَةِ تِسْعَةً وَعَشْرَوْنَ
رَجُلًا ، وَقَدْ نَظَمَ لَهُمْ كَلَامًا فِي مَصْحَفٍ زَعَمَ أَنَّ جَبَرِيلَ جَاءَ بِهِ مِنْ اللَّهِ^{١٣} .
فَرَفَعَ أَمْرَهُ إِلَى الْمَتَوَكِّلِ فَأَمْرَرَ بِهِ فَضَرَبَ بِالسَّيَاطِيلِ إِلَى أَنْ مَاتَ^{١٤} ، وَجُبِسَ اصْحَابُهُ
وَكَانَ بَيْنَهُمْ شَيْخٌ أَدْعَى النَّبُوَّةَ بَعْدَهُ ثُمَّ انْكَرَهَا بَعْدَ ضَبْرِيهِ^{١٥} .

^{١٠}، ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ١٢٩ .

^{١١}، نفس المصدر السابق .
^{١٢}، الطبرى : ج ٩ ، ص ١٧٥ .

^{١٣}، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٣١٤ .

^{١٤}، الطبرى : ج ٩ ، ص ١٧٥ .

^{١٥}، ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٥٠ .

وذكر الجوزي^{١٠} : ان جماعة من اهل البدع الاعاجم قدموا ببغداد فارتقاوا منابر كانت للعوام فكانوا يقولون : ليس لله في الارض كلام وهل المصحف الاورق وعفصن وزاج ؟ وان الله ليس في السماء فيما زالوا كذلك حتى هان تعظيم القرآن في صدور بعض العوام وصار احدهم يسمع فيقول هذا هو الصحيح ؟ والا فالقرآن شيء يحيى به جبريل في كيس فضيحة الناس بالشكوى من هذا الكفر الصريح .

وانشغل الرأي العام الاسلامي زمن المتوكيل (٢٣٥ هـ / ١٨٤٩) بمشاكل دينية ولدتها سياسة المتوكيل فقد سبق ان ذكرنا انه كان شديد الانحراف عن آلة علي^{١١} ، كما انه ميز النصارى واهل اللمة عن سواهم من الناس بلباس الطيالسة العسلية والزنانير^{١٢} . وبأخذ العشر من منازلهم وان كان المنزل واسعا صير مسجدا^{١٣} . وبابعادهم من الدواوين واعمال السلطان ولا يتعلمون في كتاتيب المسلمين وان يجعل على ابواب دورهم صور شياطين من خشب مسمورة تفرقها عن منازل المسلمين ، وان تسوى قبورهم مع الارض^{١٤} ، فكانت هذه الاعمال مذلة للسخرية وسيما في تذمر الرأي العام باعتبار ان الاسلام دين يؤمن بالتسامح والمجادلة الحسنة^{١٥} .

١٠. صيد المخاطر ، ص ١٩٤٥ .

١١. الفخرى : في الاداب السلطانية ، ص ١٩١ .

١٢. الطبرى : ج ٩ ، ص ١٧١ .

١٣. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٣١٣ .

١٤. ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٥٣ .

١٥. سورة النحل : الآية ١٢٥ .

الفصل الرابع

موقف الرأي العام من المؤسسات العامة

أولاً .. حالة الخلافة.

ا . مسألة الخلافة في نظر الرأي العام الإسلامي.

ب . حالة الخلافة في القرن الثالث الهجري.

ثانياً . موقف الرأي العام من القضايا.

ما من مسألة استأثرت باهتمام الرأي العام الإسلامي منذ وفاة الرسول (ص) ، كمسألة الخلافة ، فمع ان اجماع الصحابة قد انعقد على ضرورة وجود امام يخلف رسول الله ويترلي امور الامة^(١) فانهم اختلفوا في امر تسمية الخليفة اول الامر ثم انعقد اجماعهم اخيراً على بيعة ابي بكر بن ابي قحافة (رض) الذي اجتمع فيه كل صفات العربي المسلم^(٢)؟

ان ما حفل به اجتماع السقيةة من مناقشات واراء وما اعقبه من احداث جاء بالخلفاء الراشدين ابي بكر وعمر وعثمان وعلي (رض الله عنهم جميعاً) على التوالي ، قد دللت على انتصار المبدأ الديمقراطي الذي يمثله مبدأ الشورى الاسلامي والذي احتفظ في ثنایاه ببعض ملامح القبيلة العربية .

ولاجمال لذكر كل التفاصيل والملابسات التي تتعلق بالخلافة الاسلامية ، ولكن الذي يهمنا في هذا الصدد ان مسألة الخلافة قد شغلت الرأي العام اندماك ، وانها اي الخلافة قد شهدت تحولاً جذرياً بانتقال الخلافة الى بني امية ومن بعدهم الى بني العباس . ذلك ان الخلافة بعد الفترة الراشدة قد خرجت من اطارها الاختياري الذي يستلزم بيعة الامة ورضها الى ملكيه وراثية تستند على نظام التوريث الذي ادخله معاوية بن ابي سفيان ذلك ان معاوية قد عهد الى ابنه يزيد في حياته^(٣) وهو ما يتعارض مع مبدأ الشورى الذي اكده الاسلام^(٤) .

(١) الطبرى : ج ٣ ، ٢٠٢ ، كما جاء على لسان ابي بكر في اول خطبة له عند توليه الخلافة .

(٢) القمي : كتاب المقالات والفرق ، ص ٣ .

٢٠. الفخرى : الاداب السلطانية ، ص ٨٥ .

(٤) سورة الشورى : الآية ٣٨ .

حرص الخلفاء المتعاقبون من امويين وعباسين ، على الاخذ بهذا النظام ، بل ان بعضهم بالغوا في تطبيقه فمهدوا بالخلافة لاكثر من واحد من ابائهم كالذى حدث عندما عهد عبد الملك بن مروان لابنه الوليد ومن بعده سليمان^(١) ، « فلما تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك عهد الى عمر بن عبد العزيز ثم من بعده الى يزيد بن عبد الملك^(٢) » ، ومن قبيل ذلك ما عهد به الخليفة المتوكل العباس لأولاده الثلاثة واحدا بعد الآخر وهم المتصر والمعتز والمؤيد^(٣) ، فكان ذلك مدعاة للخصومة والانقسام ، وقد يعهد احدهم لابنه دون أخيه كما يحدث للامين عندما خلع اخاه المأمون وجعلها في ابنه موسى^(٤) ، فكان من نتائج ذلك قيام الفتنة بين الانهرين والتي راح ضحيتها الامين نفسه وانقسم الناس من اهل بغداد الى من هومشائعاً للامين ومؤيداً للمأمون .

وما استحدثه بنو العباس انهم تحالفوا مع الفرس في نشر الدعوة العباسية فلما قدر لهم الفوز بها جعلوا الوزارة من حصتهم^(٥) ، مما مهد لدخول العنصر الاجنبي الفارسي اولاً والتركي فيما بعد . ويحلول سنة (٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) وما بعدها ، اصبح لالترانك دور بارز في الدولة العباسية وبالتدريج تسنموا زمام الامور حتى لم يبق للخليفة الا الاسم والمركز الديني ظاهرياً .

لقد استندت الخلافة العباسية الى نظرية الحق الملكي المقدس (The DL) (Line Right of Kings) اي الحكم بتفويض من الله لا من الشعب ، وهي نظرية

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ، ص ٥٥ .

(٢) الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ١٣ .

(٣) البغوي : تاريخ البغوي ، ج ٢ ، ص ٤٨٧ .

(٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٩١ .

(٥) الفخری : الأداب السلطانية ، ص ١٢١ .

ادخلها الفرس وقد تمثلت بقول المنصور « انما انا سلطان الله في ارضه »^(١) .

ب / حالة الخلافة في القرن الثالث الهجري :

آل الخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري الى الضعف والتدهور واصبحت في نظر الكثير من الناس مجرد منصب اسمي لاسطة فعلية له ، قابل للتغيير والتبدل من وقت لآخر تبعاً لمشيئة الامراء الاتراك اصحاب النفوذ الحقيقي ، وليس للخليفة الا ظاهر السلطة الدينية ، هذه السلطة التي بدأت تدريجياً تفقد تأثيرها السحري في نفوس الناس ، وهوامر اقتضته الصفة الزمنية الغالبة على الخلافة العباسية .

لقد جرت المظاهر الجديدة التي استحدثت او طورت في العصر العباسى ، كنظام الوراثة ، والعهد لاكثر من واحد ، ومظاهر الترف والبذخ والابهة التي لم تكن لتعرفها الخلافة الراشدية ، ودخول العنصر الاجنبى في الحياة العامة ، والمظهر الاخير في نظري اهم كل المظاهر فعالية ، فقد كان لها دور بارز في احتدام الصراع العنصري وفي قيام الفتنة بين الامين والمأمون ، هذه الفتنة التي غذى اوارها الفرس ، فقد قيل ان المأمون « عزم على اجابة الامين في خلع نفسه والموافقة على مبايعة موسى بن الامين الا ان الفضل بن سهل وهو فارسي متندذ خلا بالمأمون وشجعه على الامتناع وضمن له الخلافة وقال هي في عهدي ونهض ابن سهل لاستمالة الناس وضبط الثغور »^(٢) ، وبمحاصرة بغداد من قبل جند المأمون وجلهم من اهل خراسان ، ساءت احوال بغداد وفقد الامين السيطرة على امور الدولة وفي آخر ايامه حاول التودد الى الرأى العام وكسب رضاه ، خطب مرة في جمع من قواه وجنده قائلاً : « فقد علمتم غفلتي كانت ايام الفضل بن الريبع وزير على ومشير فمادت به

(١) حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ، ص ٤٩ .

(٢) الفخرى : الأداب السلطانية ، ص ١٧٣ .

الايات بما زمني من الندامة في الخاصنة وال العامة الى ان نبهتموني فانتبهت
واجتهدت - علم الله - طلب رضاكم بكل ما قدرت عليه واجتهدم - علم
الله - في مساعي في كل ما قدرتم عليه .. . وهو في سجنه قال لصاحب
مظالمه : « لا تقل لوزرائي الا خيرا فما لهم ذنب ولست بأول من طلب امرا فلم
يقدر عليه » . وهي عبارة مصداقه لحال الخلافة في عهده وعهد بعض من
اسلافه . لقد شغلت الفتنة بين الامين والمأمون الرأي العام الاسلامي رحبا
من الزمن ، وكان لها نتائج سيئة جدا على المجتمع الاسلامي وقد سبق ان
اوضحتنا بعض تلك النتائج في مكان سابق من هذا البحث .. .

وصف ابن كثير بغداد سنة (١٩٧ هـ / ٨١٢ م) والفتنة على اشدتها
قائلـاً .. : « والناس في بغداد في قلاقل واهوية مختلفة وقتل وحريق وسرقات
واسطت بغداد فلم يسبق فيها احد يرد عن احد كها هي عادة الفتنة » وفي ذلك
قال احدهم .. .

من ذا اصحابك يابغداد بالعين الم تکوئي زمانا قرة العين
لما تولى المأمون الخلافة رسميا سنة (١٩٨ هـ / ٨١٣ م) كانت بغداد قد
وجئت لما حدث فيها ، ولولا وضوح نهج الخليفة الجديد ومقدراته السياسية

١٠. الطبری : ج ٨ ، ص ١٩٨ .

١١. نفس المصدر ج ٨ ، ص ٤٨٦ .

١٢. يمكن مراجعة ص ١٤٨ وما بعدها .

١٣. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٣٩ .

١٤. نفس المصدر ، ج ١٠ ، ص ٢٣٨ .

واستمالته العلوبيين ببايعة علي بن موسى الرضا للخلافة من بعده^(١) ،
 لاستمرت الفتنة تاريخاً أطول ولكنها نتائج أسوأ ، فقد عرف المأمون بحسن
 معاملته للرعاية ومناظرته للفقهاء منهم وسماع شكوكهم ، وكان يجلس للمناقشة
 في الفقه يوم الثلاثاء ، جاءه مرة رجل عليه ثياب قد شمرها ونعله في يده فوقف
 على طرف البساط وقال : السلام عليكم ، فرد عليه المأمون ، فقال : اخبرني
 عن هذا المجلس الذي انت فيه ، جلسته بأجتماع الامة ام بالغالبة والقهر ؟
 قال : لا بهذا ولا بهذا ، بل كان يتولى امر المسلمين من عقد لي ولاخي فلما صار
 الامر الي علمت انى محتاج الى اجتماع كلمة المسلمين في المشرق والمغرب على
 الرضابين . . . حيطة للمسلمين لي ان يجمعوا على رجل يرضون به فأسلم اليه
 الا فمك اتفقوا خرجت له من الامر ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 وذهب^(٢) ، كما عرف عنه انه كان في بعض الاحيان لايعير اهتماماً للشكوى
 البسيطة ذات الطابع الشخصي وخاصية التي لا يعرف اصحابها ورأيه في ذلك
 ان هذه الصغائر لو اعيرت اهتماماً لتراءكت واصبحت كبائر وجلبت نعمة
 ورأيا عاماً متذمراً ، « رفع اليه ان رقاعاً قد وجدت في طرقات بغداد فيها شتم
 للسلطان فقال : هذا امر ان اكبرناه كثرغمنا به واتسع علينا حرقه وامر
 اصحاب اخباره بتمزيق مثل هذه الرقاع مقى وجدوها قبل ان ينظروا فيها^(٣) .
 وقال لانخيه قبل وفاته : « . . . لاتغفل امر الرعية ، الرعية الرعية ! العوام
 العوام فان الملك بهم ويتعهدك المسلمين والمنفعة لهم الله الله فيهم وفي غيرهم

(١) الفخرى في الأداب السلطانية ، ص ١٧٢ ، ١٧٦ .

(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٢٧ .

(٣) ابن طيفور : بغداد ، ص ٣٧ .

من المسلمين^(١) » .

لقد اظهرت المناظرات التي امر المأمون بعقدها لعلماء بغداد ، تباهي آراء الناس في امور دينية كثيرة^(٢) ، وهو في ذلك يهد للقول بخلق القرآن وقد ذكر انه بادىء الامر عزم على فرض هذه الفكرة على الناس فرضا ولكن الذي حال دون ذلك مشورة له من يحيى بن اكثم ويزيد بن هارون قائلين له : اترك العامة على معتقداتها ولاتدخل في شؤون دينها^(٣) . ومسألة اخرى راعى المأمون فيها رأى الناس واهويتهم وهي انه لما هم بلعن معاوية اشير عليه : بأن العامة لا تتحمل هذا والرأى ان تدع الناس على ما هم عليه ولا تظهر لهم انك تميل الى فرقة من الفرق فان ذلك اصلاح في السياسة واحرى من التدبير^(٤) » « واكتفى المأمون بنزع الماقصير من المساجد الجامعة وقال هذه سنة احدثها معاوية^(٥) » . وبحلول سنة (٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) وبجيء المعتصم الذي كانت امه تركية تدعى ماردة^(٦) ، وميله للعنصر التركي وجمعه ايامه من شتى الامصار بالشراء ويطرق اخرى حتى شكل منهم جيشا وحرسا خاصا يشق بهم ، مما اثار تلمر اهل بغداد لكثره ما كان يحدث بينهم من احتكاكات ومنازعات^(٧) ، حتى ان احد شيوخ بغداد اعترض موكب المعتصم وقال له : « يا ابا اسحاق لاجزاك الله خيرا عن الجوار . جاورتنا مدة فرأيناكم شر جار ، جئتنا بهؤلاء العلوج من غلمانك الاتراك فأسكتنتم بيننا ، فأيتمت بهم صبياننا وأرمليت نساءنا لنقاتلنك

(١) الطبرى : ج ٨ ، ص ٦٤٨ .

(٢) ابن طيفور : بغداد ، ص ٤٢ .

(٣) احمد عبد الجوار الدومي : احمد بن حنبل ، ص ١١٦ .

(٤) ابن طيفور : بغداد ، ص ٥٠ .

(٥) تاريخ البغدادي : ج ٢ ، ص ٤٦٨ .

(٦) المسعودي : التبيه والاشراف ، ص ٣٠٥ .

(٧) سبق ان اوضحتنا ذلك في مكان سابق من هذا البحث ص ١٢٩ وما بعدها .

بسهام السحر يعني الدعاء^(١) » ، فايقن المتصنم ما آلت اليه الاحوال ووجد من الصلاح الابتعاد بجنده الاتراك ، فلنجا الى بناء سامراء واسكتنهم متخدنا منها حاضرة للدولة العباسية بدل بغداد ، ولم يكن ذلك الا حلا مؤقتا لم يرتبه اهل بغداد وخاصة العرب منهم الذين اعتبروه مناصرة للاتراك . وخر وجا عن تقاليد الدولة .

تدخل الاتراك بصورة فعلية في شؤون الدولة وفي امر اختيار الخليفة وذلك بعد وفاة الواثق الذي لم يعهد بالخلافة لاحد ، مما مهد للامراء الاتراك فرصة مبايعة المتوكل ، فقد روى الطبرى انه لما توفي الواثق سنة (٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م) ^(٢) : « حضر الدار احمد بن ابي دؤاد وايتاخ ووصيف وعمر بن فرج . . . واخرون فعزموا على البيعة لمحمد بن الواثق وهو غلام امرد فالبسوه دراعية سوداء وقلنسوة صافية فاذا هو قصير فقال وصيف : اما تتقون الله ، تولون مثل هذا الخلافة وهو لا يجوز معه الصلاة الى ان جيء بمعطف المتوكل وهو خائف ان يكون الواثق لم يمت بعد الى ان رأه بعينيه مسجى ثم البسه بن ابي دؤاد الطويلة وعمه وقبله بين عينيه وقال : السلام عليك ياامير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، واختاروا له لقب المتوكل^(٣) » : وقد وصفت ايام المتوكل بالامن والرخاء ، فقد اسقط المكوس ونشر العدل ورفع الظلم عن الرعية وفي ذلك يقول المعتز .. :

اما ترى ملك بني هاشم عاد عزيزاً بعدهما ذلا
يا طالبأً لملك كنْ مثله تستوجب الملك والا فلا

(١) الفخرى : الأداب السلطانية ، ص ١٨٨ .

(٢) الطبرى : حد ٩ من ١٥٤ .

(٣) الطبرى : حد ٩ من ١٥٥ . الخطيب البندادى : تاريخ بغداد حد ٧ من ١٦٥ - الكتاب العربى .

.. السيروطى : تاريخ الخلقاء ، ص ٣٥٨ .

ونهى عن الكلام في القرآن واطلق من كان في السجون من أهل البلدان ومن اخذ في خلافة الواثق فأطلق سراحهم جميعا حتى انه عهد الى بعضهم بالوظائف « فقد ولی يحيى بن خاقان ديوان الخراج وموسى بن عبد الملك ديوان الضياع وكانا محبوبين » . وغالب بعضهم فأعتبره ثالث الخلفاء بعد ابي بكر وعمر بن عبد العزيز » ولم يؤخذ عليه الا عداوه لآل البيت ومطاردته » لم و مع ما عرف به عهد المتكول من رخاء وأمن الى حد ما » ، فان انقسام الامراء الاتراك على انفسهم بين مؤيد لل الخليفة ومعارض له وكان من بين الاخرين ابنه المتتصر » ، الذي تمكن ويساعد القاعدة الاتراك من قتله شر قتله سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) فانتقلت الخلافة الى ابنه المتتصر محمد بن جعفر » ، ويحلول هذا منيت الخلافة العباسية باكثر من طعنة وقد اقتلتها الاحداث المترکرة التي ان دلت على شيء فاما تدل على ضعف هيبة الخليفة وسيطرة الامراء الاتراك على زمام الامور ، اما دعواهم بالحرص على الخلافة ، وتظاهرهم بالانقياد لامر الخلفاء ، فلم يكن منهم الا بجامعة لشاعر واحاسيس الرأي العام الاسلامي ، ولعل ماقاله المعتز من شعر يوضح الصورة التي وصلت اليها الخلافة » .

١٠. تاريخ البغدادي : ج ٢ ، ص ٤٨٤ .

١١. الخطيب البغدادي : / تاريخ بغداد ، ج ٧ ص ١٧٠ .

١٢. الفخری (الأداب السلطانية ، ص ١٩١-١٩٢ .

١٣. السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٦٩ .

١٤. الفخری : الأداب السلطانية ، ص ١٩٢ .

١٥. المسعودی : التنبیة والاشراف ، ص ٣١٤ .

١٦. السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٦٩ . في تاريخ الوزراء للعباس ص ٢٤١ ذكر الشطر الاول من البيت « خليفة مقسم ... » ولم يذكر قائله وفيین قيل .

وفي مروج الذهب ج ٤ ، ص ١٤٥ ان هذين البيتين في المستعين بالله ولم يذكر اسم قائلها .

خليفة في قفص بين وصيف ويغا
 يقول ماقلا له كما تقول البابغا
 هذه الحال السيئة لم ترض الخليفة المستعين بالله نفسه ، فلما لم يجد
 وسيلة لا يقف تدخلات الاتراك في شؤون الدولة عمد على الهرب الى بغداد ،
 فلحق به بعض امراء الاتراك يعتذرون اليه ويطلبون منه العودة فلم يجبهم الى
 ذلك وقال لهم قوله المعروف « انتم اهل بغي وفساد واستغلال
 للنعم » فعمدوا الى اخراج المعز بالله من السجن وعاهدوه على قتال
 المستعين وانخذ البيعة منه ، ازاء ذلك انقسم الاتراك ، من كان منهم في بغداد
 مع المستعين ومن كان في سامراء مع المعز ، وجرت بين الفريقين وقفات ، قتل
 في وقعة واحدة منها نحو الأربعين ألف من البغدادية ، حتى ضعف امر
 المستعين وتخل عنده اقرب الناس اليه كمحمد بن عبد الله بن طاهر ، فأضطر
 الى قبول الصلح وخلع نفسه سنة (٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م) ، فباعوا المعز
 بالله أبا عبد الله بن محمد بن التوكيل ورضوه خليفة ، وفي ذلك قيل : «

ان الامور الى المعز قد رجعت والمستعين الى حالاته رجعا
 اندفع المعز بالله راغبا في اصلاح امور الدولة واعادة هيبة الخلافة ،
 خطب مرة في جماعة بعد توليه : « اما تنتظرون الى هذه العصابة التي ذاع
 نفاقهم وغار شاؤهم ، المجمع الطعام وال اوغاد الدين لامسكة بهم ولا اختيار

١٠. الطبرى : ج ٩ ، ص ٢٨٣ .

١١. الذهبي : العبر في خير من غير ، ج ٢ ، ص ٢ .

١٢. المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٦٢ .

١٣. الطبرى : ج ٩ ، ص ٢٨٣ .

١٤. المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤٠ ، ص ١٦٩ .

لهم ولا تمييز معهم ، قد زين لهم ت quam الخطا سوء اعماهم . . . ولا يصلح الا
 رجل قد تكاملت فيه خلال اربع : حزم . . . وعلم . . . وشجاعة . . .
 وجود^(١) » ، فلما احس الاتراك بنواياه هذه تحججوا عليه قائلين : اعطنا
 ارزاقنا ، وهم يعرفون مسبقا خلو يديه وافلاس خزانته ، فثاروا عليه وقتلوه
 بالدبابيس^(٢) ، وفي ذلك قال الشعرا وهم يعبرون عن لسان حال الناس^(٣) :
 قتلوه ظلماً وجوراً فالفوه كريم الاخلاق غير جزوع
 اصبح الترك مالكي الامر والعا لم ما بين سامع ومطيع
 بقتل المعتر بالله بوعي المحتدي بالله ابو عبد الله محمد بن الواثق ، وقد
 كان « احسن الخلفاء مذهبها واجلهم طريقة وسيرة واظهرهم ورعا ، وجلس
 للظلم وتشبه بعمر بن عبد العزيز^(٤) » ، وفي عهده تبرم بابك التركي وكان
 كلوما غشوما فأمر المحتدي بقتله^(٥) ، فشبغ عليه الاتراك وهاجوا وأخذوه اسيرا
 وعدبوه ليخلع نفسه فلم يفعل فخلعوه وقتلوه سنة (٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م)^(٦) .
 استمرت الخلافة العباسية على هذا المنوال ، العوبة بيد الامراء الاتراك
 يولون ويعزلون من شاعوا ، وقد انتعشت الخلافة بصورة مؤقتة بين سنة
 (٢٥٦ - ٢٩٥ هـ / ٨٦٩ - ٩٠٧ م) وهي الفترة التي تشمل خلافة المعتمد

(١) الطبرى : ج ٩ ، ص ٣٦٦

(٢) الذهبي : العبر في خير من غيرج ٢ ، ص ٩ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٧٩ .

(٤) الفخرى : الأداب السلطانية ، ص ١٩٩ .

(٥) النبراس في تاريخ بنى العباس ، ص ٨٨ .

(٦) الطبرى : ج ٩ ، ص ٤٦٢ .

والمعتضد والمكتفي^(١) .

وصف المعتمد على الله ابو العباس احمد بن الم توكل بالضعف وكان « هو واحوه الموفق طلحه كالشريكين في الخلافة ، للمعتمد الخطبة والسلكة والتسمي بأمرة المؤمنين ولاخيه طلحه الامر والنهي وقد العساكر ومحاربة الاعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والامراء^(٢) » ، وقد تمكن عليه اخوه ابو احمد الموفق وضيق عليه حتى انه احتاج في بعض الاوقات الى ثلاثة دينارا فلم يجد لها ف قال يصف حاله^(٣) :

اليس من العجائب ان مثلي يرى ما قبل متنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه
اليه تحمل الاموال طرا ويمنع بعض ما يحبى اليه
ومن بعده « بويع المعتضد بالله ابو العباس احمد بن الموفق طلحه بن
الم توكل سنة (٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) ، والدنيا خراب والثغور مهملة^(٤) » ، حتى
انه لم يجد في بيت المال غير سبعة وعشرين درهما زائفة فلما عمرت على يديه ،
لحسن سياساته الاقتصادية وتقديره ، صار دخل المملكة يزيد على الف الف
دينار في كل سنة .. ، ولما مات وجد في بيت المال بضعة عشر الف الف دينار^(٥) .
اهتم المعتضد برأي الناس فيه وفي امور دولته وكان يستطلع ذلك

(١) صبحي الصالح : النظم الاسلامية ، ص ٢٧١ .

(٢) الفخری : الأداب السلطانية ، ص ٢٠٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٤٥٥ .

(٤) الفخری : الأداب السلطانية ، ص ٢٠٦ .
.. الحصان : الحسبة ، ص ٧١ .

.. ابن الجوزي : المستنظم ، ج ٥ ، ص ١٣٦ .

بنفسه ، روى الصابي^١ : ان ابا الطيب احمد بن اسماعيل قال : مضيت يوما على الرسم الى الديوان اذ لحقني فارس وسائلني عن مذهب الوزير الفلاي وعما يقوله الناس في تصرفات موظفي الدولة وهو يبين بعض مثالبهم ويريد رأيي . فقلت له : على احسن ما يرام ، فلما انصرف عرفت انه الخليفة المعتصم . وذات مرة طرق سمعه ، ان قطاناً قال في السوق : ليس للمسلمين ناظر في امورهم : فأستدعاه المعتصم قائلا له : فاين انا وأي شغل شغلي ؟ قال : يا امير المؤمنين انا رجل سوقي لا اعرف غير الغزل والقطن ، ومخاطبة النساء وال العامة ، ولم اقصدك بل قصدت المحتسب^٢ ، وفسر المعتصم اهتمامه في امور بسيطة كهذه قائلا : مثل هذا اذا انتشر على السنة العوام تلقفه بعضهم عن بعض وتبهروا عليه وتربيوا على قوله حتى يصير منهم كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد يولد تذمرا في نفوسهم على السياسة والدين فتشعر الفتنة على السلاطين^٣ .

وقد كره الناس شدته ، وتذمر العامة منه بعد ان امرهم بلزم اعمالهم وترك الاجتماع ومنع القصاص من القعود على طرقات بغداد ومحالها واسواقها ، ومنع اهل الفتيا وغيرهم من القعود في المساجدين وطرد الباعة من رحابها هذا ما كان قد عقد العزم عليه حتى انه قال اذا تحركت العامة او نطقـت وضعت سيفي فيها^٤ ، ومن شدة حرصه وتقديره انه ذات ليلة نادمه ابن حدون

١، الصابي : تاريخ الوزراء من ٢٠٦.

٢، المخسان : الحسبة من ٧١.

٣، نفس المصدر ، ص ٧٢.

٤، ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٤٨٦ .

فأضحكه وادخل الخبرور الى قلبه فدفع اليه المعتضد دينارا واحدا^{١٠} . ومع استحسان الناس لسيره المعتضد بالله كطابع عام يميز سياسته ، فان هناك بعض السلبيات التي اغضبت الرأي العام محليا وعلى نطاق اوسع وقد سبق ان ذكرنا بعضها منها خلال البحث .

تلمرت العامة سنة (٢٨٤ هـ / ١٩٧ م) مطالبة بإقامة الخد على اهل الفساد والكفر ، وقد روی^{١١} : ان خادما اسمه وصيف قد ادخل السجن بحجة انه شتم الرسول (ص) فاجتمع ناس من العامة ومضوا الى باب السلطان فلقىهم ابو الحسين بن الوزير فصاحوا به فأعلمهم انه قد اتني خبره الى المعتضد فكذبوا واسمعوه ماكره ووثبوا بأعوانه ورجاله ومضوا الى دار المعتضد بالشريعة فاسمعوا الخليفة ماتلمرموا من اجله مباشرة ، وهم في ذلك لا يطالبون بإقامة الخد على هذا الخادم وحده بل على اهل الفساد قاطبة .

ولما « إستربا المعتضد بغداد وكان يرى دخان الاسواق يرتفع ويقول ، كيف يفلح بلد ينالط هواءه هذا فامر ان لا يزرع الارز حول بغداد ولا يغرس التخل^{١٢} » ، مما جلب عليه نسمة اهلها ساكني هذه الاحياء الذين يمتهنون هذه الزراعة .

وعندما اراد بناء قصر فوق الشماسية ببغداد ابتعاد ما للناس هناك من الدور قسرا فتذمر البغدادية منه عموما وسكنة الشماسية خصوصا حتى قال الناس : « ما احدث المعتضد شيئا يخالف الحق كأنخد دور الشماسية واجبار

١٠ ابن الجوزي : الاذكياء ، ص ٣١ .

١١ الطبری : ج ١٠ ، ص ٥٢ .

١٢ ابن الجوزي : المتظم ، ج ٥ ، ص ١٤٤ .

اهلها على البيع^(١) » .

بوبع للخلافة بعده المكتفي ابو محمد علي بن المعتصم ، وقد صرف المبالغ الطائلة في سبيل الحصول على بيعة الجندي الاتراك له فقد ارسل مبلغ عشرة الاف درهم الى بدر غلام المعتصم ليصرفها على اصحابه ليضمن بيعتهم له ، وخلع على القواد وكانوا نيفاً وثلاثين ، خلعاً واعطى كل منهم مائة الف درهم^(٢) . وفي زمانه ظهر القرامطة « وهم قوم من الخوارج خرجوا وقطعوا الدرب على الحاج واستأصلوا شأفتهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد حاربهم المكتفي فاوقع بهم^(٣) » .

ونحن نذكر حالة الخلافة العباسية ابان القرن الثالث الهجري ، لابد لنا ان ننوه الى سمة بارزة للخلافة العباسية تمثلت في مظاهر البذخ والصرف الطائل والترف ، والانغماض في اللهو والملذات من قبل الخليفة وحاشيته من ضمه بلاطه الواسع ويتجده ذلك الى وزرائه وبعض القادة والامراء . واذا اخذنا بنظر الاعتبار والختمية وجود طبقات مسحوقه تعيش حياة الفاقه والفقر ادركنا حالة التدمير والفسخ الذي كان عليه الرأي العام المتمثل في العوام من الناس .

وليس ادل على حياة البذخ التي كان عليها خلفاء بني العباس في هذا القرن الذي نحن بصدده من مظاهر الابهة والصرف التي احاطت زواج المأمون ببوران من عطايا ونفقات وولائم وحلبي ، فقد بلغ ما « اتفقه الحسن بن سهل خمسين مليون درهم »^(٤) وقابلة المأمون « بآن وله عشة ملايين درهم وقيل

(١) ابن الجوزي : المستنظم ، ج ٥ ، ص ١٤٥ .

(٢) الطبرى : ج ١٠ ، ص ٨٩ .

(٣) الفخرى : الأدب السلطانية ، ص ٢٠٨ .
.. الطبرى : ح ٨ ، ص ٦٠٨ .

مليون دينار واقطعه فم الصلح ” . وروى ابن طيفور^١ : « ان بعض الزهاد نظر الى بناء المأمون وابوابه فصاح : واعمراه ، فسمعه المأمون فأمر بحضوره وقال له : ما احوجك الى ان قلت ماقلت ؟ قال : رأيت آثار الاكاسرة وبناء الجبارية فقال له المأمون : أفرأيت ان تحولت من هذه المدينة فنزلت ايوان كسرى بالمدائن كان لك ان تعيب نزولي هناك ؟ قال : لا ، قال : فاراك اثنا عبت اسرافي في النفقة ؟ قال : نعم ، قال : فلو وهبت قيمة هذا البناء ، كنت تصبح به كما صحت الان ؟ قال : لا ، قال : وقد بلغت النفقة عليه ثلاثة آلاف الف وهو ضرب من مكاييدتنا الاعداء » . ولما اعذر المتوكل ابنه المعتز جعل الدنانير والدر衙م اكواها يأخذ منها من يشاء ” ، حتى « بلغ ماصرف بست وثمانين مليون درهم ونيف ” . وبين لابنه هذا قصرا في قادسية سامراء بمبلغ خمسة وعشرين مليون درهم ” وغير ذلك امثلة كثيرة جتنا على بعض منها بشيء من التفصيل عند ذكر طبقة الخاصة في مكان سابق من هذا البحث . ولا سبيل لنا الان في اعادته ، الا ان الذي نتوخاه من كل ما ذكرناه الان وماسبق ان فصلناه هو ان حياة الترف التي كان عليها خلفاء بني العباس ووزراؤهم والامراء الاتراك ابان القرن الثالث الهجري جلبت عليهم النقمـة والتدمـر وما حركـات الشـعب والحوادـث الـيـومـية والـثـورـات الـاجـتمـاعـية واـشـعـار السـخـرـية وما الى ذلك الا دليل على هذا التـدـمـر .

^١ ابن الزيـر : المـخـاـئـرـ وـالـتـحـفـ ، صـ ١٠٠ . فـي ثـمـارـ القـلـوبـ ذـكـرـ الثـعـالـبـيـ « المـلـحـ بـارـبـعـةـ الـافـ دـيـنـارـ » صـ ١٦٦ .

ابن طـيفـورـ : بـغـدـادـ ، صـ ٣٩ .

الـثـعـالـبـيـ : لـطـائـفـ الـعـارـفـ ، صـ ١٢٢ .

ابن الـزـيـرـ : المـخـاـئـرـ وـالـتـحـفـ ، صـ ١١٩ .

نفسـ المـصـدـرـ ، صـ ١٢ .

ثانيا - موقف الرأي العام من القضاة :

بتطور المجتمع الاسلامي تبلورت مهمة القضاة الى ان اصبح مؤسسة اجتماعية لها مساس مباشر بآحاسيس ومشاعر الجماهير ، يلجأ اليه المظلومون ويتحكم عنده المتخاصمون ، ومن هنا كان اهتمام السلطة الاسلامية بأصلاح هذه المؤسسة ووضع آداب وصفات وحدود اشتراط توفرها في من يوكل له القضاء وللسنول والخلفاء الراشدين اليد الطولى في هذا المجال .

حافظ القضاة على هيبته واستقلاله بعيدا عن السياسة وميول الحاكمين زمن الراشدين وفي عهد بعض الخلفاء الامويين ، اما العصر العباسي ، فقد استجدت امور كثيرة على القضاة منها ، تأثره بالسياسة وابتعاده عن روح الاجتهاد في الاحكام وذلك لظهور المذاهب ، فكان القاضي في العراق يحكم وفق مذهب ابي حنيفة ، وفي الشام والمغرب وفق مذهب مالك ، وفي مصر وفق المذهب الشافعى^(١) .

ابنudge العباسيون منصب قاضي القضاة الذي يشبه الى حدما منصب وزير العدل اليوم ، وكان يعين في الولايات قضاة ينوبون عنه ، كما شهدت بدايات القرن الثالث الهجري ، اتساعا في سلطة القضاة ، فبعد ان كانوا ينظرون في القضايا المدنية والجنائية ، اصبح يفصل في الدعاوى والاقاف وتنصيب الاوصياء ، وفي بعض الاحيان قد تضاف اليه الشرطة والمظالم والقصص والمحسبة ودار الضرب وبيت المال . وكان لكل ولاية قضاة يمثلون المذاهب المختلفة ، والعادة ان يكونوا اربعة يمثلون المذاهب الاربعة المعروفة ينظر كل منهم في النزاع الذي يقوم بين من يديرون بعقائد مذهبهم^(٢) .

(١) حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ، ص ٢٨٠ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٨١ .

القضاء شأنه شأن اية مؤسسة اجتماعية اخرى يتأثر تأثرا شديدا في
 الدرجة الاولى بأمررين اوهما : الاوضاع السياسية التي عليها الدولة ، وثانيهما
 شخصية القاضي او الحاكم نفسه فسيرته الحسنة او السيئة تجده لها تطبيقا عمليا
 في ممارسته ومناظراته للناس المتخاصمين والمتظلمين ، وتنعكس مساوىء
 القضاء على مشاعر الرأي العام لما له من مساس في حياة الجماعة ، ويعبر
 الشعب عن سخطه ورضاه بالشعر وهو الاكثر تداولا او بالنادرة والحكاية وقلما
 يلجأ الى اساليب العنف ومرد ذلك ان ظلم القاضي ينحصر في اغلب الاحيان
 بفرد او افراد قلائل ويكون نتيجة ذلك رأي متذمر فردي ومؤقت يزول السبب
 والمسبب ، ذكر ان « رجلين تنازعا بباب الجسر ، احدهما من العظيماء ، والآخر
 من السوقه ، فقنع الذي من الخاصة الذي من العامة ، فصاح العامي :
 واعمره ذهب العدل فلما رفع امرهما الى المأمون انصفهما^(١) ». وركب المأمون
 بالشمامية وخلف ظهره احمد بن هشام فصاح به رجل من اهل فارس : الله
 الله يا امير المؤمنين فان احمد بن هشام ظلمني واعتدى علي فقال : كن بالباب
 حتى ارجع ، وقال لابن هشام : انصفه والا تعرضت للعقاب^(٢) . وكان من
 عادة المأمون ان يجلس للمظالم يوم الاحد ، تظلمت امرأة الى المأمون ، فقال لها
 من خصمك ؟ فقالت القائم على رأسك العباس ابنك ، فأمر بجلاسها معا
 وسماع مظلمة المرأة واجاب شكوكها^(٣) .

ومع ما عرف عن المأمون من سيرة حسنة ورعاية مؤسسات الدولة ، فان
 القضاء لن يسلم من المطاعن ، سخر الرأي العام البغدادي من قاضٍ ولاه

(١) ابن طيفور : بغداد ، ص ٣٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٦ .

(٣) الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ٨٥ .

المأمون عسکر المهدی اسمه بشر بن الولید فی شعر منه^(١) :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُسْوَدُ رِبِّهِ قاضِيكَ شَرُّ بْنُ الْوَلِيدِ حَمَارٌ
 يَنْفِي شَهَادَةَ مَنْ يَدِينُ بِمَا بَهَ نَطَقَ الْكِتَابُ وَجَاءَتِ الْاثَارُ
 وَيَعْدُ عَدْلًا مَنْ يَقُولُ بِأَنَّهُ شَيْخٌ يَحْيِطُ بِجَسْمِهِ الْاِقْتَارُ
 وَمِنَ الْمُثَالِبِ الَّتِي رَافَقَتِ الْقَضَاءَ فِي بَدَائِيَاتِ الْقَرْنِ الْثَالِثِ الْهِجْرِيِّ ،

مَانِسِبُ إِلَى بَعْضِ الْقَضَاءِ مِنْ انْحِرَافَاتِ خَلْقِيَّةٍ ، وَلَعْلَ يَحْيَى بْنُ اَكْشَمَ^(٢) قاضِي
 الْمَأْمُونِ الْمُعْرُوفُ كَانَ مُحَورُ هَذِهِ الْاِتَّهَامَاتِ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّعَالِيُّ^(٣) : « اَنَّهُ كَانَ
 اَذَا رَأَى غَلَامًا يَفْسُدُهُ وَقَعَتْ عَلَيْهِ الرُّرْعَدَةُ وَسَالَ لِعَابَهُ وَيَرْقَ بِصَرِّهِ وَكَانَ
 لَا يُسْتَخَلِّمُ فِي دَارِهِ اَلْمَرْدُ الْمَلَاحُ وَيَقُولُ : قَدْ اَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى اَهْلَ جَنَّتِهِ بِأَنَّ
 اَطَافَ عَلَيْهِمُ الْغَلْمَانُ فِي حَالٍ رَضَاهُ عَنْهُمْ لِفَضْلِهِمْ عَلَى الْجَهْوَرِيِّ فِيمَا بَالَّى لَا
 اَطْلَبَ هَذِهِ الزَّلْفَى وَالْكَرَامَةِ فِي دَارِ الدُّنْيَا مَعْهُمْ ». هَذَا الشَّذْوَذُ ، كَانَ مَدْعَةً
 لِسُخْرِيَّةِ الرَّأْيِ الْعَامِ الْاسْلَامِيِّ لِشَيْوَعِ صِيَّتِهِ فِي اَكْثَرِ بَقَاعِ الدُّولَةِ ، وَقَدْ قِيلَ فِيهِ
 شَعْرٌ بَرْبَدِلَقَ عنْ مُشَاعِرِ النَّاسِ تَجَاهَ الْقَضَاءِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اَحَدِهِمْ^(٤) :
 لَا اَفْلَحَتْ اَمَّهُ وَحْقُهُ هَذَا بَطْوُلُ لَعْنِ وَطْوُلِ اَتْعَاسِ

(١) ابن الأثير : ج ٦ ، ص ٣٨٦ .

(٢) اصله من مرو وقد اتصل بالmAمون ايام مقامه بها وصحبه الى بغداد ، فأصبح من اقرب الناس اليه ،
 وكان متقدما في الفقه وأداب القضاة وقد ولاه قاضي القضاة وامر بالا يمحى عنه ليلا ولا نهارا .

« الشعالي : ثمار القلوب ص ١٥٦ »

وقبل ذلك ولي قضاء البصرة قبل تأكيد الحال بيته وبين mAمون .

« المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢١ .

« الشعالي : ثمار القلوب ، ص ١٥٦ .

(٤) ابن طيفور : بغداد ، ١٦٩ .

ترضى يحيى يكون سائتها وليس يحيى لها بسواس
ما أحسن الجور ينقضى وعلى الناس أمير من آل عباس^١
وعبر ابن أبي نعيم عن مشاعر اهل البصرة عندما كان يحيى قاضيا فيها
فائلًا :^٢

ياليت يحيى لم يلده اكثمهُ ولم تطأ ارض العراق قدمهُ
واشترط الواثق في قضاته ان يكونوا على مذهب الدولة عندما شكا اليه
أهل البصرة سنة (٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م) ، في قاضيهم الذي عاكسهم في القول
بخلق القرآن^٣ ، ومنهم من بالغ في امر فرض مذهبة على الناس قسرا ، فقد
كان عبد الرحمن بن زيد بن حنظلة المخزوفي قاضي مكة ، « خبيث الرأي
يتحن الناس ويخيفهم ويقيم كل جمعة اسود ينادي حول المسجد الحرام :
القرآن مخلوق وكلاما غيره مع انه قليل العلم شديد العصبية^٤ » .

١، ذكر هذا البيت في مروج الذهب للمسعودي ج ٤ ، ص ٢٢ : « ما احب الجور ينقضى وعلى الامة وآل من آل عباس » . وفي الاذكياء لابن الجوزي ، ص ٩٨ ذكر
« لاحب الجور ينقضى وعلى الامة وآل من آل عباس » . وفي ثمار القلوب للتعالibi ، ص ١٥٨ ذكر
صدر البيت : « ما ان ارى الجور ينقضى » .

٢، المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٢ . اخبار الفضة لوكيع ، ج ٢ ، ص ١٦٣ .

ايضا ابن طيفور في كتابه بغداد ص ١٧١ - ١٧٠ الذي ذكر هذا البيت ضمن قصيدة طويلة .

(٣) كعيج: المبار القصاء ، ح ٣ ، ص ١٧٥

(٤) المصدر نفسه ، ح ١ ، ص ٢٦٨

وفي بعض الاحيان ، قد يتوسط القاضي بين الرعية وال الخليفة او الوزير فينقل شكاوهم ، كالذى ذكر عن « اسماعيل بن اسحاق الا زدي القاضي الذي حمل مرة نحو ثمانين رقعة الى حضرة الوزير عبد الله بن سليمان لينظر فيها^(١) ». وكان القضاة يجلسون في المساجد للنظر في المحاكمات التي تؤول اليهم وخاصة في الامصار التي تقع خارج بغداد ، وبعض المحاكمات تكون مفتوحة يشهدها الناس ، فقد ذكر : « ان القاضي محمد بن منصور ، كان يجلس للحكم في المسجد الجامع بسوق الاحواز ، وقد اجتمع الناس من حوله^(٢) » واذا اريد عقاب احد عقابا فوريا ضرب بالسياط امام باب المسجد والناس شهود على ذلك . وكما سبق ان قلنا ان حالة القضاء ارتبطت بالأمور السياسية التي عليها الدولة ، فكما سخر الرأي العام من الوزارة والولاية والخلافة ، سخر ايضا من القضاة ، ففي سنة (٢٣٧ هـ / ٨٥١ م) تذر الناس في قاضيين اعورين ولاهما يحيى بن اكثم لما تسلم منصب قاضي القضاة بعد احمد بن ابي دؤاد ، اذ ولـي حيان بن بشـر قضاـء الشـرقـية وسوارـنـبـعـدـالـلهـ العـبـرـيـ قـضـاءـالـجـاتـبـالـغـرـبـيـ^(٣) ، وفي ذلك قال اصحاب ابن ابي دؤاد^(٤) :

ما احدثـةـ فيـ الخـافـقـينـ كـماـ اقتـسـمـ قـضـاءـ الجـانـبـينـ ليـنـظـرـ فيـ موـارـيـثـ وـدـيـنـ فـتـحـتـ بـرـزـالـهـ لـمـنـ فـرـدـعـيـنـ اذاـ اـفـتـحـ قـضـاءـ بـأـعـورـيـنـ	رأـيـتـ مـنـ الـكـبـائـرـ قـاضـيـنـ هـمـاـ اقـتسـمـ الـعـمـىـ نـصـفـيـنـ قـدـاـ وـتـحـسـبـ مـنـهـمـاـ مـنـ هـرـأـسـاـ كـأنـكـ قدـ وـضـعـتـ عـلـيـهـ دـنـاـ هـمـاـ فـأـلـ الزـمـانـ بـهـلـكـ يـحـيـيـ
--	--

(١) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٨٢ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٣٦ .

(٤) الطبرى : ج ٩ ، ص ١٨٩ .

وفي سنة (٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) ولي المتصير ابا عمره احمد بن هاشم المظالم فقال الناس فيه على لسان احد الشعراء ساخراً^(١) :

يا ضيغة الاسلام لما ولت
ظلم الناس ابو عمرة
صغير مامونا على امة وليس مامونا على بعمره
وشهد عهد المهدي بالله (٢٥٥ - ٢٥٦ هـ / ٨٦٨ - ٨٦٩ م) على
قصره ، انعاشوا لكانة القضاء ، ونظر الناس اليه بشيء من الاكبار
والاعجاب ، وقد تولى المهدي بنفسه النظر في المظالم ، « ويني قبة لها اربعة
ابواب وسماتها قبة المظالم وجلس فيها للعام والخاص^(٢) ». وكان « اذا جلس
للمظالم امر بان توضع كوانين الفحوم في الاروقة والمنازل عند تحرك البرد فادا
ادخل المستظللم امر بان يُدفعاً ويجلس ليسكن ويثبت اليه عقله ويتذكر حجته ثم
يدنيه ويسمع منه ، ويقول : كيف يدلي المتظللم بحجته اذا لم يُفعل به هذا وقد
قد اخلته رهبة الخلافة وألم البرد^(٣) » .

تظلم رجل من ابن للخليفة المهدي ، فأمر بحضوره واقامة الى جانب
خصمه ليحكم بينهما ، فقال الرجل للمهدي : يا امير المؤمنين ما انت الا كما
قيل^(٤) :

حکمت موه فقضى بينكم ابلغ مثل القمر الزاهي
لا يقبل الرشوة في حكمه ولا يبالي غبن الخاسير
وهذا السلوك العادل الذي عرف به المهدي ، من مباشرة النظر في

(١) الطبرى : ج ٩ ، ص ٢٣٩ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٨٣ .

(٣) البيهقي : لمحاسن والمساوئ ، ص ٥٤٠ .
، ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٣٤ .

المظالم بنفسه وخطبه في المسجد الجامع كل جمعة والصلوة بالناس ، لم يرض الاشراك وحتى العامة تناقلت من هذه السيرة التي لم تكن لتعتاد عليها ، فنقموا عليه وتأمروا على خلعه ومن ثم قتلها^{١٠} .

وهناك امثلة لقضاة انصفوا الناس وكسروا رضا الامة واتجهت اليهم انظار المظلومين ، واذا اخذنا بنظر الاعتبار تدهور حالة الخلافة ، وسيطرة الامراء الاتراك على امورها ، ونقطة الناس على هذه الوضاع ، وندرة هذا الصنف من القضاة ، كبروا في نظرنا ونحن نتصفح احداث هذه الحقبة ، فكيف هم في نظر من عاصروها . اورد ابن الجوزي^{١١} ، نموذجا لقاض عادل هو احمد بن بديل الكوفي ، « فقد اراد موسى بن بغا ان يجمع ضبيعة كان فيها سهم ليتيم فرفض ابن بديل طلبه ودافع عن حق اليتيم الذي امتنع عن بيع السهم العائد له » . وبعث اليه المعزمرة فقال له المعزز : اتعبناك ابا جعفر ؟ فقال : اتعبني وروعني فكيف بك اذا سئلت غني ؟ فقال : ما أردنا الا الخير اردنا ان نسمع العلم ، فقال القاضي وتسمع العلم ايضا ؟ الا جئتني ؟ فان العلم يؤق ولا يأتي ثم وعظ المعزز حتى ابكاه^{١٢} .

لقد تدهورت منزلة القضاة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري تدهورا لم يشهد له مثيل ، حتى اصبح مثار سخرية الرأي العام الذي ضاق بالوضاع السياسية الفاسدة ذرعا والذي آمل ان يجد له في القضاء ما يريد ظلامته . بعض القضاة كانوا من الضعف الى الدرجة التي اصبحوا فيها العوبة بيد الامراء الاتراك وغلمانهم ، وازاء ذلك فقد القضاة هيبة و تعرض

^{١٠} المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٨٣ .

^{١١} ابن الجوزي : المنظم ، ج ٥ ، ص ٩ .

^{١٢} نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ١٠ .

رجاله للاهانة ، ذكر التنوخي^(١) : « ان احد غلمان الموفق وكان مخمورا قد اعتدى على الجذوعي القاضي حاكم واسط وكان قد حضر بطلب من المعتمد للمساعدة ، وذلك بأن صفعه في دنيته حتى غاص رأسه فيها ». ومن شدة ضعفهم ان اصبح بعضهم وسيلة بيد الخلفاء والامراء يسخرونهم لقتل خصومهم السياسيين ، ومثل ذلك حدث زمن المكتفي : اذ انه لما خرج بدر غلام المعتصد ، ارسل الخليفة اليه القاضي ابا عمر محمد بن يوسف يبلغه الامان على ماله ونفسه وولده ، فلما آمن قتله احد غلمان السلطان ، وهو في طريق العودة^(٢) ، فأثار ذلك حفيظة الرأي العام وتكلم الناس وقالوا : ابو عمر القاضي كان السبب في قتله ، وفي ذلك قيل^(٣) :

قل لقاضي مدينة المنصور
بم احللت اخذ رأس الامير
عند اعطائه المواثيق والمعهد
على انها يمين فجور
ياقليل الحباء يا كذب الامة
ياشاهداً شهادة زور
ليس هذا فعل القضاة ولا يحسن
امثاله ولاء الجحور
يابني يوسف بن يعقوب اصحابي
أهل بغداد منكم في غرور
وهكذا بتدخل الاجانب وازدياد نفوذهم وضعف سلطة الخلفاء
العباسيين وتسرب الفساد الى مؤسسات الدولة ، ضعف القضاء واصبح
سخرية تتناقل الاسننة احداًهـ كنوادر مضحكـة يتفكـه بها الرأـي العام .

١٠. التنوخي : نسوار المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٥١٨ .

(٣) الطبرى : ج ١٠ ، ص ٩٣ .

الفصل الخامس

اماكن تجمع الباقي العام في القرن الثالث

الهجري

- ١ . السجون.
- ٢ . الأسواق.
- ٣ . المساجد.
- ٤ . الاجتماعات العامة.

اماكن تجمع الرأي العام في القرن الثالث الهجري

١ - السجون :

اعار الرأي العام الاسلامي حالة السجناء وأوضاعهم العامة ، والاسباب والمبررات التي ادت بهم الى السجن جل اهتمامه وانقسم ازاء ذلك بين رأي راض يجد في الاجراء عدلا ، وآخر ناقم يجد فيه جورا وظلما ، كما ان السجناء انفسهم وبعد ان عجبت بهم السجون الكثيرة اصبحوا يشكلون رأيا عاما ساخطا حتى بالنسبة لاولئك الذين يعترفون بجرائمهم ، لذلك كله فقد اهتم الفقهاء والملحقون باحوالهم ووضعوا البرامج وسطروا النصائح لانصافهم ، وفي هذا المجال لابد ان نورد ماكتبه ابو يوسف للرشيد ، وهو في ذلك سابق لغيره من الفقهاء ، قال وهو يخاطب الخليفة : « فانك ان اجريت عليهم الخير ذهب به ولاة السجن والقواب والجلاؤزة ، وول ذلك رجالا من اهل الخير والصلاح يثبت اسماء من في السجن من تجرى عليهم الصدقة وتكون االاسماء عنده ويدفع ذلك اليهم شهرا بشهر . يقعد ويدعوه باسم رجل رجل ... ويكون للاجراء عشرة دراهم في الشهر لكل واحد وليس كل من في السجن يحتاج ان يجري عليه وكسوتهن في الشتاء قميص وكساء وفي الصيف قميص وازار ، ويجري على النساء مثل ذلككسوتهن في الشتاء قميص ومقنعة وكساء وفي الصيف قميص وازار ومقنعة . واغنهم عن الخروج في السلسل يتصدق عليهم الناس ... انه ربما مات منهم الميت الغريب فيمكث في السجن اليوم واليومين حتى يستأنر الوالي في دفعه وحتى يجمع اهل السجن من عندهم مايتصدقون ويكثررون من يحمله الى المقابر فيدفن بلا غسل ولا كفن

ولا صلاة عليه^(١) ». وهو بذلك يوضح الحالة التي كان عليها السجناء ابان العصر العباسي الاول ، وكان المسجون اذا دخل السجن كتبت قصته في سجل خاص وفيه المدة التي ينبغي ان يقضيها في السجن وجرت العادة ان ينزعوا ثيابه فيلبسونه غيرها ثم يقيد ويحدد مكانه في السجن وبعد ذلك يقدم له الطعام^(٢) .

لقد اصبح السجن سلاحا في يد السلطة المحاكرة والمتغذية وقوة يكيدون بها للتخلص من اعدائهم ومناوئتهم ، والاسباب والحجج التي تؤدي الى السجن كثيرة على هذا الاساس الذي ذكرناه .

من هذه الاسباب اعمال الاجرام واللصوصية وقطع الطريق ، فقد نسب قوم من اللصوص بيت المال في دار العامة وانحدروا ما فيه من مال ، فتبعهم صاحب الشرطة وبعض على بعضهم واودعهم السجن^(٣) ، وروى الطبرى في جملة مارواه عن احداث سنة (٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م)^(٤) : ان احد اللصوص ويدعى صديق الفرغانى قد دخل سامراء فأغار على اموال التجار وقطع الطريق على الناس يسلبهم ما يملكون الى ان ظفر به فقطعت يده ورجله وأيدي جماعة من اصحابه وأرجلهم وحبسو جميعا . وحبس المعتصد بالله ثلاثة من الجناد بتهمة السرقة واودعهم السجن^(٥) ، وذكر ابن الجوزي في كتابه الموسوم (الاذكياء) امثلة كثيرة عن اعمال اللصوص التي تؤدي بهم الى الحبس . ولعل

(١) ابو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٢) صلاح الدين المنجد : المخلفاء والخلعاء ، ص ١٣٣ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٣ .

(٤) الطبرى : ج ١٠ ، ص ١٣ .

(٥) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٣١ - ٣٣٣ .

تهمة مناؤة السلطة والخروج على ارادتها اكثرا الاسباب التي تؤدي بأصحابها الى السجن او القتل في بعض الاحيان ، واحداث القرن الثالث الهجري الجمة تدلل بأكثر من دليل على ذلك فقد سُجن العباس بن المأمون لما دعا لنفسه^(١) ، والمع المأمون في طلب الفضل بن الربيع وزير الامين ، « حتى انه نادى في الجانبيين من جاء به فله عشرة الاف درهم واقطع غلته ثلاثة الاف دينار في كل سنة ... ومن وجد عنده بعد النداء يضرب خمسماة سوط ويؤخذ ماله وتهدم داره ويحبس طول عمره^(٢) » ولقي الاشخاص على يد المعتصم لما غضب عليه ، اشد انواع العذاب وحبسه . . . « وكان يطعم في كل يوم رغيفا حتى مات فاخرجه وصلبوه على باب العامة ثم احرق ورمي به في دجلة^(٣) » ولما قُتل ابو الحسين يحيى بن عمر زمن المستعين سنة (٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) ، قُبض على من بقى من اتباعه وحبسو في سجن الجديدي بسامراء « وقد اصابهم جوع واسعة »^(٤) . وحبس الخليفة المعتمد ابنه ابا العباس لما شغب عليه مع نفر من الجندي^(٥) . ولما نكب ابن الفرات في نهاية القرن الثالث الهجري ، قُبض على ابي امية قاضي البصرة ، فأودع السجن فأقام فيه مدة الى ان مات فيه ، فكان اول قاضي يموت في السجن^(٦) ، وهناك امثلة كثيرة في هذا المجال سبق ان اشرنا اليها في فصول سابقة من هذا البحث .

(١) البليخي : البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٤ .

(٢) الشترنجي : الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .

(٣) البيهقي : المحسن والمساويه ، ص ٥٢٩ .

(٤) الطبرى : ج ٩ ، ص ٢٧٠ . مسکوریه : تجرب الاسم ، ج ٦ ، ص ٥٦٩ .

(٥) الطبرى : ج ١٠ ، ص ١٥ .

(٦) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٧ ، ص ٥١ .

لقد كان لسوء الاحوال الاقتصادية اثر في انتشار التعامل بالدين والتسليف ، كما ادى تدهور الاوضاع السياسية والاجتماعية الى تفشي الرشوة والمحسوبيه والاختلاس لذلك اصبحت الديون والمصادرات سببا يؤدي الى السجن ، كالذى حدث لكتاب الدواوين في عهد الخليفة الواثق بالله سنة (٢٢٩ هـ / ٨٤٣ م) ، فقد « امر بضررهم واستخلاص الاموال منهم لظهور خياناتهم واسرافهم في امورهم »

ومن عجائب وغرائب القرن الثالث الهجري : « ان الوزارة كانت سبلا الى السجن في غالب الاحيان وندر من نجا من الوزراء ولم يسجن وربما قتل ولم يحبس » ، فقد سجن محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم والواثق بعد ان صودرت امواله ونهبت دوره وضياعه ، وعذب امر عذاب الى ان مات في حبسه زمن الخليفة المتوكيل ^(٣) ونكب ونفي ابن الحصيب وزير المستعين ^(٤) وحبس ابو الصقر وزير المعتمد ^(٥) . ولما قتل المتوكيل على يد الاتراك قتل معه وزيره الفتح بن خاقان وكان في حضرته ^(٦) .

ولايكتنا ونحن في صدد الاسباب التي تؤدي الى السجن ، ان نغفل العامل الديني المؤثر على نفوس الناس وخاصة العوام منهم ، فاذا ما جاهر احد بشتم الرسول او الائمه وادعى الاخلاق وعاب الاديان ، فان مصيره السجن

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٠١ .

(٢) المنجد : الخلقاء والخلقاء ، ص ١١٧ .

(٣) البيهقي : المحسن والمساوئ ، ص ٥٣٢ . الطبرى : ج ٩ ، ص ١٥٩ .

(٤) الطبرى : ج ٩ ص ٢٥٩ .

(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ١٢٤ .

(٦) ابن الائمه : الكامل ، ج ٧ ، ص ٩٩ .

وقد يقتل اذا مثبتت كفره والحاده بعلم ورضي الرأي العام الاسلامي ان لم يكن بطلب منه باعتبار فعلة كبيرة توجب الحد ، ويمكن ان نسمى هذا العامل اجحالة (بالزندة) وهي تهمة شاعت في العصور الاسلامية المختلفة وبخاصة في العصر العباسي ، وكانت بحق سلاحا ماضيا بيد الخلفاء والمنتفذين لضرب خصومهم ومناوئتهم ، آخذين بنظر الاعتبار ان ما ذكرناه لاينفي عدم وجود من ادعى الزندة فعلا ، فقد «بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة من يذهب الى قول ماني ويقول بالنور والظلمة من اهل البصرة فأمر بحملهم اليه بعد ان سموا واحدا واحدا . . . وأمر بقتلهم جميعا»^(١) ، وفي سنة (٢٣٧ هـ / ٨٥١ م) : «ادعى رجل النبوة وتأنول القرآن على غير تأويله ، فتبعه قوم من الغوغاء ، فكان من شرائعه انه كان ينهى عن قص الشعر وتقليم الاظفار . . . ولما قبض عليه امتنع عن التوبة فصلب^(٢)» . وادعى رجل آخر النبوة ايام المأمون فحمل اليه مؤثثا بالحديد^(٣) . وكانت تهمة المجاهرة بالكفر كثيرة ماتؤدي الى هياج الرأي العام مطالببا بقصاص المذنب ، روى الطبرى^(٤) «انه في سنة (٢٨٤ هـ / ٩٩٧ م) ، اخذ خادم نصرانى اسمه وصيف وادخل الحبس بحجة انه شتم النبي (ص) ، ثم اجتمع من غد هذا اليوم ناس من العامة مطالبين بإقامة الحد عليه . . . وتداعى الناس من الاسواق واماكن اخرى ومضوا الى باب السلطان فلقائهم ابو الحسين ابن الوزير فصاحبوا به فأعلمه انه قد انى خبره الى المعتصد فكلبوا واسمعوه ما كره ووثبوا بأعوانه ورجاله حتى

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٩ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٦٦ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٥ .

(٤) الطبرى : ج ١٠ ، ص ٥٢ .

هربوا منهم ومضوا الى دار المعتضد بالشريعة . . . وخبره الخبر مباشرة . . . فأمر بالنظر في امر الخادم . . . ولم يكن للخادم بعد ذلك ذكر ولا كان للعامة في امره اجتماع » .

لما تشدد المأمون ومن جاء بعده من خلفاء بني العباس الآخرين ، في محنـة خلق القرآن ، أصبح ذلك ذريعة بيد الخليفة وبطانته لحبس وتعذيب من يخالف هذا الرأي الذي يمثل هوى السلطة آنذاك ، فقد حبس الامام احمد بن حنبل زمن المأمون والمعتصم وتعرض لتعذيب قاسٍ الى ان فقد وعيه تحت تأثير السياط ، ومن جهة اخرى كانت جموع محتشدة من العامة خارج فناء القصر قد ثارت ثائرتها حنقاً وسخطاً على هذه المعاملة السيئة^(١) . وحبس بشر بن الوليد وكان يتولى قضاء الجانين ببغداد ، في منزله ووكل بياباه الشرطة ونهى ان يفتي احد بشيء ، لانه لا يقول القرآن مخلوق^(٢) . وفي سنة (٢٣١ هـ / ٨٤٥ م) « امر الواثق ان يتبع من وسم بصحبة احمد بن نصر من ذكر انه كان متشاريعا له : فوضعوا في الحبوس ، ثم جعل نيف وعشرون رجلاً وسموا في حبوس الظلمة ومنعوا من الصدقة التي يعطها اهل السجون ، ومنعوا من الزوار وثقلوا بالحديد . . . فجعلوا في محابس بغداد^(٣) » .

وهناك اسباب اخرى ادت الى السجن كتهمة الدعاية والفساد والخصومات الشخصية والمنازعات الفردية والعائلية والعشائرية التي عرف منها المجتمع العباسي في القرن الثالث الشيء الكثير .

(١) ولتر. م باتون : احمد بن حنبل والمحنـة ، ص ١٥١ (ترجمة عبد العزيز عبد الحق ، دار الملال ، ١٩٥٨) .

(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٧ ، ص ٨٣ .

(٣) الطبرى : ج ٩ ، ص ١٣٩ .

لقد انتشرت السجون في مراكز المدن الكبيرة وبخاصة في بغداد ومن بعدها سامراء وشهر سجون الدولة العباسية طرا هو سجن (المطبق)^{١٠} ، الذي كان لاسمه رهبة في نفوس الناس^{١١} ، يسجن فيه المجرمون الخطرون والمحكومون الا لداء ومن يراد التخلص منه من تصدر بحقه احكام طويلة .
 ويعتبر المطبق من اكبر اماكن تجمع الرأي العام في العصر العباسي لكثره من فيه من السجناء الذي ضاق بهم في بعض الفترات على سعته ، كما شهد حركات شغب ومحاولات فرار قام بها السجناء وهم في هذه المواقف ، ومواقف اخرى سلبية يعبرون عن تدميرهم واستيائهم من احوالهم في السجن او من الوضاع السياسية العامة التي آلت بهم الى ما هم عليه ، من ذلك ما شهدته سجن المطبق في بداية القرن الثالث الهجري ، فقد ذكر انه لما « ظفر المأمون بابراهيم بن عائشة وجماعة معه منهم مالك بن شاهي التفري من اهل السواد ومحمد بن ابراهيم الافريقي و كانوا قد خرجنوا على السلطة ، فحبسهم في المطبق فأستمال ابن عائشة السجناء الآخرين حتى حملهم على الوثوب والشغب وحاولوا ان ينقبو السجن فسدوا الباب من داخل ولم يدعوا احدا يدخل عليهم ، فرفع محمد بن عمران صاحب الشرطة خبرهم الى المأمون فحضر نفسه الى المطبق ليلاً ومعه جماعة من قواده ودعا بابراهيم فضرب عنقه وقتل الذين كانوا معه^{١٢} .
 قد لا يكتفي الخليفة بالسجن والقتل وحدهما ، فيعمد الى التشهير

^{١٠}. اليقوري : البلدان ، ص ٩ ، وقد حدد موقعه بين باب البصرة وباب الكوفة على سكة المطبق ووصفت بالحبس الاعظم .

^{١١}. المنجد : الاخفاء للخلعاء ص ١١٧ .

^{١٢}. نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٤٥٩ .

والمجاهرة بالجرم كأن يصلب في مكان معروف ليراه الناس ، كالذى حدث لابن عائشة وجماعته ، وبعد ان قتل ابراهيم « في السجن ليلة السبت من سنة (٢١٠ هـ / ٨٢٥ م) امر بصلبه على الجسر الاسفل لمدة ثلاثة ايام ، فلما كان يوم الاربعاء امر بائزاله ودفنه^(١) » ، ولما وقعت الفتنة بين العامة والامراء الاتراك الذين تغلبوا على امر الخلافة وقتلو المتسوك واستضعفوا المنتصر والمستعين بعده ، تدمى الرأي العام الاسلامي « فنهض جم من العامة الى السجن فاخروا من كان فيه ، وقطعوا الجسرین ، ونادوا بالنفير ، فأجتمع خلق كثير وجمع غير ونبوا اماكن متعددة وذلك في الجانب الشرقي في بغداد ، وفي سامراء عمد عامتها الى السجن فاخروا من كان فيه كالذى حدث في بغداد^(٢) . وفي سنة (٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م) نقب المطبق من داخله وأخرج منه بعض المحابيس الذين ركبوا دوابا اعدت لهم وهربوا فأغلقت ابواب فأخذوا وعدبوا وأمر باصحهم الدوياني العلوي فقطعت يده ورجله من خلاف^(٣) . وبعد ذلك بست سنوات نقب المطبق مرة اخرى وانحر من فيه من السجناء^(٤) .

وفي المطبق يقضى السجين مدة طويلة ان لم يقتل وقد يحكم عليه بالاشغال الشاقة ، روى التنوخي^(٥) : « عن ابي علي الوكيل على ابواب القضاة في بغداد ، ويعرف بالنافق ، قال : كنت اقيم خبر المحبسين في المطبق بمدينة

(١) ابن طيفور : بغداد ، ص ١١٣ .

(٢) ابن كثير : البداية النهاية ، ج ١١ ، ص ٣ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٤١٩ .

(٤) السيرطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٤٧ .

(٥) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ١١١ .

السلام فرأيت فيه رجلا مغلولا على ظهره لبنة حديد فيها ستون رطلا فسألته عن قبضته فقال : أنا والله مظلوم فقد اتهمت بقتل رجل أنا لم اقتله فأخذني صاحب الشرطة ثم عرضت فضريت ضربا شديدا ، وعوقبت أصناف العقوبات وأنا انكر ، فتدخلن أهلي وشفعوا لي عند أصحاب الجاه واستشهد خلق كثير على حسن سيرتي وبراءتي فأغفنت من القتل ونقلت إلى المطبق وفي هذا الحديد منذ ست عشرة سنة » .

وفي زمن الخليفة المعتصم « بني حبس في بستان موسى^(١) » ، وهو حبس كبير كانت له شهرة كالمطبق في بغداد^(٢) ، وقد سماه اليعقوبي بالحبس الكبير^(٣) لايسجن فيه الا من عظم امره وكبير جرمها وخاصة الخصوم السياسيون ، فقد حبس فيه محمد بن القاسم بن علي بن عمر العلوي الصوفي ، وكان قد اسره عبد الله بن طاهر ويعتبر به إلى المعتصم ، « فأمر بحبسه في أسفل بيت من هذا السجن فلما استقر به أصابه من الجهد لصيقه وظلمته ومن البرد لندي الموضع ورطوبته ما كان يتلفه من ساعته ، فلما اشرف على الهالك ، أمر المعتصم بأنحراجه وقد زال عقله واغمى عليه ، فطرح في الشمس وطرحت عليه لحف وامر بحبسه في بيت آخر بالبستان فوقه غرفة وكان في البيت خلاء إلى الغرفة التي تليها وفي الغرفة أيضا خلاء آخر إلى سطحها^(٤) ». وقد وصف العلوي طريقة

(١) أمر المعتصم ببنائه في بستان موسى بسامراء وكان القيم به مسرور مولى الرشيد ، ويرى الراكب بناءه من دجلة ومن داخله كالبئر العظيمة قد حفرت إلى الماء أو قريب منه ثم فيها بناء هيبة المنارة محفوف من باطنها وله من الداخل مدرج قد جعل في مواضع من التدريج مستراحات وفي كل مستراح شبهه بالبيت يجلس فيه رجل واحد على مقداره يكون فيه مكتوبا على وجهه ليس يمكنه أن يجلس ولا يمد رجله .

(٢) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(٣) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٦ .

(٤) التنوخي : الفرج بعد الشدة ج ١ ص ١١٩ .

خلاصه من هذا السجن المرعب الذي كاد ان يودي بحياته قائلا : « كنت ادبر امري في التخلص منذ حبس ، فقد عملت من اللبد الذي اخذه وطائما وفراشا حبلا ، وكان على باب البيت قوم وكلوا بي يحفظونني لا يدخل منهم احد وانما يكلموني من خلف الباب ويناولونني من تحته ما اتقوت به ، فقلت لهم : ان اظفاري قد طالت جدا وقد احتجت الى مقراض فجاءني رجل بمقراض ، وينصي العلوي في تدبير خطته قائلا لهم : ان في هذا البيت فيرانا توذيني اذا قربوا مني فأقطعوا لي جريدة من النخل تكون عندي اطردهم بها ففعلوا ، فأخذت اضرب بها في البيت واسمعهم صوتها اياما ، ثم قشرت الخوص عنها وقطعتها على مقدار يوهم انه من عمل الفيران ويستطرد قائلا : فضممت كل ما قطعته منها بعضه الى بعض وقطعت اللبد وضفت منه حبلا تسليت به الى الغرفة ومن الغرفة الى سطحها وشددت القيد في ساقي فلما كانت ليلة العيد تدلilit بالحبل الى بستان مجاور وفررت سنة (٢١٩ هـ / ٨٣٤ م) ^(١) .

ومن السجون المعروفة (سجين باب الشام) وقد سمي بذلك نسبة الى مكانه في باب الشام ^(٢) . ويظهر ان اكثر من حبس فيه كانوا من اصحاب الجرائم ، ففي سنة (٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) زمن المهدى « اجتمع جماعة من الجن والشاكيرية ومعهم جماعة من العامة حتى صاروا الى سجن باب الشام ليلا فكسروا بابه واطلقوا في الليلة اكثر من كان فيه ، فلم يبق فيه من اصحاب الجرائم احد الا الضعيف والمريض والمثقل . . . وسد باب السجن بباب الشام باجر وطين ^(٣) .

(١) التنخي : الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

(٢) اليعقوبي : البلدان ، ص ١٦ .

(٣) الطبرى : ج ٩ ، ص ٤٠١ .

وهنالك سجن في بغداد عرف بسجين (مالك بن نصر) فتحته العامة سنة (٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م) لما شغبت وانخرجت منه جماعة من نواحي خراسان والصعاليك من اهل الجبال والمحمرة وغيرهم ، وقطعوا احد الجسرتين وضربوا الاخر بالنار وانحدرت سفنه وانتهت ديوان قصص المحبسين وقطعت الدفاتر والقيت في الماء^(١) .

وهنالك سجون اخرى متفرقة في بغداد وسامراء وهي ثانية من حيث الاهمية كالذى في شارع الياسيرية ، وسجين دار الشرشر بجوار دار عمارة ، وسجين العامة في درب الموصل وقد سجن فيها على التوالي احمد بن حنبل بعد ان اعيد من الرقة وهو في قيده الى بغداد^(٢) .

ولما غضب المعتصم على قائدة الاشين « جسسه في الجوسق ثم بني له حبساً مرتفعاً وسماه لؤلؤة داخل الجوسق^(٣) » وقد عرف فيما بعد بسجين الاشين ، وذكر ابن الاثير في معرض سرده لاحداث عام (٢٥١ هـ / ٨٦٥ م)^(٤) . . . « ان المعتز والمؤيد قد حبسوا في الجوسق في حجرة صغيرة » .

ومن سجون سامراء « سجن الجديـد » وقد حبس فيه جماعة من اتباع يحيى بن عمر سنة (٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) في خلافة المستعين^(٥) . وفي سنة (٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م) حبس فيه سبعة من الخوارج^(٦) .

(١) الطبرى : ج ٩ ، ص ٢٦٢ .

(٢) باتون : احمد بن حنبل والمحنة ، ص ١٢٨ .

(٣) الطبرى : ج ٩ ، ص ١٠٦ .

(٤) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ١٤٢ .

(٥) مسکوریه : تمارب الامم ، ج ٦ ، ص ٥٦٩ .

(٦) الطبرى : ج ١٠ ، ص ٣٤ .

والى جانب هذه السجون كانت هناك سجون اخرى في قصور الخلفاء والامراء ومتولي الشرطة عرفت بـ (سجون الدور) وانتشرت في العصر العباسي ، وبخاصة القرن الثالث الهجري الذي نحن بصدد البحث عنه ، بثابة اداة بيد الخلفاء ، والوزراء ، واصحاب السلطة لضرب اعدائهم والتنكيل بهم ، فقد حبس ابزاهم بن المهدى بأمر من الامين في سردار اغلق عليه ومكث فيه ليلة^(١) . وحبس الامين قبل مقتله « في دار ابن صالح الكاتب من اتباع طاهر بن الحسين وكان معه محبوسا صاحب المظالم احمد بن سلام^(٢) » وأمر المأمون ، الفضل في حبس عمرو بن بهنونى ، قائلا : « ياضل خذ عمرا اليك وقيده وضيق عليه ليصدق عها صار له من مالي فقد احتاز مالا جليلا وطالبه به ، فقلت : نعم وأمرت باغصاته واخليت له حجرة في داري واقمت له ما يصلحه وتشاغلت عنه بأمور السلطان . . . وفي اليوم الثالث اخرج لي رقعة قد اثبت فيها ما يملك في الدور والضياع والعقارات والاموال والكسوة والفرش والجواهر والكراع والقماش بقيمة عشرين الف الف درهم . . . فلم يعجب المأمون تساهلي فأمر ان اسلم عمرو الى محمد بن يزداد ، ففعلت فلم ينزل يعذبه بانواع العذاب حتى يبذل له شيئا فلم يفعل^(٣) » .

ووصف احمد بن حنبل حاله وهو محبوس في دار اسحاق بن ابراهيم قائلا : « فوجه الي في كل يوم برجلين : احدهما يقال له احمد بن رياح والآخر شعيب ! فلا يزالان يناظرانى حتى اذا ارادا الانصراف دعى بقييد فزيدي بقيودي ! فصار في رجلي اربعة اقياد . . . واحضرت مرة امام المعتصم وهو

(١) التترنجي : الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ١١٣ .

(٢) الطبرى : ج ٨ ، ص ٤٨٦ .

(٣) التترنجي : الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ١٠٦ .

جالس على كرسي . . . وتقىم الجلادون فجعل يتقدم الرجل منهم فيضربي سوطين فيقول له المعتصم شد قطع الله يدك ، ثم يتنحى ثم يتقدم الآخر فيضربي سوطين ، فلما ضربت تسعة عشر سوطا ، قال الامام احمد : فذهب عقلي^(١) .

وفي بعض الاحيان قد يحبس الشخص في داره وهو مانسميه الان بالاقامة الاجبارية ، وتفرض عليه غرامة نقدية عادة ، فقد سخط المعتصم على الفضل بن مروان فأمر بحبسه وتقييده في داره وغرمه الف الف دينار وستمائة الف دينار^(٢) . والطريف في الحادث ان الرأي العام شمت لما اصاب ابن مروان وقد لاقى الناس منه الامريرن فرفعت فيه القصص والاشعار من ذلك ما وجد مكتوبا على حائط داره^(٣) .

تفرعنـت يا فضل بن مروان فأعتبر
ثلاثة املاك مضوا لسبيلهم
ابادهم التنكيل والحبس والقتل
وانك قد أصبحت في الناس لعنة
ستودي كما اودى الثلاثة من قبل
ولم يكن الخلفاء وحدهم هم الذين يسجنون ويعذبون خالفيهم بل فعل
ذلك الوزراء والقادة فقد روى عن محمد بن الفضل اجرجاني قال : « كنت
اتولى ضياع عجيف ، فرفع على اي خنته واحربت الضياع فانفذ الي من يقيدي
فأدخلت عليه في داره بسر من رأى على تلك الحال وهو يطوف على ضياع فيها ،
فلما نظرني شتمني فقال : احربت الضياع ونهبت الاموال والله لا قتلتك ،

(١) ابو الفضل بن صالح بن الامام محمد : خطورة عن معنة الامام ، نشرت ضمن كتاب احمد بن حنبل بين معنة الدين ومعنة الدنيا لاحمد عبد الجود الدوسي ص ١٦٩ - ١٧٤ .

(٢) النسفي : المحاسن والمساوئ ، ص ٥٣٠ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٥٣١ .

هاتوا السياط فأحضرت وساحت للضرب فلما رأيت ذلك ذهب علي امرى ويلت على ساقى وادخلت الحبس بعد ذلك^{١٠} .

تفاوت معاملة الخلفاء للسجناء بين الشدة واللين فانه لما غضب الواثق على كتاب الدواوين امر بحبسهم في بيوت ، قال احمد بن المدبر : « حبس في محبس كان فيه احمد بن اسرائيل وسليمان بن وهب وكنا نتحدث ونأكل جميعا وربما ادخل النبيذ فنشرب^{١١} » ، وعلى نقيض ذلك روى التنوخي ان سليمان بن وهب قال : « اخذني اسحاق بن ابراهيم فقيداني بقيد والبسني جبة فأقمت كذلك نحو عشرين يوما لا يفتح علي الباب الا مرة واحدة في كل يوم وليلة ويدفع لي فيها خبز شعير وماء حار^{١٢} » . وذات مرة غضب الواثق على اخيه جعفر المتوكل ، فأمر محمد بن عبد الملك ان يحبسه ويميز شعره ويضرب به وجهه ويرسله اليه مقيدا^{١٣} . وتفنن المتوكل في وسائل تعذيبه لخصوصه واعدائه ، فقد انتقم من محمد بن عبد الملك وعذبه شر عذاب ووضعه على تنور من خشب فيه مسامير واقفل عليه الباب والمسامير تدمي جسده واقفا وجالسا فيها مكث بعد ذلك الا اياما حتى مات ، ووُجِدَ على حائط البيت الذي كان فيه التنور الشعر التالي^{١٤} :

تَعْبُ الْبَلِيْ بِعَلِيِّ وَرْسُومِيِّ وَدَفَنْتُ حَيَا تَحْتَ رَدْمَ غُمُومِ

١٠. التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ص ٨١ .

١١. الجهميـاري : نصوص ضائعة من الوزراء والكتاب ، ص ٦٥ . تحقيق ميخائيل عراد ، دار الكتاب

اللبناني ، ١٩٦٤ .

١٢. التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

١٣. البيهقي : المحسن والمساوي ، ص ٥٣١ .

١٤. نفس المصدر ، ص ٥٣٢ .

لزم البلى جسمى وأوهن قوى ان البلى لموكل بلزم
وسجن سليمان بن وهب في كنيف وفي ذلك قال : فأخذنى اسحق بن ابراهيم
صاحب الشرطة وحبسي في كنيف واغلق على خمسة ابواب فكنت لا اعرف
الليل من النهار^(١) . ولما قبض على ابي الحسن بن ابي طاهر وابيه ، حبس في
حجرة دار ضيقه واجلس على التراب^(٢) . ولقي احمد بن اسرائيل وابونوح اشد
اصناف العذاب على يد صالح بن وصيف الذي جردهما من مالهما « وضرب كل
منها خمساً سوط الى ان ماتا ودفنا ، ولما بلغ المهدى خبرهما قال : اما عقوبة
الاسوط والقتل اما يكفي الحبس ؟ انا لله وانا اليه راجعون يكرر ذلك
مرارا^(٣) » وقد لا يكتفى بالحبس فيلجاً المتنفذ منهم خليفة كان او وزيرا او
صاحب جاه ، الى تعذيب وقتل السجين ، وروى التنوخي^(٤) : « ذكر القاضي
ابن عمرو وكان قد حبس معه ابو الثنى القاضي ومحمد بن داود بن الجراح في
دار واحدة في ثلاثة ابيات متلاصقة وذات ليلة فتحت الابواب على محمد بن
داود فانخرج واضطجع على المدبح وذبح كما تذبح الشاة فجردوا جثته وطرحت
في بئر الدار » .

ولعل اكثر خلفاء بني العباس عنانية واهتمامها بالسجون واصلاح حالها هو
المعتضد بالله ، فقد خصص لها في ميزانيته الف وخمساً دينار في الشهر وعين
لهم اطباء ، كانوا يدخلون على المساجين ويحملون الادوية والاشربة ،
ويطوفون على سائر الحبوس ويعالجون فيها المرضى كما جعل لهم ديوانا خاصا

(١) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ٣٤ .

(٢) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٠١ .

(٤) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ١٠٨ .

تكتب فيه قصصهم في دفاتر خاصة يرجعون إليها دائمًا^{٢٠} ، ولكن العيب الذي أخذه الرأي العام عليه هو شدته وقسوته وتعذيبه لخصومه بشتى أنواع العذاب ، وقد استحدث في هذا المجال اصنافاً جديدة ، أمر مرة ببرجل ، «فسد بالقطن انفه سداً شديداً وفمه وعيشه واذنه ومنخراه وذكره وسوءاته ثم كتف وترك فلم يزل يتتفخ ويزيدي إلى أن طار قحف رأسه ومات^{٢١}» .

وفي السجن قد يتعلم السجين صناعة أو حرفه وخاصة إذا ما قضى فيه مدة طويلة^{٢٢} ، فقد تعلم عبد الله بن المعتز صناعة نسج التكك وهو محبوس في دار من دور بغداد . . . وكان لا ينم الليل من شدة الخوف وأكثر ما زاولها في أوقات النهار^{٢٣} ، وفي ذلك قيل^{٢٤} :

تعلمتُ في السجن نسج التكك وكنتُ امراً قبل حبسِي ملكَ
وقيدتُ ركوبَ الجياد وما ذاكَ الا بدورِ الفلكِ
وتتمتع بعض المساجين من علية القوم بقسط وافر من اللهو واللعبِ
والمعاملة الحسنة ، فقد روى عن احمد بن المديبر انه : كان يتحدث مع اصحابه
وفي بعض الاحيان يدخل عليهم النبيذ فيشربوا معاً وهم في السجن^{٢٥} ويلاحظ
على سجون القرن الثالث ، تنوعها وتعددتها وكثرة اقسامها ، فقد خصص كل
قسم لصنف معين من السجناء فهناك حبس للزنادقة وآخر للعوام وثالث

٢٠. المنجد : الخلفاء والخلعاء ، ص ١٣٦ .

٢١. التوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٧٧ .

٢٢. متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع المجري ، ج ٢ ، ص ١٦٥ .

٢٣. التوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ٨١ .

٢٤. البهقي : المحسن والمسارىء ، ص ٥٣٤ .

٢٥. التوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ١٤٩ .

للنساء^{١٠} . وكانت بعض سجون الدور بعهدة القيمان ، واشهرهن في نهاية القرن الثالث المجري امرأة يقال لها زيدان ، وقد جعلت في دارها سجناً سجن فيه علي بن داود بعد وزارته ومن قبله وكل بابن الفرات عندها ، كما سلم اليها ايضاً الامير الحسين بن حمدان^{١١} .

وتجدر بالذكر ان هذه السجون التي عرفت بسجون الدور ، قد خصصت لعلية القوم تميزاً لهم عن الآخرين من سواد الناس ، وهوامر بدعي اووجه الواقع الاجتماعي الذي كان عليه المجتمع الاسلامي في القرن الثالث المجري .

٢ - الاسواق :

ووجدت الاسواق عند العرب في الجاهلية والاسلام ، وان كانت بعض اسوق الجاهلية ذات الطابع الموسمي ، قد تفوقت في شهرتها ، كسوق عكاظ وبعنة وذى المجاز وغيرها^{١٢} .

لم تقتصر هذه الاسواق على البيع والشراء ، بل اشتهرت بكونها مجتمعات تعقد فيها العقود والمعاهدات والاتفاقات ، ومواضع يعلن فيها كل ماله اثر بالجماعة ، وساحات محاكم يجلس فيها المتخاصمون للاستماع الى قرار ينطق به شخص مهاب ، اتفقوا على تحكيمه في نزاعهم ، ومراكز يتجمع فيها الرأي العام قبل الاسلام^{١٣} .

بتطور المجتمع الاسلامي وانتقال العرب الى افاق العالم الخارجي عن

١٠. المنجد : الخلفاء والخلفاء ، ص ١٢٨ .

١١. المنجد : الخلفاء والخلفاء ، ص ١٣١ .

١٢. جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٧ ، ص ٣٧١ .

١٣. نفس المصدر ، ج ٧ ، ص ٣٨٤ .

طريق الفتح الاسلامي ، تعددت هذه الاسواق وتخصصت وازدحم فيها العوام والخواص ، وزاول فيها اصحاب الصنائع صنائعهم ، وعرض فيها الباعة سلعهم ، وسخط فيها الساخطون واعتصم في سوهاها وقبابها المشاغبون والثائرون ، وتسكع في طرقاتها المكدون والمشعوذون ، وطعم في مخزونها اللصوص والشطارون .. وسنحاول في بحثنا هذا ان نسلط الضوء على تحركات الرأي العام وتجمعاته والصيحات التي ارتفع بها صوته سخطا او رضى في القرن الثالث الهجري الذي زخر بالتناقضات والمفارقات وقامت في مدنه عديد من الاسواق ، حتى اصبح لكل حرفة وصنعة سوق مخصص لاهلها^١ ، يبيعون فيه سلعهم ومنتجاتهم ، ومن خلال عملهم اليومي واجتماعاتهم التكررة ، التي كثيرا تتعقد في المساجد ايام الجمع^٢ ، يتدارسون اوضاعهم سعيا وراء تحسينها .

تفوقت بغداد على سواها من المدن الاسلامية بكثرة اسواقها ، لتمتعها بمركز سياسي مرموق باعتبارها حاضرة الدولة العباسية ، ولموقعها الاستراتيجي ، الذي جعل منها محطا لانظار القريب والبعيد والخاص والعام من الناس .

انقسمت اسواق بغداد الى شطرين : اسواق في الجانب الشرقي اي جانب الرصافة ، كسوق العطش الذي حول اليه المهدى كل ضرب من التجار

١. ابو المطر الازدي : حكاية ابي القاسم البغدادي ، ص ٢٢ .

واوضح اليقوري في كتاب البلدان ، ص ١٤ ، ذلك بقوله « وكل سوق مفردة وكل اهل منفردون

بتجارتهم وكل اهل مهنة معترلون عن غير طبقتهم » .

٢. كالمسجد الذي امر ببنائه المنصور لاهل الاسواق ، يجتمعون فيه اوقات فراغهم وايام الجمع ، كي

لا يدخلوا المدينة - الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٨٠ .

فُشِّلَ بالكرخ وسماه سوق الري فغلب عليه سوق العطش^{١٠} ، واخرى في الجانب الغربى اي جانب الكرخ الذى تمركزت فيه معظم اسواق بغداد ذات الطابع الشعبي^{١١} .

شهدت اسواق بغداد وعلى وجه المخصوص اسواق الكرخ ، احداثاً حسيمة وحركات شغب كثيرة ، فقد جعل طاهر بن الحسين لما دخل بغداد ، من سوق الكرخ مكاناً يستأمين فيه اهل بغداد اذا ارادوا الامان ووضعوا السلاح وبايعوا المؤمنون^{١٢} ، مما يدل على ان السواد الاعظم من مناوئيه قد شغبوا وتحركوا في هذا السوق الكبير . ولما شغب ابن عائشة وجماعته في عهد المؤمنون ، اتهم بأنه قد وشى في حرق سوق العطارين والصيارة والصفارين والغرائين^{١٣} . وعزى التنوخي^{١٤} سبب الحرائق الى : « ان جلا عليه قصب اجتاز في سوق

١٠. الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٩٣ . البعقرى : البلدان ، ص ١٩ وقد وصفها « بالسوق العظيم الواسعة » .

١١. جدير بالذكر ان الاسواق عند مدينة بغداد كانت في طاقاتها الاربع في كل واحد منها سوق ، يقدم الخدمات للطبقة الراقية القاطنة في المدينة ، الا انه وبعد مضي حوالي عشر سنوات من بناء مدينة بغداد ، نقلت الاسواق من المدينة الى باب الكرخ وباب الشعير وباب المحول وقطيعة الربع وغيرها من المناطق بامر من المنصور ، وبرور الايام اصبح بامكان اهل السوق الاقامة فيها بموافقة الخليفة او بغير علم منه - المجلة التاريخية ، العدد الثاني ، حول مدينة بغداد ، ترجمة د . حسين قاسم العزيز . ص ١٥ . وعبر اليعقوبى في كتابه البلدان ، ص ٢٠ عن ذلك بقوله : « والكرخ اوسع الجانين لكثرة الاسواق والتجارات في الجانب الغربى » .

١٢. مؤلف مجهول : العيون والحدائق في اخبار الحدائق ، ج ٣ ، ص ٣٣٥ .

١٣. ابن طفيل : بغداد ، ص ٩٧ - ٩٨ .

١٤. التنوخي : نثار المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٠١ .

الخرازين وكان رجل يثقب لؤلؤا وبين يديه نار فوقع طرف القصب على النار فاشتعلت وبلغت الجمل في لحظة ، فكان الجمل كلما احس بوقع النار عدا وتنافض الشرار من جانبي الطريق فحرق كل ماتحيط به فلم يزل على ذلك الى ان تلف الجمل وتشاغل الناس بطفي الحريق الواقع في الدور والعقارات فكان حد ما احترق من اول سوق الخرازين الى طاق الحراني^{٢٠} . . . وتلف ناس كثير وزالت نعم عظيمة بذهب الاموال ». ومن الطريق وحسن الصدف ان الشاعر الجماز^{٢١} ، قد ذكر احد تلك الخراائق التي شهدتها الاسواق آنذاك من خلال هجائه لابي السمعط^{٢٢} قائلاً^{٢٣} :

اجتمعَ النَّاسُ وصَاحُوا : الْحَرِيقَ
بِبَابِ عَثْمَانَ وسُوقِ الْسَّرْقِيقَ
فَجَاءَ مَرْوَانَ عَلَى بَغْلَةٍ فَانْشَدَ الشِّعْرَ فَأَطْفَلَ الْحَرِيقَ
انْتَشَرَتْ فِي بَغْدَادِ وَفِي مَنَاطِقِ أَخْرَى خَارِجَهَا ، اسواقَهَا تسميات
بحسب ما يباع فيها وهي ما يكمن ان ندعوه بالاسواق المتخصصة ، كسوق

٢٠. « طاق الحراني بالجانب الغربي قالوا : من حد القنطرة الجديدة وشارع طاق الحراني الى شارع باب الكرخ منسوب الى قرية تعرف بورشال - ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥ .

٢١. هو محمد عمر بن عطا ، شاعر اديب بصري وكان ماجنا خبيث اللسان معاصرًا لابي نواس واكبر منه سنًا ، دخل بغداد أيام الرشيد والمتوكيل ويقصد بالجماز : الوئائب - الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٣ ، ص ١٢٥ .

٢٢. هو ابو السمعط مروان الاصلن ، عاصر الواثق والمتوكيل كان ساقطا بارد الشعر ، مدح المتوكيل وولاته العهود الثلاثة - ابو الفرج الاصبهاني : الاغاني ، ج ١١ ، ص ٢ - .

٢٣. الباحث : رسائل المباحث ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ .

اللحم^(١) التي تعرض فيها الماشية والدواب والطيور للبيع والشراء فقد : « انفذ فارس من الجند الذين كانوا ينوبون في دار الفضل بن سهل ، دابة قد زمنت لتباع في سوق اللحم . . . »^(٢) ومنهم من يسميها بسوق الدواب^(٣) وفي الاحداث ان « احمد بن عبدالله بن عبد الرحيم من صنف التاريخ قد ضربته دابة فمات في يومه وكان يمشي في سوق الدواب^(٤) » ، وسوق القصاصين الذي جعل في اخر الاسواق بأمر من المنصور لما نقلت الاسواق الى باب الكرخ^(٥) ، وسوق دار البطيخ قبل ان تنقل الى الكرخ في درب يعرف بدرب الاساكفة وقد نقلت الى داخل الكرخ^(٦) . وهنالك اسواق بأسماء بعض ايام الاسبوع^(٧) كسوق الثلاثاء في بغداد بالجانب الشرقي^(٨) ، وموقعه على وجه التحديد : بين مربعة الحرس بالشمساوية وباب الازج^(٩) ، وقد « تجمع فيه جند احمد بن الموفق لما دخل بغداد برأس صاحب الزنج وكان جيشا لم ير مثله في سوق الثلاثاء الى المحرم . . . »^(١٠) ، وروى التنوخي^(١١) انه : « كان لشيخ من التجار مال قليل

(١) وقد سماه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج ١ ، ص ١١٤ (سوق الغنم) .

(٢) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .

(٣) كالمخطيب البغدادي : في تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ١١٤ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٥ ، ص ٧٠ .

(٥) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٨٠ .

(٦) نفس المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨١ .

(٧) بسمها المقدس من ٢٢٥ - ٢٢٦ بالاسواق الاسبوعية التي تقام في يوم معين من الاسبوع وتعرف باسم ذلك اليوم .

(٨) نفس المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٩٥ . الباعقوبي : البلدان ، ص ١٤ .

(٩) الازدي : حكاية ابن القاسم البغدادي ، ص ٢٢ .

(١٠) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٥ ، ص ٧٠ .

(١١) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ١٩ .

على بعض القواد فها طله واستخف به ، قال : فعملت على الظلمة الى المتضليلاني كنت تحملت عليه واستشفعت وتظلمت الى عبيد الله بن سليمان فلم ينفع ذلك فقال لي بعض اخواني على ان اخذ لك المال ولاحتاج الى الظلمة الى المتضليل ، قم معي الساعة ، فقمت معه فجاء بي الى خياط في سوق الثلاثاء وهو جالس يخيط . . . » مما يدل على انه كان سوقا عامرا ومشهورا ولذلك يشار اليه كدليل يستدل به على بعض مواضع بغداد^(١) . ومنها سوق الاربعاء ، ذكر ابو الحسن الصيدلاني قال : « كان عندنا بسوق الاربعاء حدث لحقة وجمع في معدته شديد بلا سبب يعرفه وكانت تضرب عليه فحمل الى الاشواز فعولج بكل شيء فما نجع فيه دواء فرد الى بيته فأجتاز بنا طبيب متوجول فوصف له دواء شفي به^(٢) » . وهناك سوق بهذا الاسم في الموصل يقع على ضفة نهر سمي بنهر سوق الاربعاء^(٣) . ويرد في احداث ثورة الزنج ذكر سوق الخميس كأحد المواضع التي تحصن فيها الزنج ففي سنة (٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م) شخص الموفق لمحاربة صاحب الزنج وبعث بأبنه ابي العباس الى سوق الخميس وكان الشعراي صاحب العلوى قد تحصن بها في جمع كثير من الزنج ففتح هذا الموضع^(٤) ، وقد بني صاحب الزنج لاتباعه مدينة في سوق الخميس سماها المنيعة^(٥) . وفي احداث سنة (٢٦٩ هـ / ٨٨٢ م) « انتهى

(١) وقد اشار اليه ابن بطرطة بقوله : « وهذه الجهة الشرقية من بغداد حائلة الاسواق عظيمة الترتيب واعظم اسواقها سوق بسوق الثلاثاء كل صناعة فيها على حدة وفي وسط هذا السوق المدرسة النظامية المجيبة وفي اخره المدرسة المستنصرية » رحلة ابن بطرطة ، ج ١ ، ص ١٤١ .

(٢) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ١٠٧ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٣٥ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٠٧ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٣٤٢ .

اصحاب الموفق الى سوق لصاحب الزنج كان اخذها مظلة على دجلة سماها
الميمونة . . . فهدمت واحتربت^(١) وفي الاسواق التي التجأ اليها الزنج لما اشتد
الامر عليهم سوق كانت تعرف بسوق الحسين وقد نقل اليها ما كان في الاسواق
السابقة التي اكتسحها جند السلطان^(٢) . ولعل سوق المباركة تعتبر من اعظم
اسواق الزنج « وكانت في ظهر دار الهمدانى متصلة بالجسر الاول المعقود على نهر
ابي الخصيب ، وهي معقل عظيم تجتمع فيه الزنج وبه تجارتهم وقوام
اقتصادهم ، وقد حاصرها الموفق من جهاتها الثلاث وأضرم النار في طرف من
اطرافها . . . » وورد ايضا اسم سوق الريان وقد تحصن فيه اصحاب
السلطان قبلة الزنج^(٣) .

ووُجِدَتْ في بغداد سوق خاصة لبيع النبيذ ومنهم من يبيع فيها الدواء فكان
الناس يؤمّون هذا السوق لشرب النبيذ بحجّة شراء الدواء وهي حجة مفضوحة
عند المحتسب ، فقد ذكر ان ابا سعيد الاصطخري من اصحاب الشافعى قد
ازال هذا السوق لما قلد حسبة بغداد وقال : لا يصلح الا للنبيذ المحرّم باعتبار
ان وجوده تحدّى صریح لما اتفق عليه رأى الفقهاء^(٤) . وفي حكاية ابي القاسم ذكر
لعدد من اسواق بغداد « كسوق يحيى^(٥) ، ويلي باب الطاق وسوق العروس

(١) الطبرى : ج ٩ ، ص ٦١٨ .

(٢) نفس المصدر : ج ٩ ، ص ٦٣١ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٣٨٤ .

(٤) الطبرى : ج ٩ ، ص ٤٢٤ .

(٥) ابن الاتوة القرشى : معالم القرية في احكام الحسبة ، ص ٣٦ .

(٦) ورد اسم هذا السوق عندما دخل احمد بن الموفق برأس صاحب الزنج الى بغداد اذ تجمّع جنده في جيش
لم ير مثله في سوق الثلاثاء الى المحرّم وبباب الطاق وسوق يحيى . . . - المتظم ج ٥ ، ص ٧٠ ، كما ورد ذكره
في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، ج ٦ ، ص ٣٧٦ .

وسوق النحاسين والرفائن والحلالين^{٢٠} » وهناك سوق اللعب الذي يقع على طاق عرف بهذا الاسم يستأنس فيه الناس ويمرحون بلعب وجدت في هذا السوق وقد بقي هذا السوق ولم يعترض عليه احد من المحتسين ويستندون في ذلك الى ان عائشة (رض) كانت تلعب بالبنات بمشهد رسول الله (ص) فلا ينكر عليها^{٢١} .

وما تميز به القرن الثالث الهجري انتشار الرقيق باعداد كبيرة كظاهرة اجتماعية ورافق ذلك وجود اسوق خاصة في المدن لعرض وبيع وشراء هذا الرقيق وقد سميت بأسواق النحاسين يوكل عليها عامل خاص او عمال يتولون من قبل الاشراف اصحاب التجارة المربحة .

وانشرت هذه الاسواق في المدن الكبيرة كبغداد وسامراء والبصرة وبلاط اليمن^{٢٢} ، يباع فيها الرقيق باسعار مختلفة تبعا لنوعيته فهناك الرقيق الابيض والاسود ، ومنهم الغلمان والجواري والخدم والخشم . وقد كانت هذه الاسواق مراكز لتجتمع الرأي العام منهم الشارى والبائع والعارض والمنادى والمترفج ومنهم الساخط الذي وجد في هذه التجارة مأساة انسانية ، وهو بذلك يشارك الرقيق مشاعرهم المتذمرة ، كيف لا وقد وضعوا في اقفاص ونوادي عليهم بالزاد وكأنهم سلع تباع وتشتري يحق لصاحبها امتلاكها ، ووجد الناقدون في امتلاك العبيد الذي اباحه الاسلام مثلمة مع ان الاسلام حض على ذلك رقاهم^{٢٣} .

٢٠. حكاية أبي القاسم البغدادي ، ص ٢٣ .

٢١. ابن الأخرة القرشي : معالم القرية في احكام الحسبة ، ص ٣٦ .

٢٢. اليعقوبي : البلدان ، ص ١٣ ، ٢٦ .

٢٣. سورة التوبة : الآية ٦٠ .

الى جانب الاسواق العمومية لبيع الرقيق هناك اسواق اخرى صغيرة توجد عادة في الدور والمنازل الخاصة^{١٠} ، او عند بعض التجار الكبار الذين تخصصوا ببيع انواع جيدة من الرقيق بأسعار غالبة لا يقدم على اقتناها الا الخواص من الناس كالخلفاء والوزراء^{١١} .

يعتبر سوق النخاسين في البصرة من الاسواق المشهورة يؤمها القاصي والداني نظراً لموقعها على طريق المواصلات البحرية الذي ينقل الرقيق بواسطته من ا أنحاء مختلفة من العالم ، ذكر ابن الجوزي^{١٢} : ان ابا العينين اشتري غلاما من هناك بثلاثين دينارا وهو يساوي اكثر من ذلك بكثير . وفي سامراء وجدت « سوق الرقيق مربعة فيها طرق متشعبه ، وفيها الحجر والغرف والخوانيت للرقيق»^{١٣} . وكانت هناك في بغداد سوق كبيرة للنخاسين تقع في صينية الكرخ بين درب عون وطاق اللعب^{١٤} . واورد الحريري في مقاماته^{١٥} ، على لسان الحرث بن همام ، وهو في بلاد اليمن وقد مات غلام له عزيز عليه قائلا : « فقصدت من يبيع العبيد بسوق زبيد فقلت : اريد غلاما يعجب اذا قلب ويحمد اذا جرب ول يكن من خوجه الاكياس واحرجه الى السوق الافلاس فاهتز كل منهم لطلبي . . . فلما رأيت النخاسين ناسين او متناسين . . برزت

١٠، رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد المجرة مطبعة الزهراء ، بغداد ،

ص ٢٣ .
١١، ابن الساعي : نساء الخلفاء ، ص ٤٧ .

١٢، ابن الجوزي : المتنظم ، ج ٥ ، ص ١٥٩ .

١٣، اليقوري : البلدان ، ص ٢٦ .

١٤، حكاية ابي القاسم البغدادي : ص ٢٢ .

١٥، مقامات الحريري : ص ٢٧٠ - ٣٧٢ .

السوق بالصفر - اي بالدنانير والدراهم - فاني لاستعرض الغلمان واستعرضن
الاثمان اذ عارضني رجل قد اختطمت بلثام وقبض على زند غلام وقال :
مَنْ يَشْتَرِي مِنِي غَلَامًا صَنَعَا فِي خَلْفِهِ وَخُلْفِهِ قَدْ بَرَعَا
بِكُلِّ مَا نُسْطَطَ بِهِ مَضْطَلِعَا يُشْفِيكَ أَنْ قَالَ وَانْ قُلْتَ وَعَى
قَالَ فَأَعْجَبْنِي وَاشْتَرَيْتَهُ بِمَا تَيَّرَ دَرَهْمٌ^(١).

اخذ الرأي العام من الاسواق مراكز يتجمع فيها وبخاصة في اوقات
الازمات والفتن فقد « تجمع اصحاب المعتز من الغوغاء والسوق ، واصحاب
الحمامات وغلمان الباقلي في السوق وناحية الشارع في نحو من الف رجل
والسلاح في ايديهم^(٢) ». وفي سنة (٤٦٥ / ٢٥١) تجمع الغوغاء بسامراء
« فانتهوا سوق اصحاب الحلي والسيوف والصيارة واخذوا جميع ما وجدوا فيها
من متع وغيرة ، فأجتمع التجار الى ابراهيم المؤيد اخي المعتز فشكوا ذلك اليه
واعلموا انهم كانوا ضمننا لهم اموالهم وحفظها عليهم فقال لهم : كان ينبغي
لكم ان تحولوا متعكم الى منازلكم^(٣) ».

تبرز اهمية الاسواق كمراكز لتجمع الناس من خلال احداث الزنج فقد
« تجمع زهاء اربعة الاف رجل او يزيدون من اصحاب السلطان وفي مقدمتهم
قوم عليهم ثياب مشهورة واعلام وطبول في سوق الريان وعلى رأسهم رجل من
الاتراك يكنى ابا هلال^(٤) من التجار والباعة واصحاب السوق والمتفعين
اعداء الزنج . وفي المناسبات العامة والافراح تزين الاسواق والدكاكين بعلام

(١) مقامات الحسيني : ص ٣٧٤ .

(٢) الطبرى : ج ٩ ، ص ٢٥٦ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ١٤٩ .

(٤) الطبرى : ج ٩ ، ص ٤٢٤ .

الرينة والبهرجة وتكتظ بالناس كالذى حدث في اواخر القرن الثالث الهجري عندما ورد رسول صاحب الروم الى بغداد اذ «وقف الجند على اختلاف ايجاهم صفين بالثياب الحسنة وتحتهم الدواب براكب الذهب والفضة وبين ايديهم الجنائب . . . وقد اظهروا العدد والاسلحة الكبيرة من اعلى باب الشماسية والى قريب من دار الخلافة وبعدهم الغلمان والخدم والخواص . . . الى حضرة الخلافة بالبزة الرائقة والسيوف والمناطق المحلاة واسواق الجانب الشرقي وشوارعه وسطوحه ومسالكه مملوءة بالعامة النظارة وقد اكتفى كل دكان وغرفة مشرفة بدراهم كثيرة^(١) » .

وهناك اماكن في الاسواق والشوارع العامة يتجمع فيها الناس لامر معين او حدث يجلب انتباه الرأي العام ، ويدخل في هذا المجال المشاجرات الفردية التي تستثير باهتمامات الناس ، والاماكن التي يقف فيها الباعة المتجولون الذين ينفردون ببيع سلعة نادرة او بضاعة رخيصة ، او دواء يشفى مريضا او امراضا ، وهذا الصيف انتشر في بغداد في اكثر من شارع وجانبا ، كالذى ذكره ابن طيفور^(٢) : من ان باشا في شارع الخلد ، كان ينادي على دواء لبياض العين قد اثنالوا عليه من كل جانب .

٣ - المساجد :

بظهور الاسلام اصبح المسجد اقدس مكان للعبادة ، يؤم فيه الخليفة او الوالي او الامام الناس في الصلاة بأوقاتها الخمس ، وينخطب من على منبره في جماعة المسلمين في امور الدين والدنيا بعد كل بيعة ، وفي ايام الجمعة ، والاعياد ، والمناسبات الاخرى ، والمسجد افضل مركز لادارة شؤون الدولة

(١) الصابي : رسوم دار الخلافة ، ص ١١ - ١٢ .

(٢) ابن طيفور : بغداد ، ص ٥٠ .

السياسية والاجتماعية ايام الحرب والسلم ، فقد استقبل فيه الرسول (ص) السفراء والرسل^(١) ، وكان ابو بكر يجلس في ساحة مسجد النبي للنظر في شؤون الامة وهو اقرب الناس الى رسول الله^(٢) ، وعقدت في رحابه المعاهدات وتعالت في ارجائه صيحات الحرب وهمسات السلام وعبارات النصح والارشاد ، وانخذ لسوق قريب مقرا لاجتماع العلماء واصحاح الرأي ، ومعهدا لنشر العلم والمعرفة يتعلم فيه الناس اصول الدين واللغة ، و منتدى للشعر والادب والمناظرة ، و مجلسا للنظر في المظالم والخصومات . وانخذ القضاة مكانا لعقد جلساتهم ومراجعتهم ومحكمة للتقاضي ، وموضعا يجذب فيه المتهم مؤقتا الى حين صدور الحكم الفوري عليه وفق مبادئ الاسلام^(٣) .

كان اول مسجد اسس في الاسلام هو مسجد قباء ، وقد شارك الرسول (ص) في وضع لبناته الاولى ، وفي المدينة بنى المسلمين مساجدهم المعروف الذي دفن فيه رسول الله^(٤) ، والذي على غراره بنيت المساجد الاسلامية الاخرى كمسجد البصرة والكوفة ومسجد عمرو بن العاص في مصر وجامع القيروان في شمال افريقيا وجامع واسط في العراق .

انخذ المسلمين من المساجد معاهد للدراسة والتدرис اقتداء بما جرى عليه الرسول عندما انخذ من المساجد اماكن لجتماع الرأي العام وحلقات للدرس عن ابي واقد الليثي قال : « بينما رسول الله (ص) في المسجد فا قبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان الى رسول الله (ص) وذهب واحد ، فاما احدهما فرأى

(١) حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ، ص ١٥٧ .

(٢) فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ، ج ١ ، ص ٢٣٣ .

(٣) سبق ان اوضحت ذلك في بحث السجون .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٤٩٤ - ٤٩٨ .

فرجة فجلس واما الآخر فجلس خلفهم ، واما الآخر فأدبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله (ص) قال : الا اخبركم عن الثلاثة اما احدهم فأوى الى الله فاواه الله واما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه واما الآخر فاعرض فاعرض الله عنه^(١) ، وذات مرة دخل كعب بن زهير على الرسول (ص) وهو في المسجد بين اصحابه ، طالبا منه الامان وانشد : « بانت سعاد فقلبي اليوم متبول^(٢) » ، وهو شعر غزل اصغى له الرسول والحاضرون من المسلمين وقد انعقد نيتهم للصلوة ، فلنا ان نقيس على ذلك امورا اخرى تتعذر كون المسجد مكانا للعبادة ، ومعهدا لتعليم امور الدين ، مما يدل على المكانة المرموقة التي احتلها المسجد في حياة الجماعة الاسلامية .

ان كون المسجد مدرسة يتعلم فيها الناس امور الدين والدنيا ، حقيقة لا غبار عليها فقد تنوّع وتعددت حلقات الدرس والمناظرة في المساجد وخصصت الكراسي والاساطين والزوايا ، لتدرس فيها مختلف صنوف المعرفة التي لم تقتصر على المعارف الدينية بل تعدتها الى العلوم الصرفة كالكيمياء والطبيعتيات والطب والرياضيات . فقد روى صاحب الاغاني^(٣) : ان شيخا من اهل الكوفة دخل مسجد المدينة بيغداد بعد ان بويع الامين بسنة فاذا عليه جماعة وهو ينشد .

لَفِي عَلَى وَرْقِ الشَّبَابِ وَغَصُونِيَ الْخَضِرِ السَّرْطَابِ
ذَهَبَ الشَّبَابُ وَبَانَ عَنِيَّ غَيْرَ مُتَسَرِّضِ الْأَيَابِ . . . السَّخِيفُ
 قال : فجعل ينشدها وان دموعة لتسيل على خديه ، فلما رأيت ذلك لم اصبر ان ملت فكتبتها وسألت عن الشيخ فقيل لي هو ابو العتايبة . وفي سنة

(١) صحيح البخاري : ج ١ ، ص ٦٣ .

(٢) الاصبهاني : الاغاني ، ج ١٥ ، ص ١٤٩ .

٣.. الاصبهاني : الاغاني ، ج ٣ ، ص ١٤٨ .

(٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م) رحل الطبرى الى مصر واملى في مسجد عمرو شعر
الطرماح عند بيت المال في الجامع^{١٠}.

استمر المسجد في القرن الثالث الهجري مركزاً لجتماع الرأي العام
الإسلامي في العبادة وعند الازمات والشدائد ومنبراً يدعى الناس فيه للجهاد ،
والولاء ، والنصيحة ، والمعونة الحسنة . وكانت للخطب التي تلقى من على
منبره كل جمعة ومناسبة اثر كبير في نفوس الناس وقد مارس بعض الخلفاء
الخطابة في المساجد كما فعل الخليفة المهدى بالله الذي كان « يحضر كل جمعة
إلى المسجد الجامع ويخطب الناس ويؤمّن بهم »^{١١}.

ومن مراسيم الخلافة التي اصبحت تراثاً إسلامياً ، مبادئ الخليفة بيعة عامه
في المسجد والذي يلاحظ على هذه البيعة أنها اصبحت شكلية في منتصف القرن
الثالث الهجري بعد ضعف الخلافة العباسية وسيطرة الاتراك على مقايد
الامور ، ومع ذلك فقد حافظوا عليها ارضاء للرأي العام الإسلامي « ففي سنة
٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م بايع القواد والموالي والشاكيرية واهل بغداد الخليفة المعترز
ونخطب له في المسجد الجامع ببغداد في الجانب الشرقي والغربي »^{١٢} فكان ذلك
بهيبة البيعة العامة له في حين ان بيته الخاصة انحصرت برغبة نفر من الامراء
الاتراك نادوا به خليفة مكان أخيه المستعين الذي تنازل عن الخلافة قسراً^{١٣}
يحتل المسجد مكانة مقدسة في نفوس المسلمين كمركز رئيس للعبادة التي
هي ركن اساس في صرح الدين الإسلامي ، يلجمـاـ اليه الضعفاء والمظلومون

١٠. ياقوت الحموي : معجم الادباء ، ج ٤ ، ص ٢٤٣.

١١. المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٨٣.

١٢. المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٦٦.

١٣. ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ١٦١.

كلما اصابتهم حاجة وخصوصية ، وقد يتخذون الناقمون حصننا يتحصنون فيه
 كحرام آمن ، عندما خرج العامة على المهدى سنة (٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م)
 « صاروا الى دار اشناس وقد صيروها مسجدا جاماها لهم فوقف ووقفوا له في
 الرحبة واجتمع منهم زهاء مائة وخمسين فارسا ونحو خمسة راحل » .
 وعندما طلبوا صالح بن وصيف « اجتمعوا في مسجد لجين ام ولد المتوكيل
 بسامراء » . ولما ضيق الامر بالزنج في حصار الموقن لم تحصنوا في المسجد
 الجامع فكان حاسهم في الدفاع عن المسجد وقدسيته يفوق حاسهم وهم في
 خارجه وقد استغل صاحبهم العلوى ذلك في إهاب مشاعرهم الدينية » .
 ومع ما للمسجد من قدسيّة دينية ورابطة اجتماعية في نفوس المسلمين
 فان الازمات والمشاغبات قد تبطل هذه القدسية ، وتحول دون اداء الناس
 لصلواتهم وشعائرهم ، فقد « منع اهل المدينة من الصلاة في مسجد الرسول
 (ص) اربع جمع لا جماعة بدخول محمد وعلي ابني الحسين بن جعفر
 المدينة سنة (٢٧١ هـ / ٨٨٤ م) » .

اتخذت المساجد مراكز لتوعية الناس وشعاراتهم بأوضاعهم وتعليمهم
 امور دينهم وآلي ما يراد منهم فعله محاربة للباطل والمنكر والاووضع الشاذة ، ففي
 سنة (٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م) « ضجت العامة بسبب غلاء السعر واجتمعت
 للتوبي بالطائي ، فأنصروا من مسجد الجامع للنصف من شوال الى داره بين
 باب البصرة وباب الكوفة وجاءوه من الكرخ فأصعد الطائي اصحابه على

^{١٠} الطبرى : ج ٩ ، ص ٤٤٤ .

^{١١} نفس المصدر ، ج ٩ ، ص ٤٥١ .

^{١٢} الطبرى : ج ٩ ، ص ٦١٨ ، بالإضافة الى ما اورده ابن الاثير في الكامل ، ج ٧ ، ص ٣٧٦ .

^{١٣} الطبرى : ج ٩ ، ص ٧ .

السطوح فقتل بعض العامة وجرحت منهم جماعة ولم يزالوا يقاتلونهم الى الليل حتى انصرفوا^{١٠} .

ومن فوق منابر المساجد روج اصحاب المبادئ والافكار مبادئهم وافكارهم ، روى ابن الجوزي^{١١} : « ان جماعة من اهل البدع والاعجم ، قدموا ببغداد فارتقوا المنابر فكان معظم ما يقولونه للعوام : ليس لله في الارض كلام . . . وان الله ليس في السماء ، فكان ذلك مدعوة لانقسام الناس بين اكثريه من جماعة السنة تحارب هذه الاقوال ، واقليلة منهم ساورتهم الشكوك وتسربت الى اذهانهم الريبة والشبهات » .

وأخذ الناس من المسجد مكانا يقضون فيه جزءا من اوقاتهم يتجادلون فيه اطراف الحديث وينظمون تحت سقوفه وبين رحابه اعذب الاشعار ، « فقد حدث ابو العتاھیہ قائلًا : قدمنا من الكوفة ثلاثة فتیان شبان ادباء وليس لنا ببغداد من نقصده ، فنزلنا غرفة بالقرب من الجسر ، فكنا نبکر فنجلس في المسجد الذي بباب الجسر في كل غداة وكنا نستعرض المارة ونقول فيهم ماشاء فإذا ما مرت امرأة سألنا عن اسمها وعملنا فيها شعرا » .

ولابأس ونحن بقصد البحث عن المساجد باعتبارها مركزاً منها من مراكز الرأي العام الاسلامي ، ان نذكر ان هذه المساجد قد انتشرت في بغداد انتشارا لانظير له كاماكن للعبادة تقام فيها الصلوات الخمس بأوقاتها ، وان بعضها منها تخصصت بصلة الجمعة والخطبة ، وهي ماتعرف بالمسجد الجامعة التي امتازت بسعتها وتعدد اقيمتها ، وقد اورد ابو المظہر الاذدي^{١٢} بعضها عند

١٠ الطبری : ج ١٠ ، ص ١٠ .

١١ ابن الجوزي : صيد الماطر ، ص ١٤٥ .

١٢ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ٦ ، ص ٢٥٤ .

١٣ ابو المظہر الاذدي : حکایة ابی القاسم البغدادي ، ص ٢٣ .

وصفه لبغداد ، كجامع المنصور^{١٠} ، وجامع الرصافة^{١١} ، وجامع القطية^{١٢} ،
وجامع برأنا^{١٣} ، وغيرها .

واضاف الخطيب البغدادي الى ذلك : مسجد الخضر الذي يقع على
مقربة من قبر معروف الكرخي^{١٤} ، ومسجد ابن شاهين بالجانب الشرقي^{١٥} ،
والمسجد الجامع يسر من رأى^{١٦} ، وذكر ابن بطوطة^{١٧} : « ان بيغداد من
المساجد التي يخطب فيها وتقام فيها الجمعة احد عشر مسجدا منها بالجانب

١٠ وفي زمن المعتصم بالله زيدت مساحة هذا المسجد الجامع ليستوعب الفائض من المسلمين - الخطيب
البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ١٠٨ - .

١١ وهو المسجد الجامع الذي بناه المهدى في اول خلافته وهو ثانى مسجد بمدينة السلام بعد مسجد المدينة -
تقام فيه صلاة الجمعة - الخطيب البغدادي ، ج ١ ، ص ١٠٩ .

١٢ نسبة الى قطعة ام جعفر في الجانب الغربي بالقرب من نهر القليين - الخطيب البغدادي ، ج ١ ،
ص ١٠٩ .

١٣ ولعله هو ما اشار اليه الخطيب البغدادي بقوله : « وفي السوق العتيقة مسجد تنشاه الشيعة وتزوره
وتظمه وتزعم ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب صل في ذلك الموضع » ، ج ١ ، ص ٩٠ . وقد هدم بأمر من
المقتدر بالله لاجتماع الشيعة فيه ومكث خرابا الى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة حيث اصبح من المساجد
الجامعة المعروفة في مدينة السلام .

الخطيب البغدادي : ج ١ ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

١٤ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٢٧٦ :

١٥ نفس المصدر ، ج ٦ ، ص ٣٩٧ .

١٦ نفس المصدر ، ج ٦ ، ص ٢٩٨ .

١٧ رحلة ابن بطوطة : ج ١ ، ص ١٤١ .

الغربي ثماني وبا جانب الشرقي ثلاثة والمساجد سواها كثيرة جداً »^{١٠} .
ويكفي ان نقول بان المسجد لازال يؤثر في الرأي العام بما له من قدسية
دينية في قلوب المسلمين .

٤ - المجتمعات العامة :

تعددت مراكز تجمعات الرأي العام الاسلامي في القرن الثالث الهجري
بتعدد الاماكن التي يتعدد الناس عليها في المناسبات والاعمال اليومية ، من هذه
المراكز المتفرقة الحمامات التي وجد منها الكثير في بغداد وخارجها ، و المجالس
المناظرة والمناقشة والجدل بعد ان اظهرت مخنة القرآن وتبينت الفرق والمذاهب
الاسلامية والمكتبات التي انشأها بعض الخلفاء اسناداً للعلم والمعرفة كدار
الحكمة او بيت الحكمة في بغداد التي تحفظ فيها الكتب كما يحفظ مال الدولة في
بيت المال^{١١} ، التي وضع نواتها الرشيد وغامها وقوتها ابنه المأمون^{١٢} . وكدار
العلم بجانب الكرخ ببغداد ، وقد اشتغلت على مئات الكتب في مختلف
العلوم ، وكدار العلم في الموصل ، وفيها خزانة كتب في جميع العلوم وكانت
وقد اشتغل طالب علم ، وهناك دور الكتب في المساجد والربط ينهل منها
المتعلمون عموماً والطلاب والأساتذة في حلقات التدريس المتعقدة في المساجد
على وجه الخصوص . وقد تنافس هواة العلم في تزويدها بالكتب ووقفها
عليها .

تعتبر المناسبات العامة فرضاً للتجمع الرأي العام واماكن يزدحم فيها الناس

١٠. حصصت مساجد بغداد عموماً بثلاثين ألف مسجد ، خمسة عشر ألفاً منها في جانب الكرخ (انظر :

اليعقوبي : البلدان ، ص ١٧ ، ٢٠ ، ٢١) .

١١. احمد امين : ضحى الاسلام ، ج ٢ ، ص ٦٤ .

١٢. نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٦١ .

كمناسبات الافراح في الاعياد والولائم ، وحفلات الزواج والختان وايام الحج والزيارات الرسمية و مجالس السمر والغناء في قصور الخلفاء والاثرياء واعلان الجهاد او بعد الانتصارات في الحروب وقهر الاعداء . ومناسبات الافراح كالالتجمع على المقابر والجناز واللائمه العامة وعند الشدائيد والازمات والكوارث الطبيعية ، وعند العتبات المقدسة التي يقصدها الناس للزيارة والتبرك وما الى ذلك مما يدخل في معتقدات العامة الدينية . وسنعرض لبعض هذه الاماكن والمناسبات كمراكز تجمع فيها الرأي العام الاسلامي في القرن الثالث الهجري .

وتأتي الاعياد الدينية في مقدمة المناسبات المفرحة التي توفر للناس فرصة الاجتماع في المسجد ، لاداء صلاة العيد والعادة ان يحضر الخليفة ، او من ينوب عنه . ويتعارف المصليون ، ويهتف بعضهم ببعض من خلال هذا الاجتماع ، وعن طريق هذه الاجتماعات الثابتة يظهر الرأي العام افراحه وطقوسه التي تنم عن الرضى التام . وهناك حفلات الزواج وما يرافقها من ولائم ودعوات و مجالس طرب وغناء ولا ادل على ذلك من زواج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل « اذ كان عرسا لم يسمع بمثله في الدنيا »^(١) . ومثل الوليمة العظيمة التي اولها المتوكل لما اعذر ابنه المعتز^(٢) ، ويقدم احمد بن طولون ثوذاجا فريدا للولائم الباذخة التي اجتمع عندها العديد من الناس من اهل مصر^(٣) . ويلاحظ على هذه الولائم كونها مركزا للتجمعات الطبقة الخاصة دون العامة التي تتضور جوعا .

(١) ابن طيفور : بغداد من ١١٥ .

(٢) الشعالي : لطائف المعارف ، ص ١٢٢ .

(٣) ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص ١٠٥ .

وتشهد بيوت المحسنين من المسلمين ايام الحجج الكثير من هذه الولائم التي يقيمها الحجاج الذين عادوا لتوهم من اداء هذه الفريضة المقدسة وصدورهم تحيش بعواطف دينية يحرضون على اظهارها بالبذخ والعطاء . وجدير بنا ونحن بصدق هذه المناسبة ان نذكر ان الحج يعتبر وعلى مستوى عالمي موسمية لا مثيل لها ومركزها فريدًا يتجمع فيه الرأي العام الاسلامي حتى الوقت الحاضر .

ومن المراكز التي شهدتها القرن الثالث الهجري ، مجالس المنااظرة والمناقشة التي عقدت بأمر الخلفاء انفسهم ، « فقد امر المؤمن عند دخوله بغداد ان يجتمع له وجوه الفقهاء واهل العلم من اهل بغداد فاجتمع من اعلامهم اربعون رجلا وجلس المؤمن لهم يناقشون في مسائل الحديث والعلم^(١) » وتكررت هذه المجالس لما جاهر المؤمن بالقول في خلق القرآن ، كالمجالس التي عقدها اسحاق بن ابراهيم والي بغداد بامر من المؤمن نفسه عدة مرات^(٢) ، وبمجالس اخرى عقدها العلماء والفقهاء والادباء للمناقشة في مسائل اللغة والعلم والمعرفة والاواعض العامة التي عليها الدولة ، مما يدل على ان هذه المنااظرات لم تقتصر على الامور الدينية ، فهي لذلك تعتبر مراكز عبر فيها الرأي العام الاسلامي عن كل ما يشغل اذهان الناس آنذاك . وقد عقدت بعض هذه المجالس في قصور الخلفاء والامراء ، « حقد المهدى بالله على احمد بن اسرائيل لما قيل له ان احمد قد ذكره بكلام بشع قبيح في مجلس المعذز بالله ورسم ان يضرب بباب العامة الف سوط »^(٣) :

(١) ابن طيفور : بغداد ، ص ٤٠ .

(٢) الطبرى : ج ٨ ، ص ٦٣٤ .

(٣) البيهقي : المحاسن والمساويه ، ص ٥٣٨ - ٥٣٩ .

ومن بين اماكن تجمع الرأي العام العديدة التي شهدتها القرن الثالث المجري ، ظلت الاماكن الدينية كالعتبات المقدسة ، ومقابر الائمة والصالحين من اهم المراكز التي ازدحم فيها الناس ، يظهرون حول اعتابها الطاعة والتذلل والمغفرة ، واذا ما تعرضت هذه الاماكن لحيف او قهر ضج الرأي العام الاسلامي مدافعا عنها لما لها من هيمنة على نفوس الناس^(١) .

ويكتظ الناس حول الجنازات ومدافن الموتى ، فقد اتخذ الناس من الموضع الذي علقت فيه جثة احمد بن نصر الخزاعي ، مكانا يجتمعون فيه « ولما هم المتوكل من انزالها عن الخشبة اجتمع الغوغاء والراغع الى موضع تلك الخشبة وكثروا وتكلموا فبلغ ذلك المتوكل فوجه اليهم نصرا بن الليث فأخذ منهم نحوا من عشرين رجلا فضربيهم وحبسهم^(٢) » وذكر ابن كثير^(٣) « ان الناس فرحوا فرحا شديدا لما أمر المتوكل بأنزال جثة احمد والجمع بين رأسه وجسده وان يسلم الى اولياته ، واجتمع في جنازته خلق كثير جدا ، جعلوا يتمسحون بها وباعواد نعشة وكان يوما مشهودا ثم اتوا الى الجلدع الذي صلب عليه فجعلوا يتمسحون به وارهق العامة بذلك فرحا وسرورا فكتب المتوكل الى نائبه يأمره بدعهم ... وأمر بالكف عن القول بخلق القرآن واظهر اكرام احمد بن حنبل واستدعاءه من بغداد اليه واكرمه » ، وتعتبر جنازة الامام احمد بن حنبل من اشهر جنائز القرن الثالث لكثرة من حضرها من الناس ، وقد قدر ابن خلكان^(٤) عددهم « بثمانمائة الف من الرجال وستون الف من النساء

(١) الطبرى : ج ٩ ، ص ١٨٥ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٦٥ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٣١٦ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٤٨ .

واستمر التجمع على قبره مدة وان المصلين استمروا في صلاتهم بعد دفنه ، فقد روى احدهم انه لم يتمكن من الوصول الى قبر الامام الا بعد ايام من وفاته » . ووصف المسعودي جنازة الامام احمد قائلاً^{١٠} : وكانت وفاته في خلافة المتوكل بمدينة السلام وذلك في شهر ربيع الآخر سنة (٢٤١ هـ / ٨٥٥ م) ودفن بباب حرب في الجانب الغربي . . . وحضر جنازته خلق من الناس لم ير مثل ذلك اليوم والاجتماع في جنازة من سلف قبله ، وكان للعامة فيه كلام كثير جرى بينهم بالعكس والضد في الامور منها : ان رجلاً منهم كان ينادي العنوا الواقع عند الشبهات » . كما اظهر الناس السنة والطعن على اهل البدع وكانوا يلعنون بشر المرسي والكرابيسي بأصوات عالية واقام الناس اياماً يزدحرون على القبر^{١١} . وفي بعض الاحيان لا يتهيأ للسلطة نصب جثت الخارجين عليها خوفاً من التدمير وحتى لو تمكنوا من ذلك فان مدة النصب تكون قصيرة فقد « نصب رأس يحيى بن عمر بباب العامة بسامراً فاجتمع عليه وكثروا وتدمروا فنصب لحظة ثم حط ورد الى بغداد لينصب بها بباب الجسر فلم يتهيأ ذلك لكثره من اجتمعوا فلم ينصبه بل جعل في صندوق^{١٢} » .

ومن الاماكن المعروفة ببغداد التي يجتمع عندها الناس ، موضع الدير العتيق الذي وراء نهر عيسى ، وقد تعرض هذا الدير الى النهب والهدم من قبل العامة سنة (٢٧١ / ٨٨٤) حتى انهم « انتهوا كل ما كان فيه من متع وقلعوا ابواب والخشب وهدموا بعض حيطانه وسقوفه ، فصار اسماعيل صاحب شرطة بغداد من قبل محمد بن طاهر فمنعهم من هدم ما باقي منه . . . »^{١٣} .

^{١٠} المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

^{١١} باتون : احمد بن خليل والمحدثة ، ص ٢٢٨ .

^{١٢} الطبرى : ج ٩ ، ص ٢٧٠ .

^{١٣} الطبرى : ج ١١ ، ص ٨ . الكامل لابن الاثير ، ج ٧ ، ص ٤٢٠ .

ومن مراكز تجمع الرأي العام ، الحمامات التي كثُر عددها في بغداد وخارجها فمنها ما كان عاماً لكل الناس ، ومنها ما كان خاصاً في قصور الخلفاء والامراء والوزراء ودور الاغنياء ، ومنها ما كان مخصصاً للرجال ويقابل ذلك حمامات خاصة بالنساء

وللحمامات اهمية اجتماعية باعتبارها مركزاً يرتاده الناس من مختلف الطبقات ، بالإضافة إلى العديد من العمال الذين يستغلون فيها ، كصاحب الصندوق والقيم ، والوقاد ، والزيال والمزبين واللحجام ، وأخرين كثيرين ،^{١٠} قدرهم الصابي بثلثمائة وستين ألف عامل اشتغلوا في ستين ألف حمام زمان المعتصم .

والملاحظ على الحمامات العامة خصوصيتها لرقابة المحتسب الذي يبيث عيونه على أبوابها لمنع احتكاك الشباب بالنسوة عند الدخول والخروج^{١١}

١٠ الصابي : رسوم دار الخلقة ، ص ١٩ .

١١ نفس المصدر ، ص ٢٠ . احصيت حمامات بغداد بعشرة الاف حمام ، خمسة الاف منها في جانب الكرخ ، انظر : « اليقobi : البلدان ، ص ١٧ ، ٢٠ .

المصادر ومراجع البحث

اولا - المصادر الاولية :

- الابشيهي ، شهاب الدين محمد بن احمد ابوالفتح (٨٥٠ هـ = ١٤٤٦ م) .
- ١ - « المستطرف من كل فن مستطرف » جزءان ، مطبعة المشهد الحسيني بمصر (١٩٦٥ / ١٣٨٥) .
- ابن ابي طالب ، امير المؤمنين : علي (٤٠ هـ = ٦٦٠ م) .
- ٢ - « نهج البلاغة » (٣ اجزاء) ، جمع الشريف الرضي ، شرح محمد عبده مؤسسة الاعلمي ، بيروت .
- ابن الاثير ، علي بن احمد ابي الكرم الملقب عز الدين (٦٣٠ هـ = ١٢٣٢ م) .
- ٣ - « الكامل في التاريخ » (١٣ جزءاً) ، دار صادر ودار بيروت بلبنان (١٩٦٥ / ١٣٨٥) .
- ابن الاخوة القرشي ، محمد بن محمد بن احمد (٧٢٩ هـ = ١٣٢٨ م) .
- ٤ - « معالم القربه في احكام الحسبة » ، تصحح روبن لوي - مطبعة دار الفنون - كمبردج (١٩٣٧ / ١٣٥٦) .
- ابن بطوطة ، شرف الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي (٧٧٩ هـ = ١٣٧٧ م) .
- ٥ - « رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة الناظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » (جزءان) . المكتبة التجارية الكبرى بمصر (١٩٦٤ / ١٣٨٤) .

- ابن البيطار ، عبد الله بن احمد (القرن السادس الهجري) .
- ٦ - « الجامع لمفردات الادوية والاغذية » (٤ أجزاء) بولاق
 ١٨٧٤ / ١٢٩١) .
- ابن تيمية ، شيخ الاسلام ، ابو العباس تقى الدين احمد بن عبد الحليم
 (٧٢٨ = ١٣٢٧ هـ) .
- ٧ - « منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدريّة » (جزءان)
 تحقيق د . محمد رشاد سالم ، مطبعة المدنى بمصر (١٣٨٢ / ١٩٦٢) .
- ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن ابى الحسن علي بن محمد
 (٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م) .
- ٨ - « المنتظم في تاريخ الملوك والامم » (٦ اجزاء من ٥ - ١٠) .
 طبعة حيدر اباد الدكن - الطبعة الاولى (١٣٥٧ / ١٩٣٨) .
- ٩ - « الاذكياء » المطبعة الميمنية ، القاهرة (١٣٠٦ / ١٨٨٨) .
- ١٠ - « تلبيس ابليس ، نقد العلم والعلماء » المطبعة المنيرية بمصر .
- ١١ - « صيد الخاطر » تصحيح عبد السلام خضير - مطبعة خضير
 بمصر .
- ١٢ - « اخبار الظراف والمتماجنين » تعليق محمد بحر العلوم ،
 طبعة الغربى الحديثة في النجف (١٩٦٧ / ١٣٨٣) .
- ١٣ - « اخبار الحمقى والمغفلين » جمع علي الحاقاني مطبعة البصري والبيان -
 بغداد .
- ابن حبيب ، ابو جعفر محمد بن حبيب بن امية عمر الهاشمي البغدادي
 (٢٤٥ هـ = ٨٥٩ م) .
- ١٤ - « المحرر » تصحيح ايلزي ليختن سينزر ، مطبعة دار المعارف

- العثمانية ، حيدر اباد الدكن (١٩٤٢ / ١٣٦١) .
- ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد (٤٥٦ هـ = ١٠٦٣ م) .
- ١٥ - « المحتوى » (١١ جزء) ، تحقيق احمد محمد شاكر ، مطبعة النهضة ..
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨ هـ = ١٤٠٥ م) .
- ١٦ - « مقدمة ابن خلدون » دار احياء التراث ، بيروت .
- ابن خلukan ، ابو العباس شمس الدين احمد بن ابراهيم بن ابي بكر الشافعي البرمكي (٦٨١ هـ = ١٢٨١ م)
- ١٧ - « وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان » (٦ اجزاء) تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر (١٩٤٨ / ١٣٦٧) .
- ابن الزبير ، القاضي الرشيد ، (القرن الخامس الهجري) .
- ١٨ - « كتاب الذخائر والتحف » تحقيق د . محمد حميد الله ، مطبعة حكومة الكويت (١٩٥٩ / ١٣٧٩) .
- ابن الساعي ، تاج الدين علي بن انجب (٦٧٤ هـ = ١٢٧٥ م) .
- ١٩ - « نساء الخلفاء المسمى جهات الائمة الخلفاء من الخرائر والاماء » .
- تحقيق . مصطفى جو دار ، المعارف ، القاهرة .
- ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (٧٠٩ هـ = ١٣٠٩ م) .
- ٢٠ - « الفخرى في الاداب السلطانية والدولة الاسلامية » مطبعة محمد علي صبيح بمصر (١٩٦٢ / ١٣٨٢) .
- ابن طيفور ، ابو الفضل احمد بن طاهر الكاتب (٢٨٠ هـ = ٨٩٣ م) .
- ٢١ - « بغداد في تاريخ الخلافة العباسية » مكتبة المثنى ببغداد

(١٣٨٨ / ١٩٦٨) .

ابن عبد ربه ، ابو عمر شهاب الدين احمد بن محمد المرواني الاندلسي
(٩٣٩ م = ٣٢٨ هـ) .

٢٢ - « العقد الفريد » (٧ أجزاء) شرح وتصحيح احمد امين وجماعته
ط ٢ ، مطبعةلجنة التأليف والترجمة بمصر (١٩٤٨ / ١٣٧٠) .
ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحفيظ (١٠٨٩ هـ = ١٦٧٨ م) .

٢٣ - « شذرات الذهب في اخبار من ذهب » (٨ أجزاء) ، مكتبة
القدسية بالقاهرة (١٩٣١ / ١٣٥٠) .

ابن قتيبة الدينوري ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (٢٧٦ هـ = ٨٨٩ م) .

٢٤ - « الامامة والسياسة » مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ،
ط ٢ ، (١٩٥٧ / ١٣٧٧) .

ابن كثير ، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي
(٧٧٤ هـ = ١٣٧٢ م) .

٢٥ - « البداية والنهاية في التاريخ » (١٤ جزء) ، مطبعة السعادة بمصر
(١٩٣٢ / ١٣٥١) .

ابن المعمار ، ابو عبد الله محمد بن ابي المكارم الحنبلي (٦٤٢ هـ = ١٢٤٤) .

٢٦ - « كتاب الفتوة » تحقيق د . مصطفى جواد زملاته ، مطبعة شفيف
بغداد (١٩٥٨ / ١٣٧٨) .

ابن منظور ، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم الخزرجي (٧١١ هـ =
١٣١١ م) .

- ٢٧ - «لسان العرب» (١٥ مجلد) دار صادر ودار بيروت (١٩٥٥ / ١٣٧٥) ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن اسحق (٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م) .
- ٢٨ - «كتاب الفهرست» القاهرة ، مطبعة الاستقامة .
ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب (٢١٨ هـ = ٨٣٣ م) .
- ٢٩ - «كتاب السيرة النبوية» (٤ أجزاء) ، تحقيق مصطفى السقا ومساعته ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ، ط ٢ ، (١٩٥٥ / ١٣٧٥) .
- ابو العتاهية ، ابو اسحق اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان (٢١٠ هـ = ٨٥٢ م) .
- ٣٠ - «ديوان ابي العتاهية» دار صادر ودار بيروت (١٩٦٤ / ١٣٨٤) :
ابو المحاسن ، جمال الدين يوسف بن تغري بردى الاتابكي (٨٧٤ هـ = ١٤٦٩) .
- ٣١ - «النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة» (١٢ جزءا) دار الكتب بمصر (١٩٥٦ / ١٣٧٦) .
ابو المطهر الاذدي ، محمد بن احمد (عاش في القرن الرابع الهجري) .
- ٣٢ - «حكاية ابي القاسم البغدادي» نشر ادم متر - مطبعة كرل ونتر - هيدلبرج (١٩٠٢ / ١٣٢٠) .
ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (١٩٢ هـ = ٨٠٧ م) .

- ٣٣ - «كتاب الخراج» القاهرة ، المطبعة السلفية ، ط ٢٦ (١٩٣٣ م = ١٣٥٢ هـ) .
- الاشعري ، ابوالحسن علي بن اسماعيل (٣٣٠ هـ = ٩٤١ م) .
- ٣٤ - «مقالات الاسلاميين واختلاف المصلحين» (جزءان) تحقيق محمد عبي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، ط ١ (١٩٥٤ / ١٣٧٤) .
- الاصفهاني ، ابوالفرج علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان (٣٥٦ هـ = ٩٦٧ م) .
- ٣٥ - «كتاب الاغانى» (٢٠ جزءاً) ، بيروت ، دار الفكر للجميع عن طبعة بولاق الاصلية (١٩٧٠ / ١٣٩٠) .
- الامدي ، سيف الدين ابوالحسن علي بن ابي علي بن محمد (٦٣١ هـ = ١٢٣٢ م) .
- ٣٦ - «الاحكام في اصول الاحكام» (٤ أجزاء) نشر محمد البيلاوي ، مطبعة المعارف بمصر (١٩١٤ / ١٣٣٢) .
- البخاري ، ابوعبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن برذيه (٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م) .
- ٣٧ - «صحیح البخاری» (٤ أجزاء) مصر ، مطبعة البهية ، ط ٢ ، (١٩٢٤ / ١٣٤٣) .
- البخاری : عبد العزیز احمد بن محمد (٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م) .
- ٣٨ - «كشف الاسرار على اصول الامام فخر الاسلام علي بن محمد

- البزدوي » طبع حسن حلمي الريزوبي سنة (١٣٠٧ / ١٨٨٩) .
 بدیع الزمان ، ابو الفضل احمد بن الحسین بدیع الزمان الهمداني (٣٩٨ هـ = ١٠٠٧ م) .
- ٣٩ - « مقامات الهمداني » شرح محمد عبده ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ط٤ ، (١٣٧٧ / ١٩٥٧) .
- البغدادي ، ابو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي الاسفرايني التميمي (٤٢٩ هـ = ١٠٣٧ م) .
- ٤٠ - البزدوي : علي بن محمد (٤٨٢ هـ / ١٠٨٩ م) .
- « اصول الفقه » هامش كتاب كشف الاسرار ، طبع سنة (١٣٠٧ / ١٨٨٩) .
- ٤١ - « الفرق بين الفرق » تحقيق محمد عبّي الدين عبد الحميد ، مصر ، مطبعة المدنى .
- ٤٢ - « كتاب اصول الدين » استانبول ، مطبعة الدولة ، ط١ ، (١٣٤٧ / ١٩٢٨) .
- البلخي ، ابو زيد احمد بن سهل وينسب حقيقة الى مظهر بن طاهر المقدسي (٣٢٢ هـ = ٩٤٤ م) .
- ٤٣ - « كتاب البدء والتاريخ » (٦ اجزاء) شالون ، مطبعة برترنر (١٣٣٥ / ١٩١٦) .
- البيروني : ابوالريحان محمد بن احمد (٤٤٠ / ١٠٤٨) .
- ٤٤ - « الآثار الباقية عن القرون الخالية» ليبزك ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م

- البيهقي ، ابراهيم بن محمد (٤٧٠ هـ = ١٠٧٧ م) .
- ٤٥ - « المحسن والمساوي » بيروت ، دار صادر ودار بيروت (١٣٨٠ / ١٩٦٠) .
- الثنوخي ، القاضي ابو علي المحسن بن علي بن محمد ابن ابي الفهم (٣٨٤ هـ = ٩٩٤ م) .
- ٤٦ - « نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة » (٤ أجزاء) ، تحقيق عبود الشالجي بيروت ، دار صادر (١٣٩١ / ١٩٧١) .
- ٤٧ - « الفرج بعد الشدة » (جزءان) الصناديق بجوار الازهر (١٣٥٧ / ١٩٣٨) .
- التوحيدی ، ابو حیان (٣٨٧ هـ = ٩٩٧ م) .
- ٤٨ - « الذخائر والبصائر » (٣ أجزاء) ، تحقيق د . ابراهيم الكيلاني ، مكتبة اطلس ومطبعة الانشاء ، دمشق (١٣٨٦ / ١٩٦٦) .
- ٤٩ - « الامتناع والمؤانسة » (٣ أجزاء) تصحيح احمد امين واحمد الزين ، مطبعة التأليف والنشر والترجمة بالقاهرة (١٣٦١ / ١٩٤٢) .
- ٥٠ - « المقابسات » تحقيق حسن السندي ، المطبعة الرحمنية بمصر ، ط ١ ، (١٣٤٨ / ١٩٢٩) .
- ٥١ - « الموامل والشوامل » نشر احمد امين واحمد صفر ، مطبعة بلخنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة (١٣٧١ / ١٩٥١) .
- ٥٢ - « رسالة الصدقة والصديق » تحقيق د . ابراهيم الكيلاني ، دار

- الفكر بدمشق (١٩٦٤ / ١٣٨٤) .
- الشعالي ، ابو منصور عبد الملك النيسابوري (٤٢٩ هـ = ١٠٣٧ م) .
- ٥٣ - « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » مطبعة المدنى بالقاهرة (١٩٦٥ / ١٣٨٥) .
- ٥٤ - « يتيمة الدهر » (٤ أجزاء) ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي بالقاهرة .
- ٥٥ - « خاص الخاص » منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (١٩٦٦ / ١٣٨٦) .
- ٥٦ - « لطائف المعارف » تحقيق ابراهيم الابيارى وحسن كامل الصيرفى ، مطبعة دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبي (١٩٦٠ / ١٣٨٠) .
- الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥ هـ = ٨٦٨) .
- ٥٧ - « رسائل الجاحظ » (جزءان) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون (١٩٦٤ / ١٣٨٤) .
- « رسائل الجاحظ » نشر حسن السندي ، مطبعة الرحمانية بالقاهرة (١٩٣٣ / ١٣٥٢) .
- « ثلاث رسائل للجاحظ » المطبعة السلفية بمصر ، ط ٢ ، (١٩٦٢ / ١٣٨٢) .
- « مجموعة رسائل الجاحظ » نشر محمد افندي ساسي ، مطبعة التقدم بمصر (٢٤٥)

١٩٠٦ / ١٣٢٤) .

٥٨ - «كتاب مفاحرة الجواري والغلمان» تحقيق شارل بلا ، دار المكشف بلبنان (١٣٧٧ / ١٩٥٧) .

٥٩ - «البخلاء» تحقيق طه الحاجري ، دار المعارف بمصر .

٦٠ - «البيان والتبيين» (٣ أجزاء) ، دار الطباعة بالقاهرة (١٢٩٠ / ١٨٧٣) . والتعاونية بيروت (١٩٦٨ / ١٣٨٨) .

٦١ - «الحيوان» (٧ أجزاء) تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى الحلبي بمصر (١٩٤٠ / ١٣٣٩) وطبعه القاهرة (١٩٠٧ / ١٣٢٥) .

٦٢ - «التاج في أخلاق الملوك» تحقيق احمد زكي - المطبعة الاميرية بالقاهرة ، ط١ ، (١٩١٤ / ١٣٣٣) .

الجهشيارى ، ابو عبد الله محمد بن عبدوس (٣٣١ هـ = ٩٤٢ م) .

٦٣ - «نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب» تحقيق ميخائيل عواد ، دار الكتاب اللبناني ، (١٩٦٤ / ١٣٨٤) .

الجويني ، امام الحرمين ، ابو المعالي عبد الملك (٤٧٨ هـ = ١٠٨٥ م) .

٦٤ - «كتاب الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد» تحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم ، مطبعة السعادة بمصر (١٩٥٠ / ١٣٧٠) .

الحريري البصري ، ابو محمد القاسم بن علي بن عثمان (٥١٦ هـ = ١١٢٢ م) .

- ٦٥ - « مقامات الحريري » المكتبة التجارية الكبرى بمصر .
 الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي (٤٦٣ هـ = ١٠٧٠ م) .
- ٦٦ - « تاريخ بغداد ومدينة السلام » (١٤ جزء) . مطبعة السعادة
 بالقاهرة (١٩٣١ / ١٣٥٠) .
- ٦٧ - « كتاب الفقيه والمتفقه » تصحيح اسماعيل الانصاري ، دار
 احياء السنة النبوية ، القاهرة ١٩٧٥ .
- الخفاجي ، شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر المصري الشافعي (١٠٦٩ هـ
 = ١٦٥٠ م) .
- ٦٨ - « شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل » مطبعة السعادة
 بمصر (١٩٠٧ / ١٣٢٥) .
- الخوارزمي ، الامام : ابو عبدالله محمد بن احمد بن يوسف (٣٨٣ هـ
 = ٩٩٣ م) .
- ٦٩ - « مفاتيح العلوم » ، نشر ادارة الطباعة المنيرية ، مطبعة الشرق
 بمصر ط١ ، (١٩٢٣ / ١٣٤٢) .
- الخياط ، ابو الحسين عبد الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان المعتزلي
 (اواخر القرن الثالث الهجري) .
- ٧٠ - « كتاب الانتصار والرد على ابن الرومي المحدث » تحقيق د .
 نيرج ، دار الكتب المصرية (١٩٢٥ / ١٣٤٤) .
- الذهبي ، الماحفوظ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز

٤٧٨ - (م ١٣٤٧ = هـ ٤٧٨) .

٧١ - « دول الاسلام » (جزءان) حيدر اباد الدکن ، ط ٢ ،
١٩٤٥ / (هـ ١٣٦٥) .

٧٢ - « العبر في خبر من غبر » (٤ أجزاء) تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة
حكومة الكويت (١٩٦١ / هـ ١٣٨١) .

الرازي ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (القرن السابع الهجري) .

٧٣ - « ختار الصحاح » المطبعة الاميرية بيولاق ، ط ٤ (١٩٣٨ /
١٣٥٧) .

الزجاجي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق (هـ ٣٤٠ = م ٩٥١) .

٧٤ - « امالي الزجاجي » تحقيق عبد السلام محمد هارون ، المؤسسة
العربية للحديثة ، ط ١ ، (١٩٦٢ / هـ ١٣٨٢) .

السرى الرفاء ، ابو الحسن السرى احمد الكندي الموصلي (هـ ٣٦٠ =
م ٩٧٠) .

٧٥ - « ديوان السرى الرفاء » سعيد الديوه جي ، مطبعة القدس
والسعادة بمصر (١٩٣٦ / هـ ١٣٥٥) .

السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر الشافعى (هـ ٩١١ =
١٥٠٥) .

٧٦ - « تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين » تحقيق محمد عبّي الدين عبد
الحميد مطبعة المدنى بالقاهرة ، ط ٢ (١٩٦٤ / هـ ١٣٨٤) .

- ٧٧ - «الجامع الصغير في احاديث البشير النذير» مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر (١٩٥٤ / ١٣٧٣) .
- الشافعي ، ابو عبدالله محمد بن ادريس (٢٠٤ هـ = ٨٢٠ م) .
- ٧٨ - «رسالة في اصول الفقه» مطبعة مصر ، ط ١ (١٩٠٣ / ١٣٢١) .
- الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبد الكرييم بن احمد الاشعري (٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م) .
- ٧٩ - «الملل والنحل» (جزءان) تحرير محمد بن فتح الله بدران ، طبعة الانجلو المصرية ، مطبعة خمير مصر ، ط ٢ (١٩٥٦ / ١٣٧٥) وطبعه المخاني بمصر في (٣) اجزاء (١٩٠٣ / ١٣٢١) .
- الشيزري : عبد الرحمن بن نصر (٥٨٩ هـ = ١١٩٣ م) .
- ٨٠ - «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» نشر الباز العربي ، مطبعة لجنة التأليف والنشر بالقاهرة (١٩٤٦ / ١٣٦٦) .
- الصابي ، ابو الحسين هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون (٤٤٨ هـ = ١٠٥٦ م) .
- ٨١ - «الوزراء او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء والكتاب» تحقيق عبد الستار احمد فراج ، مطبعة البابي الحلبي وشركاؤه مصر (١٩٥٨ / ١٣٧٨) .
- ٨٢ - «رسوم دار الخلافة» تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العاني ببغداد (١٩٦٤ / ١٣٨٤) .

- الطبرى ، ابو جعفر محمد بن جرير (٣١٠ هـ = ٩٢٢ م) .
- ٨٣ - « تاريخ الملوك والرسل (١٠ اجزاء) » ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر (١٣٨٨ / ١٩٦٨) .
- العسقلانى : الامام ، الحافظ احمد بن حجر (٨٥٢ هـ = ١٤٤٨) .
- ٨٤ - « بلوغ المرام في ادلة الاحكام » تحقيق رضوان محمد رضوان ، دار الكتاب العربي بمصر (١٣٧٤ / ١٩٥٤) .
- الغزالى ، حجۃ الاسلام ابو حامد محمد بن محمد بن احمد (٥٠٥ هـ = ١١١١ م) .
- ٨٥ - « فضائح الباطنية » تحقيق د . عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر (١٣٨٤ / ١٩٦٤) .
- الميروز ابادى ، مجد الدين محمد بن يعقوب الصديقى الشيرازي (٨١٧ هـ = ١٤١٤ م) .
- ٨٦ - (القاموس المحيط والقاموس الوسيط في اللغة) (٤ اجزاء) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط ١ (١٣٧٢ / ١٩٥٢) .
- القالي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم (٣٥٦ هـ = ٩٦٦ م) .
- ٨٧ - « الامالي » مطبعة بولاق الاميرية بمصر (١٣٢٢ / ١٩٠٤) .
- القططي ، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف الشيباني (٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م) .
- ٨٨ - القرشى : يحيى بن ادم (٢٠٣ هـ / ٨١٨ م) « كتاب الخراج »

تصحيح احمد محمد شاكر ، السلفية بمصر ، ط ٢ سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

٨٩ - « تاريخ الحكماء » ليزوج (١٣٢١ / ١٩٠٣) اعادت طبعه مكتبة

المثنى .

٩٠ - القلقشندي : ابو العباس احمد بن علي (١٤١٨ / ٨٢١)

« صبح الاعشى » في صناعة الانشا القاهرة بلا .

القمي ، سعد بن عبدالله بن ابي خلف الاشعري (٣٠١ هـ =

١٩١٣ م) .

٩١ - « كتاب المقالات والفرق » تصحيح د . محمد جواد مشكور ،

مطبعة حيدري بطهران (١٣٨٣ / ١٩٦٣) .

الكلبي ، ابو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد المعروف بذى النسبين

دحية والحسين (٦٣٣ هـ = ١٢٣٤ م) .

٩٢ - « كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بنى العباس » تصحيح عباس

العزاوي ، مطبعة المعارف بيغداد (١٩٤٦ / ١٣٦٦) .

مؤلف مجهول

٩٣ - « العيون والخدائق في اخبار الحقائق » نشر دى

غريه ، ليدن (١٨٦٩ / ١٢٨٦) اعادت طبعه مكتبة المثنى بيغداد .

الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (٤٥٠ هـ =

١٠٥٨ م) .

٩٤ - « الاحكام السلطانية والولايات الدينية » مطبعة مصطفى البابي

- الخلبي واولاده بمصر ، ط ١ (١٣٨٠ / ١٩٦٠) .
- المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (٤٦٣-٥٥٧ م) .
- ٩٥ - «مروج الذهب ومعادن الجوهر» (٤ أجزاء) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر (١٣٧٨ / ١٩٥٨) .
- ٩٦ - «التبية والاشراف» دار التراث ، بيروت ١٩٦٨ م / ١٣٨٨ م .
- مسكويه ، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب (٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م) .
- ٩٧ - «تجارب الامم وتعاقب المهم» ج ٦ فيه حوادث (١٩٨-٢٥١ هـ) طبعة النيل بمصر ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م ، باعتماد دی غویه ، لیدن (١٨٦٩ / ١٢٨٦) اعادت طبعه مكتبة المثنی ببغداد .
- ٩٨ - المقدسي : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد المعروف بالبشاري «احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم» نشر دی غویه لیدن ١٣٢٤ .
- ٩٩ - المقرizi : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .
- التويخی ، ابو محمد الحسن بن موسى (٣١٠ هـ = ٩٢٢ م) .
- ١٠٠ - «كتاب فرق الشيعة» تصحیح ابراهیم الزین ، دار الفکر بیروت ، مطبعة حداد .
- المداني ، محمد بن عبد الملك (٥٢١ هـ = ١١٢٧ م) .
- ١٠١ - «تکملة تاريخ الطبری» تحقيق البرت یوسف ، بیروت ، ج ١ ، ٢٥٢

- ١٦ - المطبعة الكاثوليكية (١٩٥٩ / ١٣٧٩) .
 الوشاء ، ابو الطيب محمد بن اسحاق بن بحبي (٣٢٥ هـ = ٩٣٦ م) .
- ١٠٢ - «المoshi او الظرف والظرفاء» تحقيق كمال مصطفى ، مطبعة الاعتماد بمصر (١٩٥٣ / ١٣٧٣) .
 وكيع ، محمد بن خلف بن حيان (٣٠٦ هـ = ٩١٨ م) .
- ١٠٣ - «أخبار القضاة» (٣ أجزاء) تصحیح عبد العزیز مصطفی المراعی ، ط١ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة (٩٤٧ / ١٣٦٧) .
 یاقوت الحموی ، شهاب الدين ابو عبدالله (٦٢٦ هـ = ١٢٢٨ م) .
- ١٠٤ - «معجم الادباء : ارشاد الاریب في معرفة الادیب» (٧ أجزاء ، تصحیح د. س مرجلیوث ، مطبعة هندیة بالموسکي بمصر (١٣٤٦ / ١٩٢٧) .
- ١٠٥ - «معجم البلدان» (٥ أجزاء) ، دار بيروت وصادر في لبنان (١٣٧٦ / ١٩٥٧) .
 الیعقوبی ، احمد بن ابی یعقوب بن جعفر بن وهب بن واضع (٢٨٢ هـ = ٨٩٥ م) .
- ١٠٦ - «تاریخ الیعقوبی» (جزءان) دار صادر ویروت في لبنان (١٣٨٠ / ١٩٦٠) .
- ١٠٧ - «كتاب البلدان» المطبعة الحیدریة في النجف ، ط٣ (١٩٥٧ / ١٣٧٧) .

المراجع الحديثة :

ابوزهرة ، الشيخ محمد

١٠٨ - « الامام الصادق » ، مصر ، مطبعة احمد علي مخمير .

ابوزيد ، احمد محمد (الدكتور) .

١٠٩ - « سيميولوجية الرأي العام ورسالته الديقراطية » القاهرة ، دار

الهنا للطباعة (١٩٦٨ / ١٣٨٨) .

امين ، احمد

١١٠ - « فجر الاسلام » مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ،

٧٦ (١٩٥٥ / ١٣٧٥) .

١١١ - « ضحى الاسلام » (٣ أجزاء) مطبعة لجنة التأليف والترجمة ،

القاهرة ، (١٩٥٦ / ١٣٧٦) .

١١٢ - « ظهر الاسلام » (٣ اجزاء) القاهرة ، مطبعة خلف

٧٨ (١٩٥٨ / ١٣٧٨) .

باتون : ولتر مفليل .

١١٣ - « احمد بن حنبل والمحنة » ترجمة عبد العزيز عبد الحق ، دار

اللال (١٩٥٨ / ١٩٧٨) .

بدوى : عبد الرحمن (المترجم) .

١١٤ - « التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية » دراسة لكتاب

المستشرقين في القاهرة (١٩٤٠ / ١٣٥٩) ويضمونها مقال لناليتو في اصل

- اشتقاق كلمة المعتزلة او القدرية .
بهنسى ، محمد عبد الرؤوف .
- ١١٥ - « الرأي العام في الاسلام » مصر ، دار الجيل (١٩٦٦ / ١٣٨٦) .
- التهامى ، مختار (الدكتور) .
- ١١٦ - « الرأي العام وال الحرب النفسية » دار المعارف بمصر ، ط ١٦ (١٩٦٧ / ١٣٨٧) .
- جردنبياوم ، جوستاف ١ . فون .
- ١١٧ - « حضارة الاسلام » ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويش ، دار مصر للطباعة (١٩٦٧ / ١٣٨٦) .
- ١١٨ - « شعراء عباسيون » ترجمة د . محمد يوسف نجم ، منشورات دار الحياة وفرنكلين ، بيروت (١٩٥٩ / ١٣٧٩) .
جواد علي (الدكتور) .
- ١١٩ - « المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (٨ اجزاء) ، دار العلم للملائين ، بيروت ط ١ ، (١٩٧١ / ١٣٩٠) .
جوزى ، بنديلى .
- ١٢٠ - « من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، دار الروائع ، مطبعة الجهاد (بيروت) .
جولد تسىهر ، اجناس .

- ١٢١ - «العقيدة والشريعة في الاسلام» ترجمة محمد يوسف موسى وجماعته ، دار الكتاب العربي بمصر ، ط٢ (١٩٥٩ / ١٣٧٩) .
جيم ، الفرد .
- ١٢٢ - «الاسلام» ترجمة محمد مصطفى هداره ود . شوقي السكري ، مطبعة لجنة البيان العربي بمصر ، ط١ (١٩٥٨ / ١٣٧٨) .
حق ، فيليب .
- ١٢٣ - «تاريخ العرب المطول» (٣ أجزاء) ترجمة ادور جرجي وجبرائيل جبور ، دار الكشاف بيروت ، ط٢ ، (١٩٥٢ / ١٣٧٢) .
حسن ، حسن ابراهيم (الدكتور) .
- ١٢٤ - «تاريخ الاسلام السياسي» (٤ اجزاء) مطبعة لجنة التلليل والترجمه والنشر ، ط٦ (١٩٦١ / ١٣٨١) .
- ١٢٥ - «النظم الاسلامية» بالاشراك مع علي ابراهيم حسن ، مطبعة السنة المحمدية ، ط٣ (١٩٦٢ / ١٣٨٢) .
حسين ، طه (الدكتور) .
- ١٢٦ - «الفتنة الكبرى» دار المعارف بمصر (١٩٥٩ / ١٣٧٩) .
الحسني ، هاشم معروف .
- ١٢٧ - «تاريخ الفقه الجعفري» دار النشر للجامعيين ، بيروت .
الخCHAN ، عبد الرزاق .
- ١٢٨ - «الحساب» مطبعة التفليس . بغداد (١٩٤٦ / ١٣٦٦) .

الخيدري ، علي نقى .

١٢٩ - «أصول الاستنباط» ، مطبعة الرابطة ، بغداد (١٩٥٩ /

١٣٧٩) .

حضر ، سعد الدين .

١٣٠ - «رأي العام وقوى التحرّك» ، مطابع الجمهورية ، الموصل ،

ط (١٣٨٨ / ١٩٦٨) .

الحضرى ، الشيخ : محمد .

١٣١ - «تاريخ التشريع الإسلامي» ، مطبعة الاستقامة بمصر ، ط ٧

(١٣٨٥ / ١٩٦٥) .

١٣٢ - «محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية» (جزءان) ، مطبعة

الاستقامة بمصر ، ط ٧ (١٣٧٦ / ١٩٥٦) .

١٣٣ - «تاريخ الدول العباسية» ، مطبعة الاستقامة بمصر ، ط ٨

(١٣٧٣ / ١٩٥٣) .

الدبياغ ، سالم .

١٣٤ - «أدب المعلمين في كتب الأقدمين» ، مطبعة اللواء ببغداد

(١٣٩١ / ١٩٧١) .

دجور جفتش ، جوفان .

١٣٥ - «رأي العام في النظام الاشتراكي» ، ترجمة د . صادق الاسود ،

بغداد (١٣٩٠ / ١٩٧٠) .

- الدوري ، عبد العزيز (الدكتور) .
- ١٣٦ - « تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري » مطبعة المعارف بغداد (١٩٤٨ / ١٣٦٨) .
- دوзи ، رينهارت .
- ١٣٧ - « معجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب » ترجمة د . اكرم فاضل ، بغداد ، دار الحرية للطباعة (١٩٧١ / ١٣٩١) .
- الذوبي ، احمد عبد الجماد .
- ١٣٨ - « احمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا » المكتبة التجارية الكبرى ، ط ١ (١٩٦٠ / ١٣٨٠) .
- ذيب فؤاد .
- ١٣٩ - « الرأي العام وطرق قياسه » مطابع الدار القومية ، القاهرة (١٩٦٢ / ١٣٨٢) .
- رحمة الله ، مليحة (الدكتورة) .
- ١٤٠ - « الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة » رسالة دكتوراه مطبوعة ، مطبعة الزهراء ، بغداد (١٩٧٠ / ١٣٩٠) .
- الريس ، محمد ضياء الدين (الدكتور) .
- ١٤١ - « الخراج في الدولة الإسلامية ، نهضة مصر ، ط ١ (١٩٥٧ / ١٣٧٧) .

- ١٤٢ - النظريات السياسية الاسلامية) مطبعة الرسالة ، ط ٣ (١٣٨٠ / ١٩٦٠) .
زيدان ، جرجي .
- ١٤٣ - « تاريخ التمدن الاسلامي » (٥ اجزاء) ، دار الملال (١٣٧٨ / ١٩٥٨) .
السامر ، فيصل جرىء (الدكتور) .
- ١٤٤ - « ثورة الزنج » دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٢ (١٣٩١ / ١٩٧١) .
- ١٤٥ - « الدولة الحمدانية » الجزء الاول ، مطبعة الایمان ، بغداد ، ط (١٣٩٠ / ١٩٧٠) .
سبورت ، و . ج . ه .
- ١٤٦ - « علم النفس الاجتماعي » ترجمة حافظ الجمالی ، مطبعة جامعة دمشق ، ط ١ (١٣٨٠ / ١٩٦٠) .
سوفی ، الفريد .
- ١٤٧ - « الرأي العام » ترجمة كسروان شدياق ، مطابع عويدات ، ط ١ (١٣٨٦ / ١٩٦٦) .
شلتوت ، الشيخ : محمود
- ١٤٨ - « الاسلام عقيدة وشريعة » دار القلم بمصر ، ط ٢ (١٩٦٤ / ١٣٨٤) الشبيبي ، كامل مصطفى (الدكتور) .

- ١٤٩ - «الصلة بين التصوف والتشيع» (جزءان) ، مطبعة الزهراء
١٣٨٤ / ١٩٦٤ .
- صالح ، احمد عباس .
- ١٥٠ - «اليمين واليسار في الاسلام» المؤسسة العربية للدراسات
والنشر ، بيروت (١٣٩٢ / ١٩٧٢) .
- الصالح ، صبحي (الدكتور) .
- ١٥١ - «النظم الاسلامية» دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١
١٣٨٥ / ١٩٦٥ .
- الصعيدي ، الشیخ : عبد المتعال .
- ١٥٢ - حسين ، صدام «رئيس الجمهورية العراقية» «حول كتابة
التاريخ» نص الحديث في الاجتماع الموسع لمكتب الاعلام القومي بتاريخ
١٩٧٧ / ١٢ / ١ .
- ١٥٣ - «في ميدان الاجتهاد» دار الميراث بمصر ، منشورات جمعية
الثقافة الاسلامية .
- ١٥٤ - «السياسة الاسلامية في عهد اخلفاء الراشدين» دار الفكر
العربي ط١ (١٣٨٢ / ١٩٦٢) .
- طلس ، محمد اسعد (الدكتور) .
- ١٥٥ - «عصر الازدهار» مطبعة الاندلس ، ط١ ، بيروت (١٩٦٥ / ١٣٨٠) .

١٥٦ - «عصر الانبات» مطبعة الاندلس ، ط١ ، بيروت (١٩٥٧ / ١٣٧٧) .

عبد الباقى ، محمد فؤاد .

١٥٧ - «معجم المفهوس للافاظ القرآن الكريم» مطبع الشعب
بالمقاهرة (١٩٥٨ / ١٣٧٨) .

عبد الرزاق ، الشيخ : علي .

١٥٨ - «الاسلام واصول الحكم» مطبعة مصر ، ط٢ (١٩٢٥ / ١٣٤٤) .

١٥٩ - «الاجماع في الشريعة الاسلامية» دار الفكر العربي بمصر
(١٩٤٧ / ١٣٦٧) .

عبد الرزاق ، الشيخ : مصطفى .

١٦٠ - «تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية» مطبعة نهضة مصر ، ط١
(١٩٥٧ / ١٣٧٧) .

عبد القادر ، حسين (الدكتور) .

١٦١ - الرأي العام والدعایة وحرية الصحافة» مطبعة الرسالة ، ط١ ،
(١٩٥٧ / ١٣٧٧) .

العزيز ، حسين قاسم (المترجم) .

١٦٢ - «المجلة التاريخية» بغداد ، مطبعة الجامعة ، العدد الثاني
١٩٧٢ ويضمها بحث «حول تاريخ مدينة بغداد» للمستشرق السوفيتي اوتار
٢٦١

فارلاموفيج .

العسلي ، خالد (الدكتور) .

١٦٣ - « جهم بن صفوان » رسالة ماجستير مطبوعة ، بغداد ، مطبعة
الارشاد (١٩٦٥ / ١٣٨٥) .

العطوي ، احمد علي .

١٦٤ - « ارض السواد » بغداد ، مطبعة الاتحاد (١٩٥٥ / ١٣٧٥) .
العمري ، احمد سويلم (الدكتور) .

١٦٥ - « الرأي العام والدعائية » الدار القومية للطباعة بالقاهرة .
عيسي ، شعيب طلعت (الدكتور) .

١٦٦ - « الشائعات وكيف تواجهها » القاهرة ، ط١ (١٩٦٤ / ١٣٨٤) .

فتح الله : جرجيس (المترجم) .

١٦٧ - « تراث الاسلام » (جزءان) المطبعة العصرية بالموصل
(١٩٥٤ / ١٣٧٤) ويضمها بحث (القانون والمجتمع) لدانيد . دى .
ستانيلانا .

فلتون ، فان .

١٦٨ - « السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بنی امية »
ترجمة حسن ابراهيم حسن و محمد زكي ابراهيم ، القاهرة (١٩٣٣ / ١٣٥٢) .

- الفندى ، محمد ثابت ورفاقه (المترجمون) .
- ١٦٩ - « دائرة المدارف الاسلامية » المجموعة العربية ، ط١
 . (١٣٥٢ / ١٩٣٣) .
 فهد ، بدري محمد .
- ١٧٠ - « العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري » رسالة ماجستير
 مطبوعة مطبعة الارشاد ، بغداد (١٣٨٧ / ١٩٦٧) .
 القرغولي ، جهادية .
- ١٧١ - « الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في سامراء » رسالة ماجستير
 مطبوعة ، مطبعة دار البصري ، بغداد (١٣٨٧ / ١٩٦٧) .
 لي سترينج ، جاي .
- ١٧٢ - « بلدان الخلافة الشرقية » ترجمة بشير فرنسيس وكيركيس عواد ،
 مطبعة الرابطة ببغداد (١٣٧٤ / ١٩٥٤) .
- ١٧٣ - مالك انتاج المستشرقين دار الارشاد ، بيروت ١٩٦٩ .
 متز ، ادم .
- ١٧٤ - « الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري » (جزءان)
 تعریف عبد الهادي ابو ریده ، القاهرة (١٣٦٧ / ١٩٤٧) .
 المظفر ، الشيخ : محمد رضا .
- ١٧٥ - « عقائد الامامية » دار النعمان للطباعة (١٣٨٠ / ١٩٦٠) .
 المنجد ، صلاح الدين (الدكتور) .

- ١٧٦ - «الظرفاء والشحاذون في بغداد وباريس» دار الكشاف ،
ـ .
ـ .
ـ .
ـ .
- ١٧٧ - «الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي» دار الحياة ، بيروت
ـ .
ـ .
ـ .
ـ .
- ١٧٨ - «الناظر الجامع للاهـمـول في احاديث الرسول» (٥ أجزاء)
ـ .
ـ .
ـ .
ـ .
- ١٧٩ - «الدولة العربية وسقوطها» ترجمة د . يوسف القدس ، دمشق
ـ .
ـ .
ـ .
ـ .

المراجع الافرنجية :

Grenville : G. S. P. Freeman - ١٦٩

'muslim and Christian Calendars (London, Oxford University Press 1963

ترجمة الى العربية د . حسام الالوسي ، مطبعة الجمهورية ، بغداد
(١٩٧٠ م - ١٣٨٩ هـ)

Dozy : R. P.A. - ١٧٠

"Supplement Aux Dictionnaires Arabes'

(Leyde, Brill, 1927)

Doob, Leonard. W. - ١٧١

'Public Opinion and Propaganda' (Cresset. Press, 1946)

Bogardus : Emory. S.

'The making of Public Opinion' (1951) - ١٧٢

Al big : William

'Public Opinion ' (Mc Graw — Hill , 1956) - ١٧٣

Introduction

This research includes the study of the 3 rd century A.H. (9th A. D.)that began with the reign of the Caliphate Al — Ma' mun and Ended with the reign of Al — Muktafi Billah (198 — 295At./ 813 — 907 A.D.) if is social study for

a new subject that is neglected by the modern researchers, but the historical, literary and juristical books of the ancient writers contained much of the century events.

The research involves five chapters. I set the first chapter a part to study what is meant by the 'Public Opinion'. I exposed the different opinions and definitions put forward by the foreign and Arab ideologists. Isought for its origin which extended in the Pre — Islamic Arabic Society and developed during the different Islamic ages, until it became an influential phenomena in the 3rd century A. H. incidents. The ' Public Opinion' was represented by some common expressions at that time, such as : agree .ment, analogy, nation, Community, the application of discretion to allegal decision, the cultivation and the laws of those who had come before. That is what I spoke about in details throughout this chapter in a juristical study.

As for the second chapter, it is restricted to the study of the nature of the Abbaside society during the 3rd century A. H. This is achieved by exposing the characteristics of this century and the brief mentioning of some of the outside

aspects of the Islamic society throughout the different ages. Further more, I studied the social structure which is embodied in two dissimilar classes; regarding property and authority, So In addition to the Private class which included the caliph his attendants, his officials ; and officers which usurped all the privilages, there was the public class which included the great majority of people who suffered starvation and nakedness; so they damned the corruption of affairs. Between those two classes, there existed those who lived on the private Class and took up literature as a craft.

The third Chapter represents the backbone on which the research depends. I studied the reasons why the (Public Opinion) had grumbled during that century. There were many different reasons, such as : high prices, rarity of articles and the delay of the troops suppliants and their riots. All the above reasons led to weaken the Abbaside Caliphate and led to the murder of many Caliphs like the murder of Al — Muataz Billah by the Turkish Princes who became authoritative in the different posts of the state. This caused the grumbling of Baghdad and Sammara inhabitants in addition

to their grumbling as a result of the bad affairs, the corruption of the administrative system, the lack of peace, the taxes and the illegal ways by which they were collected and many other factors that were being revealed all through the research.

An important factor resulted in the Public grumbling was the riots and crisis which was represented by the conflict between Al—Amin and Ma' mun and was developed into a national conflict between the Arabs and Al—Mawali, Al—Zinj and Karmathians revolutions, the unplanned, public movements as those of Al—Shuttar Al—Ayya'ren and the opponent movements of Shiah and Khawarij in addition to the religious and ideological conflicts which tore the unity of the Muslims into sects and parties.

The fourth Chapter is concerned with the Islamic Public Opinion attitude towards the official institutions, such as : Al—Caliphate and A—Qada'. The attitude which was remarkable with its bitter criticism, whether in Poetry, fiction or proverbs, reflected to us the bad conditions of those institutions. The Caliphate which was, the highest religious and

official authority in the Abbaside State became so weak that the Caliph became a Play— toy in the hands of the Turkish princes. As for Al— Qada' it lost its dignity because their decisions were not according to the law.

What distinguished the Islamic Public opinion during the 3rd century A. H. was the grumbling at some times and the revolution in another. This called for the existence of centres and places where the grumblers met to express their opinions, such as: mosques, prisons, markets, holy— places and discussion — meetings and this what spoke about in details in the fifth Chapter which constitutes the last chapter of this research.

المحتويات

المقدمة

١١	مفهوم الرأي العام في الاسلام
١٢	١- معنى الرأي العام وانواعه
٢١	٢- نشأة الرأي العام في الاسلام وتطوره
٢٧	٣- مفهوم الرأي العام في الاسلام - دراسة فقهية -
٢٧	آ- الاجماع
٣٥	ب- الرأي والقياس
٤٠	ج- الاستحسان
٤٢	د- الاستصلاح او المصالح المرسلة
٤٥	هـ- الجماعة والامة والاكثرية
٥٠	وـ- شرع ما قبلنا

الفصل الثاني

٥٣	دراسة المجتمع الاسلامي في القرن الثالث المجري ..
٥٤	١- سمات المجتمع في القرن الثالث المجري

٦٤	٢ - طبقات المجتمع العباسي في القرن الثالث الهجري
٦٥	آ - طبقة الخاصة
٧٧	ب - طبقة العامة
٨٣	١ - الفلاحون
٨٧	٢ - العمال وصغار الصناع
٩٠	٣ - العاطلون عن العمل
٩١	آ - العيارون
٩٧	ب - الشطار
١٠٣	ج - المكدون
١٠٨	٤ - الخدم والرقيق
١١٣	الفصل الثالث
١١٣	عوامل تدمر الرأي العام في القرن الثالث الهجري
١١٤	اولا : العوامل الاقتصادية
١١٤	١ - الغلاء وارتفاع الأسعار
١٢٠	٢ - الفاقة وندرة الأقوات
١٢٦	٣ - تأخر الارزاق وشغب الجندي
١٣٣	ثانيا : العوامل السياسية والاجتماعية والفكرية
٤٣٣	١ - التذمر من النفوذ الاجنبي
٢٧١	

١٤٣	٢- انحلال النظام الاداري
١٤٣	آ- طرق التولية والعزل
١٤٨	ب- اساليب جباية الفرائض
١٥١	٣- الفتن والازمات
١٥١	آ- الحركات السياسية والاجتماعية
١٦٥	ب- المنازعات الفكرية والدينية
١٧٣	الفصل الرابع
١٧٣	موقف الرأي العام من المؤسسات العامة
١٧٣	اولا : حالة الخلافة
١٧٣	آ- مسألة الخلافة في نظر الرأي العام الاسلامي
١٧٦	ب- حالة الخلافة في القرن الثالث المجري
١٨٩	ثانيا : موقف الرأي العام من القضاء
١٩٧	الفصل الخامس
١٩٨	اماكن تجمع الرأي العام في القرن الثالث المجري
١٩٨	١- السجون
٢١٤	٢- الاسواق
٢٢٤	٣- المساجد
٢٣١	٤- الاجتماعات العامة
٢٣٧	المصادر ومراجعة البحث
	٢٧٢

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد (٤٤٠) لسنة ١٩٨٧

طبع في مطبخ دار الشرون الثقافية العامة

الرأي العام في القرن الثالث الهجري

الرأي العام كثيراً ما يفسر أحداث الماضي، كما أن سلوك الإنسان في حاضره ومستقبله يفسره ماضي حياته، ولكن هذا لا يعني أن الماضي يشكل العامل الوحيد المؤثر في تكوين الرأي العام، بل أن هناك مؤثرات خارجية وعوامل أخرى تدخلها (سبروبوت) بالحوادث الجديدة، وتغير شروط الحياة، وتغير السلوك، والشخصيات البارزة، وهذا يعني أن الرأي العام ينبع في ظروف ووقيت معينين، وقد يسمى متوارياً مع شيء من التحوير والتلوير والتبدل شدائده في ذلك شأن الحياة الإنسانية.

